

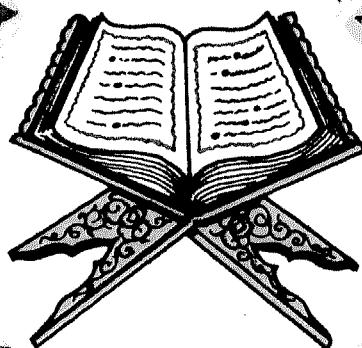
بِنْ لَكْزَلْ قُرْآنٍ ۖ ۗ

۳

الشِّهْرُ الْمُبْرَأُ الشِّهْرُ الْمُبْرَأُ

من خلاص القرآن
تَارِيخ - وَسَمَات - وَمَصِير

الدّكتور
صلاح عبد الفتاح المازري



وَالْأَلْفُ لِعَـ
بِنْ

الشخصية اليهودية

مِنْ خَلَالِ الْقُرْآنِ

تاریخ - وسمات - و مصادر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣

الشَّخْصِيَّةُ الْمُهَوَّبَةُ

مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ

تَارِيخٌ - وَسَمَاتٌ - وَمَصَدِّرٌ

الدّكتور

صلح عبده الفتاح الطالبي

دار الفتح

دمشق

الطبعة الأولى
١٤١٩ - ١٩٩٨ م

حقوق الطبع محفوظة

تطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص ٤٢ - ت ٤٧٧ - ٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص ١٠٥ / ١١٣
توزيع جميع كتبنا في السويدية عن طريقة
دار البشائر - ج ٢١ - ٢١٤٦ - ص ٨٩٥
ت ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

مَقْدِّمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ رُورِ أَنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا. مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

أَمَا بَعْدَ :

فَهَا أَنَّذَا أَقْدَمُ الْكِتَابِ الثَّالِثَ مِنْ سَلْسَلَةِ «مِنْ كَنْزِ الْقُرْآنِ» وَقَدْ خَصَّصَتْهُ لِلْحَدِيثِ عَنِ الْيَهُودِ، وَجَعَلَتْ عَنْوَانَهُ «الشَّخْصِيَّةُ الْيَهُودِيَّةُ مِنْ خَلَالِ الْقُرْآنِ». وَأَقْرَرَ فِي بِدَايَةِ الْكِتَابِ أَنَّهُ لَيْسَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ عَنِ الْيَهُودِ، كَمَا أَنَّهُ لَنْ يَكُونُ الْآخِرُ.

لَقَدْ كَثُرَتِ الْكِتَابُ التِّي تَحْدُثُ عَنِ الْيَهُودِ كَثُرَةً بِالْغَةِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَشْكُلَةَ الْيَهُودِيَّةَ مَشْكُلَةٌ مَعْقُدَةٌ مَزْمَنَةٌ عَلَى طُولِ التَّارِيخِ الإِنْسَانِيِّ، وَبَرَزَتْ أَعْقَدُ مَرَاحِلِهَا فِي هَذَا الْعَصْرِ، عَنِدَمَا أَقَامَ الْيَهُودُ كِيَانَهُمْ فِي فَلَسْطِينِ، حِيثُ أَتَبَعُوا الْعَرَبَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَشْغَلُوا الْعَالَمَ أَجْمَعَ، الَّذِي أَقْبَلَتْ دُولَهُ وَشَعُوبُهُ تَبَحُثُ فِي الْمَشْكُلَةِ الْيَهُودِيَّةِ، وَفِي مَحَاوِلَةِ إِيجَادِ الْحَلُولِ لَهَا.. فَلَا غَرَابةَ أَنْ يُقْبِلَ كَاتِبُونَ عَرَبٌ عَلَى تَأْلِيفِ الْكِتَابِ وَالْأَبْحَاثِ وَالدِّرَاسَاتِ عَنْ هَذِهِ الْمَشْكُلَةِ الْعَوِيْصِيَّةِ الْمُسْتَعْصِيَّةِ.

كَمَا أَنِّي أَقْرَرُ أَنَّ هَذَا الْكِتَابُ لَيْسَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ الَّذِي يَتَحْدُثُ عَنْ

اليهود من منطلق إسلامي، كما أنه لن يكون الأخير.

فقد أقبل كتاب مسلمون على القرآن والإسلام، وعرضوا الكثير من تاريخ اليهود وحياتهم، وصدرت عدة كتب تتحدث عن اليهود من منطلق قرآنی ، منها: (اليهود في القرآن) لعفيف طبارة، و(اليهود في القرآن) لمحمد عزّة دروزة، و(الشعب الملعون في القرآن) و(بني إسرائيل في الكتاب والسنة) للدكتور سيد طنطاوي، وغير ذلك .

إننا نبارك كل كتاب يتحدث عن اليهود من منطلق إسلامي، ونشجع كل كاتب يقوم بهذا الجهد، وندعو إلى الإكثار من هذه الدراسات ليتعرف المسلمون على أبعاد الخطر اليهودي المدمر، ويقفوا على كيفية مقاومته والانتصار عليه .

وإنني رغبت في أن أُسهم بجهد متواضع في هذا المجال، وأن أقوم بواجب الدعوة إلى الله، ونشر العلم على الناس، وتقديم القرآن بحقائقه ومقرراته للمسلمين، وتعريفهم على عدوهم كما بين ذلك كتاب الله .

إن هذا المبحث لم ينشأ من فراغ، ولم أقصد به أن أملاً أوقات الفراغ لدى القراء، ولا أريد أن يتناولوه على هذا الأساس .

إن المشكلة اليهودية من أعوص المشكلات، وإن الخطر اليهودي الداهم مدمر يتهدد الأمة الإسلامية. وإن القضية الفلسطينية - الناتجة عن المشكلة اليهودية - أوشك أن يضيعها كثيرون ممن زعموا الوصاية عليها، والاهتمام بها، فأحببت أن أقدم حقائق القرآن وتقريراته حول هذه المسائل.

ولما أقبلت على القرآن الكريم، وجمعت آياته التي تتحدث عن اليهود، وجدت فيها الكثير من الحقائق والمقررات عنهم، وتعلمت فيه على «الشخصية اليهودية» من حيث تاريخها وموافقها من أنبيائها، ومن حيث سماتها وأخلاقها وعقيدتها وعقبيات الله لها، ومن حيث واقعها المعاصر وكيانها الذي أقامته في فلسطين، ثم من حيث مصير هذا الكيان الذي حدد

القرآن، وحاولت استشراف مستقبل هذا الكيان وعرض مصيره المحتمم.

إن اليهود قوم مغالطون مخادعون محرّفون، ولهذا قدّموا أنفسهم للناس في هذا العصر في صورة من القوة والعظمة والانتفاش، ورسموا حولهم حالة عظيمة ضخمة، وزعموا أن دولتهم لا تُقهر، وأنها وُجدت في فلسطين لتبقى إلى الأبد. لقد خدعوا أناساً من العرب والمسلمين بهذا، واستتبعوهم، وأفقدوهم القدرة على النظر والبحث والتحليل والتركيز، فأحبّيت أن أقدم للمسلمين «الشخصية اليهودية» كما عرضها القرآن، وأن أريهم - على ضوء تقريرات القرآن - اليهود على حقيقتهم، وعلى قزامتهم، وعلى ضالتهم، وعلى غرورهم وانفاساتهم، وعلى انحرافاتهم ومفاسدهم وكفرهم وضلالهم.

قدّم لنا القرآن «الشخصية اليهودية» فإذا بها شخصية معقدة، محرّفة، مشوّهة، مُعوجّة، حاقدة. وقدّم لنا القرآن اليهود، فإذا هم لا دين لهم، ولا عقيدة، ولا أخلاق، ولا إنسانية.

موضوع هذا الكتاب يختلف عن موضوعات كثير من الكتب التي تحدثت عن اليهود، فلم أرد أن أتحدث بالتفصيل عن التاريخ اليهودي، وعن أسفار اليهود وأسباطهم وممالكهم ودولهم.

أحبّيت أن أُعرض لمواطن حديث القرآن عن اليهود وعن بني إسرائيل، وحاولت استخراج حكمة العدول عن اسم بني إسرائيل إلى اسم اليهود. وقدّمت خلاصة موجزة لتاريخ اليهود كما عرضه القرآن، ابتداء من هجرتهم إلى مصر زمن يوسف عليه الصلاة والسلام حتى ضياع ممالكهم وذهب سلطانهم بعد حكم سليمان عليه السلام.

ووقفت وقفة مطولة أمام آيات القرآن وهي تتحدث عن الشخصية اليهودية وتبيّن سماتها وأخلاقها، وتعرض عقيدتها ودينه، وتسجل مزاعمها وافتراضاتها، وتصف عقوبات الله ضدها.

ثم نظرت في الكيان اليهودي المعاصر الذي أقاموه في فلسطين

بالم纵观 القرآن، فرأيت هذا الكيان على حقيقته، ورأيت اليهود الذين أقاموا على حقيقتهم، وعرضت هذا الكيان على سنن الله الثابتة، فرأيت مصيره المحتم ونهايته المقررة.

وقدمت للمسلمين عالم قرآنية بخصوص صراعهم المعاصر مع اليهود، حتى يتزموا بها في مواجهة اليهود، وليضمنوا النصر والعزّة والتمكين.

وختمت هذا الكتاب بتقديم رؤية إسلامية لمستقبل الأمة المسلمة، وقد عادت إلى إسلامها وجاءت أعداءها وانتصرت عليهم. كما قدمت رؤية إسلامية لمستقبل الكيان اليهودي، وإذا به لا يملك أيّ مقومٍ من مقومات الوجود الدائمة، ولا عنصر من عناصر الحياة المستقرة.

وإنني إذ أقدم هذا الكتاب للناس لأرجو الله أن يتقبل عملني فيه بقبول حسن، وأن يهدي به أنساً، ويثبّت به آخرين، ويكون خطوة إلى الأمام على طريق الجهاد والنصر والتمكين. وصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

صواليح في ١٤٠٦/١١/٣٠ هـ

١٩٨٦ م ٧/٢٦

الكتور

صالح عبد الفتاح (الظاهري)

الفصل الأول

بنو إسرائيل واليهود
في السياق القرآني

القرآن واليهود

تحدّث القرآن الكريم كثيراً عن بنى إسرائيل، وعرض الكثير عن قضيّتهم وأحداثها، سواء كانت البدايات الأولى لها زمن يعقوب وابنه يوسف - عليهما الصلاة والسلام - أو في المراحل اللاحقة زمن اضطهاد فرعون لهم، وإرسال الله موسى وأخيه هارون - عليهما السلام - لينقذاهم من هذا الذل، وبين لنا القرآن الكثير من أحداث قصتهم في هذه المرحلة، وقدّم تفصيلات وافية عن مواجهة موسى - عليه السلام - لفرعون، ثم خروجه ببني إسرائيل وغرق فرعون، ثم حياتهم في سيناء، ثم توجههم إلى الأرض المقدسة.

كما تحدّث القرآن عن طرف من قصص الأنبياء بني إسرائيل وبعض مواقفهم من هؤلاء الأنبياء الكرام، ووقف طويلاً أمام عيسى - عليه السلام - باعتباره نبياً أرسله الله إلى بني إسرائيل خاصة.

والقرآن في حديثه عن بنى إسرائيل في هذه المراحل من حياتهم الطويلة وهذه المشاهد من تاريخهم المديد، كان يعرض علينا كثيراً من صفاتهم وسماتهم، وطبعهم وأخلاقهم، وخفايا وتكوينات نفوسهم، وسر الشّوّه والانحراف في شخصياتهم، وصلتهم «المزاجية» بربهم ودينهم وأنبيائهم، وحقدّهم الأسود على الحق والخير والفضيلة.

والقرآن المدني تحدّث طويلاً عن بنى إسرائيل كذلك، ووجه حديثه لليهود المقيمين في المدينة وحولها، وكشف لهم - وللمسلمين - خفايا نفوسهم

وانحراف شخصياتهم وأمراض قلوبهم، وبين موقفهم العدائى من الرسول الخاتم عليه الصلاة والسلام، وسجل عداوتهم للخير والحق والفضيلة، وأشار إلى خطورتهم على البشرية في كل مراحلها، وحدد وجودهم وتاريخهم من خلال مقت الله لهم وسخطه عليهم.

تحدثت سور مكية عن بنى إسرائيل منها: الأعراف، ويوونس، والإسراء، وطه، والشعراء، والقصص، وغافر، والدخان.

كما تحدثت عنهم سور مدنية مثل: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والمجادلة، والحضر، والصف، والجمعة.

وقد وعى المسلمون حديث القرآن عن اليهود، وعرفوهم - بفضل عرض القرآن لهم وتعريفه بهم وتحليله لشخصياتهم - على حقيقتهم، وانكشفت لهم نفسياتهم ومكرهم ومؤامراتهم. ولقد وقف مسلمون مبصرون على مقدار عداوتهم، وعلى شدة خطورتهم، ولذلك تابعوا القرآن في تعريف المسلمين - والآخرين - بهم، وتحذيرهم من أخطارهم ودسائسهم.

وأقبل العلماء على أحاديث رسول الله ﷺ، فوجدوا فيها الكثير واستفادوا منها الكثير، وتعرفوا على هدى رسول الله ﷺ في التعامل مع اليهود في المدينة، وعلى محاولاته المستمرة عليه الصلاة والسلام هدايتهم وإرشادهم وتهذيب أخلاقهم ونفوسهم، ورفضهم لهذا العلاج النبوى الشافى، ومقابلته بالحقد والمكر واللؤم والتآمر والإفساد. ولذلك استعمل معهم عليه السلام آخر العلاج - وأخر العلاج الكى - فقاتلهم وهزمهم، وقتلهم واستأصل وجودهم، وأخرجهم من بلاد العرب.

وسار صحابة رسول الله ﷺ على طريقته في التعامل مع اليهود، فلم يقبلوا منهم إلا الإسلام أو الجزية، وكانوا حذرين منهم، وحدّروا الناس منهم، وأشاروا إلى إفسادهم وخطورتهم.

وما زال المسلمون يعرفون خطر اليهود، ويكتشفون هذا الخطر للناس،

ويحذرونهم من يهود ودسائصها ومكرها ومؤامراتها.

وما أحوج المسلمين المعاصرين - أينما كانوا - أن يتعرفوا على الخطر اليهودي الماحق، وأن يكتشفوا النفسية اليهودية المعقدة، وأن يواجهوا الغزو الفكري اليهودي الزائف الذي ابتلاهم الله به، ودليهم على مصادر كشفه، وأسباب مواجهته.

شهادة التاريخ والواقع

قد يقول قائل: إن القرآن كان يتحدث عن اليهود في تاريخهم القديم، وحديثه عنهم ينطبق على أسلافهم الماضيين. أما هم في مراحلتهم المتأخرة فإنهم تغيّروا، لقد تقدّموا وتحسّروا، والدنيا تغيرت، والحياة تطورت، والنفوس استقامت، ولهذا لا ينطبق الحديث عن الماضيين على المتأخرین.

وهذه مغالطة قد يكون وراءها اليهود. فإننا على يقين أن تحليل القرآن للنفسية اليهودية يتّصف بالصدق الفني المؤثر الساحر، ويتصف كذلك بالصدق الواقعي . إنه يعرض للشخصية اليهودية كما هي في عالم الواقع ، إنه يبرزها أمام المشاهدين في صورة مجسمة مرئية - على طريقة التصوير الفني القرآنية المعجزة -، وإن القارئ للقرآن بعين بصيرة ليلاحظ السمات الخارجية لهذه الصورة في حركات وخلجات وتصيرفات وانفعالات النفس الإنسانية .

ووَضَعَ القرآن لبني إسرائيل وأخلاقهم ونفسياتهم وانحرافاتهم وأمراضهم ينطبق على أولئك الأفراد الذين كانوا زمن موسى - عليه السلام - قبل عشرات القرون ، وينطبق على أفرادهم زمن أنبيائهم مثل داود وسليمان وزكريا ويعيسى وعيسى - عليهم الصلاة والسلام -، وينطبق على أفراد اليهود الذين أفسدوا في بلاد الحجاز والذين واجههم رسولنا محمد - عليه الصلاة والسلام - قبل عدة قرون أيضاً.

وينطبق هذا كله على اليهود في القرون اللاحقة، أينما أقاموا وحيثما استوطنوا، في بلاد الشرق أو بلاد الغرب.

ونرى نحن المسلمين المعاصرین - الذين ابتلينا بالفتنة اليهودية - هذا التحليل القرآني ينطبق تماماً على اليهود المعاصرین، ونکاد عندما نتلوا الآية التي تكشفهم نقول: إنها تتحدث عن اليهودي الفلاني الذي سمعنا عنه: ديفيد، أو عزرا، أو ليفي، أو حايم... فالتاريخ والواقع المعاصر يشهدان بصدق وصحة التحليل القرآني للنفسية اليهودية أينما كانت.

الحكمة من التفصيل القرآن لقصة بنى إسرائيل

قصة النبي موسى - عليه السلام - هي أكثر قصص الأنبياء وروداً في القرآن المكّي والمدني ، حيث عرضت في العديد من هذه السور.

وقصة بنى إسرائيل في مختلف فترات تاريخهم منذ يعقوب ويوسف وحتى محمد رسول الله - عليهم الصلاة والسلام - هي أكثر قصص الأمم السابقين وروداً في القرآن المكّي والمدني كذلك .

وإن الناظر في القرآن - وفي قصص الأنبياء والسابقين على وجه الخصوص - ليتوقف أمام هذه الظاهرة، يتوقف متسائلاً متفكراً متدربراً محاولاً الوقوف على الحكمة التي تبدو له من خلال هذه الوقفة .

ما هي الحكمة التي تنفع المسلمين - وبخاصة المعاصرين منهم - من الحديث القرآني المفصل عن قصة بنى إسرائيل؟ وماذا نستفيد نحن من ذلك؟ من أجود ما قرأت في هذا نظارات صائبة للإمام الشهيد سيد قطب، حيث قال في تفسيره لسورة المائدة:

إنها حلقة من قصة بنى إسرائيل التي فصلها القرآن أوسع تفصيل . . .
ذلك لحكمة متشعبـة الجوانـب:

من جوانب هذه الحكمة: أن بنى إسرائيل هم أول من واجه الدعوة الإسلامية بالعداء والكيد وال الحرب في المدينة ، وفي الجزيرة العربية كلها . فقد

كانوا حرباً على الجماعة المسلمة منذ اليوم الأول. هم الذين احتضنوا النفاق والمنافقين في المدينة، وأمدّوهم بوسائل الكيد للعقيدة وللمسلمين معاً. وهم الذين حرّضوا المشركين وواعدوهم وتأمروا معهم على الجماعة المسلمة. وهم الذين تولّوا حرب الإشاعات والدسّ والكيد في الصف المسلم، كما تولّوا بث الشبهات والشكوك والتحريفات حول العقيدة وحول القيادة، وذلك كله قبل أن يُسِفِّرُوا بوجوههم في الحرب المعلنة الصريحة. فلم يكن بدّ من كشفهم للجماعة المسلمة، لتعرف من هم أعداؤها؟ ما طبيعتهم؟ وما تاريخهم؟ وما وسائلهم؟ وما حقيقة المعركة التي تخوضها معهم؟

ولقد علم الله أنهم سيكونون أعداء هذه الأمة في تاريخها كله، كما كانوا أعداء هدى الله في ماضيهم كله، فعرض لهذه الأمة أمرهم كله مكشوفاً، ووسائلهم كلها مكشوفة.

ومن جوانب هذه الحكمة: أن بني إسرائيل هم أصحاب آخر دين قبل دين الله الأخير، وقد امتد تاريخهم قبل الإسلام فترة من التاريخ طويلة، ووقعت الانحرافات في عقيدتهم، وقع فيهم النقض المتكرر لميثاق الله معهم، وقع في حياتهم آثار هذا النقض وهذا الانحراف، كما وقع في أخلاقهم وتقاليدهم.. فاقتضى هذا أن تلم الأمة المسلمة - وهي وارثة الرسالات وحاضنة العقيدة الربانية بجملتها - بتاريخ القوم وتقلبات هذا التاريخ، وتعرف مزالق التاريخ وعواقبها، ممثلة في حياة بني إسرائيل وأخلاقهم، لتضمّ هذه التجربة - في حقل العقيدة والحياة - إلى حصيلة تجاربها، وتنتفع بها الرصيد وتنفع على مدار القرون، ولتستقي بصفة خاصة مزالق الطريق ومداخل الشيطان، وبوادر الانحراف، على هدى التجارب الأولى.

ومن جوانب الحكمـة: أن تجربة بني إسرائيل ذات صحائف شتى في المدى الطويل، وقد علم الله أن الأمد حين يطول على الأمم تقسو قلوبها، وتنحرف أجيال منها، وأن الأمة الإسلامية التي سيمتد تاريخها حتى

تقوم الساعة، ستتصادفها فترات تمثل فيها فترات من حياة بنى إسرائيل، فجعل أمام أئمة هذه الأمة وقادتها، ومجددي الدعوة في أجيالها الكثيرة، نماذج من العقابيل التي تلمُّ بالأمم، يعرفون منها كيف يعالجون الداء بعد معرفة طبيعته.

ذلك أن أشد القلوب استعصاءً على الهدى والاستقامة هي القلوب التي عرفت ثم انحرفت، فالقلوب الغُفل الخامة أقرب إلى الاستجابة لأنها تفجأ من الدعوة بجديد يهْرَأها، وينفض عنها الركام، لجدتها عليها، وانبهارها بهذا الجديد الذي يطرق نظرتها لأول مرة. فأما القلوب التي نوديث من قبل، فالنداء الثاني لا تكون له جِدَّته، ولا تكون له هَرَّته، ولا يقع فيها الإحساس بصخامته وجديته، ومن ثُمَّ تحتاج إلى الجهد المضاعف وإلى الصبر الطويل.

وجوانب شتى لحكمة الله في تفصيل قصة بنى إسرائيل، وعرضها مفصلة على الأمة المسلمة وارثة العقيدة والدين، القوامة على البشر أجمعين.

جوانب شتى لا نملك هنا المضي معها أكثر من هذه الإشارات

السريعة^(١).

(١) الظلال ٢ : ٨٦٨ - ٨٦٩ طبعة دار الشروق.

بنو إسرائيل واليهود

يطلق على اليهود أسمان:

الأول: بنو إسرائيل. أي أنهم هم الذين يتسبون - من حيث النسب التاريخي - إلى نبي الله يعقوب عليه السلام. فهم ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة فترة من الزمن ثم انتزعها منهم، وأحل عليهم غضبه ولعنته جزاء كفرهم ومحاربتهم للله ولرسله.

الثاني: اليهود. وهو الاسم الذي عرّفوا به فيما بعد، والذي انتشر بين الأمم، وإن كانوا يفضلون الاسم الأول، لأنه يربطهم بجدّهم إسرائيل عليه السلام.

ولكننا يجب أن نطلق عليهم الاسم الثاني «اليهود» لأنّه هو المنطبق عليهم، واللائق بهم، ثم هو ما أطلقه القرآن عليهم في الفترة المدنية.. علينا الالتزام بما يقرره القرآن.

إسرائيل في السياق القرآني

يُنسب اليهود إلى إسرائيل، وإسرائيل هو يعقوب عليه السلام ، ولذلك أطلق على اليهود اسم «بنو إسرائيل» أي أولاد يعقوب عليه السلام وذراته . وبينما يتسبون إلى إسرائيل غالباً، فإنهم أحياناً يتسبون إلى جده أبي الأنبياء إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وهم وإن صحت لهم هذه النسبة ليعقوب وإبراهيم عليهما السلام ، فإن وراثتهم لهما ولغيرهما من أنبياء الله لا تصح ، لأن القرآن يفرق بين صلة النسب وبين وراثة الدين والإيمان والعقيدة ، فليس كل من صاح نسبه بالأنبياء كان وارثاً لعلمهم ورسالتهم وإيمانهم ، وسنعود إلى هذه القضية فيما بعد إن شاء الله .

إسرائيل - وهو يعقوب - مذكور باسمه هذا مرتين في القرآن: مرة في سورة مريم ، والثانية في سورة آل عمران .

فبعد أن أشار إلى قصص بعض الأنبياء في سورة مريم ، وهم: زكريا ، ويعيسى ، وعيسى ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وهارون ، وإسماعيل ، وإدريس - عليهم الصلاة والسلام - قال تعالى: ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ، وَمَمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ، وَمَنْ ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ، وَمَمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِّرُوا﴾^(١).

(١) مريم: ٥٨.

فُقِسِّمَتِ الآيَةُ الْأَنْبِيَاءُ الْكَرَامُ مِنْ حِيثُ النَّسْبِ التَّارِيْخِيِّ إِلَى أَرْبَعٍ مُجَمَّعَاتٍ، تَتَفَرَّعُ كُلُّ مُجَمَّعَةٍ عَنْ نَبِيٍّ كَرِيمٍ:

المجموعة الأولى: النَّبِيُّونَ مِنْ ذُرِيَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاعتباره أباً لِلْبَشَرِ جَمِيعاً، وَيَنْدَرِجُ ضَمِّنَ هَذِهِ المُجَمَّعَةِ الْأَنْبِيَاءُ الَّذِينَ بَيْنَ آدَمَ وَنُوحَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

المجموعة الثانية: النَّبِيُّونَ مِنْ ذُرِيَّةِ نُوحٍ، وَالَّذِينَ كَانُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ، مَثَلُهُ: هُودٌ، وَصَالِحٌ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

المجموعة الثالثة: النَّبِيُّونَ مِنْ ذُرِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَيُنْقَسِّمُونَ إِلَى قَسْمَيْنِ:
الْقَسْمُ الْأَوَّلُ: أَنْبِيَاءُ إِلَى غَيْرِ بْنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمَا - فِيمَا نَعْرَفُ - إِسْمَاعِيلُ، وَمُحَمَّدٌ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وَيُلَاحِظُ أَنَّ الْآيَةَ لَمْ تُنْقِدْ هَذَا الْقَسْمَ - أَوْ هَذَا الْفَرْعَ - مِنْ شَجَرَةِ النَّبَّوَةِ - بِمُجَمَّعَةِ خَاصَّةٍ كَمَا أَفْرَدَتِ الْفَرْعَ الْآخَرَ.

وَالْقَسْمُ الثَّانِيُّ: وَهُمْ أَنْبِيَاءُ بْنِي إِسْرَائِيلَ.

وَلَعَلَّ السَّبَبَ فِي هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - هُوَ الرَّدُّ عَلَى تَحْرِيفَاتِ وَشَبَهَاتِ الْيَهُودِ الَّذِينَ يَقْصُرُونَ النَّبَّوَةَ فِي فَرْعَهُمْ مِنْ أَوْلَادِ ذُرِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَتَقُولُ لَهُمْ إِنَّ الْفَرْعَ الثَّانِيَ أَصِيلٌ، وَلَهُذَا لَمْ أَفْرَدْهُ بِالذِّكْرِ لِأَبْيَانِ صَلَتْهُ الْوِثِيقَةُ وَارْتِبَاطُهُ الشَّدِيدُ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَالْحَظْظُ فِي هَذَا سَبِّيْأَ آخِرَ وَحِكْمَةً ثَانِيَةً، وَهُوَ أَنَّ هَذَا الْفَرْعَ الثَّانِيَ مِنْ نَبَّوَةِ أَوْلَادِ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الَّذِي أَنْتَجَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ: مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَتِ النَّبَّوَةُ مُمْثَلَةً وَمُمْتَدَةً فِيهِ. أَمَّا الْفَرْعَ الْأَوَّلُ فَهُوَ وَإِنْ حَوِيَ أَسْمَاءَ أَنْبِيَاءِ وَمُرْسَلِينَ كَثِيرِينَ أَكْثَرَ مِنْ مَا حَوِيَ الْثَّانِيَ فَإِنَّ النَّبَّوَةَ قَدْ تَوَقَّفَتْ عِنْدَ آخِرِ حَلْقَةٍ مِنْهُ، وَهُوَ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي كَانَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَكَانَ الْآيَةُ تَعْتَبِرُ الْفَرْعَ الثَّانِيَ هُوَ الْمُمْتَدُ مِنْ حِيثِ الزَّمَانِ، وَالَّذِي يَحْوِي أَشْرَفَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلِ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَلِذَلِكَ نَاسِبٌ أَنْ تَجْعَلَ صَلَةُ هَذَا الْفَرْعَ بِإِبْرَاهِيمَ أُوثِقَ وَأَمْتَنَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

المجموعة الرابعة: النبيون من ذرية إسماعيل ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل. وإسرائيل هو يعقوب، وهؤلاء هم أنبياء الله إلى بني إسرائيل الذين عرفنا منهم - على سبيل التمثيل -: يوسف، وموسى، وهارون، وداود، وسليمان، وزكريا، ويعيسي، وعيسى - عليهم جميعاً الصلاة والسلام -.

وقال تعالى عن إسرائيل في آل عمران: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلًّا لِّبْنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التُّورَةُ، قُلْ فَاتَّوَا بِالْتُّورَةِ فَأَنْلَوْهَا إِنْ كَتَمُ صَادِقِينَ. فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذَّابُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١).

تقرر الآية أن إسرائيل - عليه السلام - حرم على نفسه بعض أصناف الطعام، وامتنع هو نفسه عن تناولها، وكان هذا منه قبل أن تنزل التوراة - التي نزلت على موسى عليه السلام - ولذلك هذا الذي حرمه على نفسه غير موجود في التوراة ولا مذكور فيها، ويطلب القرآن من محمد عليه الصلاة والسلام أن يتحدى اليهود المعاصرين له، يتحداهم بأن الذي حرمه إسرائيل على نفسه لم يذكر في التوراة، وإذا ناقشوا في هذا ولم يقبلوا به فليأتوا بالتوراة - فهي في متناول أيديهم - وليتلوها أمم رسول الله عليه الصلاة والسلام، ولبيبنوا ما ذكرته التوراة - التي أنزلها الله - من هذه الأصناف، فإنهم لن يجدوا فيها شيئاً.

ولا تذكر الروايات المأثورة أن اليهود في المدينة حاولوا أن يرددوا على التحدّي الذي تدعوهם إليه الآية، ولا أنهم فتشوا في التوراة واستخرجوا منها ما حرّمه إسرائيل على نفسه، وعدم قيامهم بهذا يدل على هزيمتهم أمام هذا التحدّي القرآني الرباني .

هذا وتذكر التوراة المحرقة - التي صاحت أفكارها وعباراتها يهود الكافرة الحاقدة - خرافات باطلة وقصصاً كافرة عن هذا الذي حرمه إسرائيل على نفسه، وعن سبب هذا التحريم، وأنه كان نتيجة لمصارعته لربه طلة الليل،

۱۱) آل عمران: ۹۳ = ۹۴

وأنه أوشك أن يصرع ربه، وأن ربه لـمَّا رأى أنه لا يقدر على صرעה استخدم الحيلة، فضربه على فخذه فانخلع عرق النـسـاء عنده، فمن يومها حرم إسرائيل على نفسه أكل لحوم الإبل وألبانها. وتزعم التوراة أيضاً أن رب يعقوب ناشده أن يطلق سراحه قبل أن يطلع الفجر فيفتضـح ويـطـلـ كـونـهـ ربـاـ للـعالـمـينـ، فـرـضـ إـطـلـاقـ سـرـاحـ إـلـهـ إـلـاـ بـعـدـماـ بـارـكـهـ وـغـيـرـ اـسـمـهـ مـنـ يـعـقـوبـ إـلـىـ إـسـرـائـيلـ^(١).

وهذا السخف الباطل والكفر الفاجر زعم اليهود أنه كلام الله في التوراة.

هذا وقد وقف بعض المفسرين أثناء رفضهم هذا الهراء - ونحن معهم في رفضه وبنـذـه - وقفوا مشـكـكـينـ في تحريم يعقوب على نفسه شيئاً، ورفضوا أن يكون المقصود بإسرائيل في الآية هو يعقوب. بل المقصود بها شعب إسرائيل نفسه.

قال الإمام محمد رشيد رضا في تفسير المنار ناقلاً رأي شيخه محمد عبده بأن المراد بإسرائيل شعب إسرائيل، كما هو مستعمل عندـهمـ، لا يعقوب نفسه، ومعنى تحريم الشعب على نفسه أنه ارتكب الظلم واجترح السيئات التي كانت سبب التحريم^(٢).

ويتبـنىـ رـشـيدـ رـضاـ رـأـيـ شـيـخـهـ هـذـاـ وـيـسـتـدـلـ لـهـ بـقـولـهـ:ـ وـالـأـقـرـبـ مـاـ قـالـهـ الأـسـتـاذـ إـلـامـ لـأـنـهـ هـوـ الـذـيـ تـقـومـ بـهـ الـحـجـةـ،ـ لـاـ سـيـماـ عـنـدـ الـمـطـلـعـ عـلـىـ التـورـاـةـ،ـ وـلـوـ أـرـيدـ بـإـسـرـائـيلـ يـعـقـوبـ نـفـسـهـ لـمـ كـانـ هـنـاكـ حـاجـةـ إـلـىـ قـولـهـ:ـ «ـمـنـ قـبـلـ أـنـ تـنـزـلـ التـورـاـةـ»ـ لـأـنـ زـمـنـ يـعـقـوبـ سـابـقـ عـلـىـ زـمـنـ التـورـاـةـ سـبـقاـ لـاـ يـشـتـبـهـ بـهـ فـيـحـتـرـسـ عـنـهـ^(٣).

(١) انظر تفسير المنار ٤ : ٤.

(٢) تفسير المنار ٤ : ٣.

(٣) تفسير المنار ٤ : ٤.

ولسنا مع الإمام الشيخ رضا في هذا الاختيار، ولا في هذه الأدلة، بل نحن مع جمهور المفسرين في أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وأنه حرام على نفسه أصنافاً من الطعام قبل التوراة، وأن هذه الأصناف لم تُذَكَّر في التوراة.

لكتنا لسنا مع المفسرين الذين يحدّدون الأصناف التي حرّمها يعقوب على نفسه، لأن هذه الأصناف من مبهمات القرآن، وبمهمات القرآن لا تُبيّن إلا بآية من القرآن، أو حديث صحيح لرسول الله ﷺ، فإذا لم يرد البيان في أحد هذين المصادرين اليقينيّن فلا نجيز لأحد مهما كان أن يبيّنها.

وإذا أردنا أن نستأنس بما ذهبنا إليه في معنى الآية بأقوال العلماء السابقين، فسنختار أقوالاً لصحابة وتابعين ومتّاخرين من المفسرين.

روى السيوطي في الدر المثور عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (قالت اليهود للنبي ﷺ: نزلت التوراة بحريم الذي حرّم إسرائيل، فقال الله لمحمد ﷺ: ﴿فَلَمَّا قَاتَلُوكُمْ فَأَتُوكُمْ مِّنْهَا مَا كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وكذبوا، ليس في التوراة).

وأخرج السيوطي أيضاً عن عامر: (أن علياً رضي الله عنه قال في رجل جعل امرأته عليه حراماً. قال: حُرِّمت عليه كما حرم إسرائيل على نفسه لحم الجمل، فحرم عليه)^(١).

وقال الأستاذ الإمام سيد قطب في الظلال: (وهنا يردهم القرآن إلى الحقيقة التاريخية التي يتتجاهلونها، للتشكيك في صحة ما جاء في القرآن من أنه مصدق للتوراة، وأنه مع هذا أحق لل المسلمين بعض ما كان محرماً علىبني إسرائيل.. هذه الحقيقة هي أن كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل - إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة - وإسرائيل هو يعقوب عليه

(١) الدر المثور في التفسير بالتأثر للسيوطى ٢ : ٢٦٤ .

السلام - وتقول الروايات : إنه مرض مرضًا شديداً فنذر لله لئن عافاه ليمتنع
- تطوعاً - عن لحوم الإبل وألبانها ، وكانت أحب شيء إلى نفسه ، فقبل الله
منه نذرها . وجرت سنةبني إسرائيل على اتباع أبيهم في تحريم ما حرم^(١) .

وقد يتساءل متسائل : كيف أجاز يعقوب عليه السلام لنفسه أن يحرّم
عليها بعض المباح الحلال ، مع أن التحليل والتحريم لله وحده ، ولا يجوز
لأحد أن يحرّم الحلال حتى لو كاننبياً من الأنبياء ، ما لم يكن مخبراً عن
حكم الله في هذه التحرير؟!

وفي الجواب على هذا نقول : إن يعقوب عليه السلام لم يحرّم ما حرم
على نفسه تحريماً شرعياً ، ولم ينسب هذا التحرير لله ، وإنما هو امتناعاً
تطوعياً ذاتياً عن أكل بعض الأصناف ، ولم يقل للآخرين إنها حرام . فتحريمها
هنا بمعنى امتناع الشخصي عن ذلك ، ولا شيء في هذا .

فها هو رسول الله محمد ﷺ امتنع عن بعض أنواع الطعام - مثل أكل
لحم الضب - ولم يقل إنه حرام . بل ها هو يلزم نفسه عليه السلام أن لا يأكل
بعض أنواع الطعام ، أو يمتنع عن وطء أمته مارية رضي الله عنها في بيت
زوجته حفصة ، ويقسم على هذا .. فتنزل الآية لتعاتبه عليه السلام في ذلك
- ولا أقول تخطئه لأن الأنبياء لا يخطئون - وتصف امتناعه بأنه تحريم . . . قال
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَ اللَّهُ لَكَ تَبْغِي مَرْضَاتٍ أَزْوَاجَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ . قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحْلِلَةً أَيْمَانَكُمْ ۚ ﴾^(٢) .

قال الإمام الراغب الأصفهاني في كتابه الفريد «المفردات» في معنى
التحريم : الحرام : الممنوع منه ، إما بتسخير إلهي ، وإما بمنع قهري ، وإما
بمنع من جهة العقل ، أو من جهة الشرع ، أو من جهة من يرسم أمره^(٣) .

* * *

(١) الظلال ٢ : ٤٣٣ .

(٢) التحرير : ١ - ٢ .

(٣) المفردات في غريب القرآن : ١١٤ .

هذا، وإن «إسرائيل» اسم علمي أعمجمي أطلق على يعقوب عليه السلام، ولذلك لن تجد له مادة اشتقاء في اللغة العربية، وقد أخطأوا الذين حاولوا أن يوجدوا له مادة اشتقاء.

ومعاجم اللغة العربية لا تتحدث عن معنى هذا الاسم حديثاً مفصلاً، فبعضها لم تورده أصلاً، مثل القاموس المحيط للفيروزابادي، وبعضها أورده وحاول أن يبين معناه بإيجاز.

قال ابن منظور الإفريقي في لسان العرب في مادة سرل: سرل: إسرائيل وإسرائيلين - زعم يعقوب أنه بدل - اسم مَلَك^(١).

ولا أدرى ما هو دليلهم على أنه اسم مَلَك من الملائكة؟! مع أن أسماء الملائكة توقيفية لا ثبت إلا من خلال القرآن الكريم، أو الأحاديث الصحيحة لرسول الله ﷺ.

هذا وقد زعم بعضهم أن معنى إسرائيل «الأمير المجاهد مع الله» وقد رد الإمام رشيد رضا هذا الزعم بقوله: (وقد علمت ما عندهم في سبب إطلاقه عليه من عبارة سفر التكوين.. ثم أطلق على جميع ذريته كما هو شائع في كتب القوم)^(٢).

(١) لسان العرب ١١ : ٣٣٥.

(٢) تفسير المنار ٤ : ٥.

اليهود في معاجم اللغة

اختلف اللغويون في معنى «يهود» هل هو أعجمي أو مشتق وإن كان مشتقاً فما هي مادة اشتقاقه؟ وما هو معناه على كلا الرأيين؟

قال بعضهم إنها الكلمة العربية، مشتقة من الهدود. والهدود هو التوبة والرجوع إلى الله.

ونلخص ما قاله ابن منظور في لسان العرب عن اشتقاق هذه الكلمة: (الهُود): التوبة. هاد يهود هوداً. وتهود: تاب ورجع إلى الحق، فهو هائد. وقوم هود. والتهود: التوبة والعمل الصالح.

وقال ابن الأعرابي: هاد إذا رجع من خير إلى شر، أو من شر إلى خير.

ويهود: اسم للقبيلة، وقيل: إنما اسم هذه القبيلة يهود، فعرب بقلب الذال دالاً.

وقالوا: اليهود، فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب. يريدون اليهوديين.

وسميت اليهود اشتقاقاً من هادوا. أي تابوا.

وهود الرجل: حوله إلى ملة يهود. وفي الحديث: «كل مولد يولد على الفطرة، حتى يكون أبواه يهودانه أو ينصرانه»: معناه أنهما يعلمانيه دين اليهودية والنصارى ويدخلانه فيه..

والتهويد: أن يصير الإنسان يهودياً. وهاد وتهود: إذا صار يهودياً^(١).

وقال آخرون: إن كلمة «يهود» أعممية، وليس مشتقة من مادة «هود» العربية. وهذا ما نميل إليه ونرجحه، وننکاد نرى أنه تعریب لكلمة «يهودا» التي هي اسم أحد أسباط بنی إسرائیل، وقد أطلقت هذه الكلمة «يهود» على بنی إسرائیل، وأصبحت علمًا عليهم.

هذا ونفضل استعمال «يهود» بالتنکير على إثبات آل التعريف فيها، لأن الصحابة استعملوها بهذه الصيغة، ولأن في التنکير ما فيه من التحقیر والتصغیر.

(١) لسان العرب لابن منظور ٣: ٤٣٩ باختصار.

هادوا. هدنا. هوداً في السياق القرآني

وردت في القرآن هذه الصيغ عن اليهود:

- ١ - هادوا. فعل ماضٍ مسند إلى ضمير الغائبين.
- ٢ - هُدْنَا. فعل ماضٍ مسند إلى ضمير المتكلمين.
- ٣ - هُودٌ. جمع هائدة، بمعنى تائب وعائد إلى الحق. مثل حائك وحوك^(١) ..

وإذا أردنا تسجيل بعض اللطائف من استعمال القرآن لهذه الصيغ، فإننا نجد ما يلي :

- ١ - وردت كلمة «هادوا» عشر مرات في القرآن في سور: البقرة، النساء، والمائدة، والأనعام، والنحل، والحج، والجمعة. وهي في هذه المرات كلها جاءت بهذه الصياغة ﴿وَالذِّينَ هَادُوا﴾ حيث يلاحظ أنه يسبقها دائمًا الاسم الموصول «الذين»، وتأتي دائمًا صلة الموصول - التي لا محل لها من الإعراب -. .

وهي في هذه المرات كلها تتحدث عن اليهود الذين هادوا، وهي إما أن تبيّن زعم الذين هادوا وكذبهم وافتراءهم، وإما أن تكشف عن سوء أخلاقهم وأفعالهم، وإما أن تقرنهم مع المؤمنين والنصارى والصابرين، باعتبارهم يمثلون الطائفة اليهودية.

(١) لسان العرب ٣ : ٤٣٩ .

٢ - وردت كلمة «هُدْنَا» مرة واحدة، وذلك في سورة الأعراف، وأثناء الحديث عن قصة موسى عليه السلام مع قومه. فبعد أن تاب قومه عن عبادة العجل، طلب موسى منهم أن يختاروا منهم أصلاح سبعين رجلاً صالحًا ليذهبوا معه ويبايعوا الله عند جبل الطور، على أن لا يعودوا لمثلها. ولما ذهبوا معه نكس هؤلاء السبعون الصالحون!!، ورفضوا أن يبايعوا، فهدّهم الله ورفع الجبل فوقهم، فخافوا وظنوا أنه واقع بهم. عندها أعطوا العهد، وأعلنوا البيعة، وأعلنوا توبتهم لله وإنابتهم له ورجوعهم عن المعا�ي، وقالوا: ربنا إنا هُدْنَا إليك.

قال تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا، فَلَمَّا أَخْذَتْهُمُ الرِّجْفَةُ قَالَ: رَبُّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاهُ، أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السَّفَهَاءُ مَنْتَ؟ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَةٌ تُضْلِلُ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ، أَنْتَ وَلِيُّنَا، فَاغْفِرْ لَنَا، وَارْحَمْنَا، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ. وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ، إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾^(١).

ويلاحظ أنها وردت في سياق التقرير والإثبات والثناء، وذلك أن الذين قالوها هم: نبي الله موسى عليه السلام، والسبعين صالحًا الذين تابوا معه، وهؤلاء تابوا إلى الله صادقين ورجعوا إليه.

٣ - ووردت كلمة «هود» - جمع هائد - ثلاثة مرات. وهي في المرات الثلاث في مجال نقض افتراءات ومزاعم اليهود عن إبراهيم وذريته من الأنبياء عليه السلام، عمن يحبهم الله ويدخلهم الجنة. وهي تبطل هذه المزاعم، وتنتفي أن يكون إبراهيم يهودياً أو نصرياناً، أو أن الهوى في اليهودية أو النصرانية، أو دخول الجنة لليهودي والنصراني فقط. فهي في موضوع الذهن والنفي وليس المدح والثناء.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا: كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهَتَّدُوا. قُلْ بَلْ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ

(١) الأعراف: ١٥٦ - ١٥٥.

حنيفاً وما كان من المشركين ﴿١﴾.

وقال تعالى : ﴿أَمْ تقولونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى؟ قُلْ أَتَنْتَ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَمْ شَهَادَةً عَنْهُ مِنَ اللَّهِ؟ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾.

وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى. تَلَكَ أَمَانِيهِمْ، قُلْ هَاتُوا بِرَهَانَكُمْ إِنْ كَتَمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْ رَبِّهِ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٣﴾.

والذى يلفت النظر في هذا الاستعمال هو أن المرات الثلاث في سورة واحدة وهي سورة البقرة. ولعل الحكمة من هذا - والله أعلم - هو أن سورة البقرة هي سورة «الخلافة» التي تبيّن نزع الخلافة من أيدي السابقين واليهود، وجعلها في الخلفاء الجدد «المسلمون»، وأن مؤلاء الخلفاء الجدد لا يمكن أن يكونوا هوداً على المعنى اللغوي الحقيقي. وهم ورثة إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط.

كذلك نشير إلى أن الكلمة في المواقع الثلاث جاءت خبراً لكان، واسم كان ضمير متصل أو مستتر مقدّر.

نقف في ختام هذا الحديث - وزرجيء الحديث عن كلمة «اليهود» في السياق القرآني إلى حين - لمعرفة رأي الإمام الراغب في معنى هذا المصطلح.

قال في المفردات : (الهُود الرجوع برفق، ومنه التهويذ، وهو مشي كالدبب، وصار الهود في التعارف التوبة. قال تعالى : ﴿إِنَّا هُدَّنَا إِلَيْكَ﴾ ﴿٤﴾ أي تبنا.

(١) البقرة : ١٣٥ .

(٢) البقرة : ١٤٠ .

(٣) البقرة : ١١١ - ١١٢ .

(٤) الأعراف : ١٥٦ .

قال بعضهم: هود في الأصل من قولهم هُدْنَا إِلَيْكُ، وكان اسم مدح، ثم صار بعد نسخ شريعتهم لازماً لهم، وإن لم يكن فيه معنى المدح.
ويقال: هاد فلان إذا تحرّى طريقة اليهود في الدين. قال اللّه عزّ جلّ:
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾^(١).

والاسم العَلَم قد يتصور منه معنى ما يتعاطاه المسمى به - أي المنسوب إليه - ثم يشتق منه، نحو قولهم تفرعن فلان وتطفل، إذا فعل فعل فرعون في الجُرُور، وفعل طفيل في إثبات الدعوات من غير استدعاء.. وتهود في مشيه: إذا مشي مشيأ رفيقاً تشبيهاً باليهود في حركتهم عند القراءة)^(٢).

وهذه الفقرة الأخيرة من كلام الإمام الراغب رائعة حقاً. حيث رجح فيها أن كلمة «يهود» أعمجية وليس عربية مشتقة - مثل فرعون - وعلل لنا اشتراق أفعال منها - والأفعال لا تشتق من الأسماء الأعمجية الجامدة - بأننا تصورنا منها معنى وهو «الهود» ثم اشترقنا من هذا المعنى أفعالاً.

هذا وكم أُعجبت بصنيع العالم الجليل المرحوم محمد فؤاد عبد الباقي في كتابه الفريد «المعجم المفهرس للفاظ القرآن الكريم» حيث أورد اشتراقات وتصريفات الهد في الاستعمال القرآني: هادُوا. هُدْنَا. هُوداً. ولم يذكر ضمنها كلمة «اليهود» وإنما أخرها من باب «الهاء» لأنه يرى أنها ليست مشتقة من الهد، وجعلها في باب «الباء» وهو موضعها الطبيعي، لأنها اسم أعمجي جامد^(٣).

(١) البقرة: ٦٢.

(٢) المفردات: ٥٤٧.

(٣) انظر المعجم المفهرس للفاظ القرآن لعبد الباقي في صفحة ٧٣٩ وصفحة ٧٧٥.

بني إسرائيل في السياق القرآني

قلنا إن كلمة بني «إسرائيل» وردت في القرآن إحدى وأربعين مرة، وكان ورودها في سور مكية وفي سور مدنية.

السور المكية التي وردت فيها هي: الأعراف، ويوونس، والإسراء، وطه، والشعراء، والنمل، والسجدة، وغافر، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

أما السور المدنية التي وردت فيها فهي: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والصف. وقد وردت هذه الكلمة في السور المكية خمساً وعشرين مرة، وفي السور المدنية ست عشرة مرة.

في سورة الأعراف وردت في سياق قصة موسى عليه السلام مع فرعون، وكذلك وردت في سورة يوونس في هذا السياق. وفي الإسراء في سياق مواجهة موسى لفرعون، وإخبار الله لهم في التوراة عن إفسادهم في الأرض. وفي سورة طه والشعراء كان السياق في الحديث عن قصة موسى مع فرعون. بينما في سورة النمل والسجدة وغافر والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف - حيث وردت مرة في كلٌ من هذه السور - كانت في إخبار رسول الله ﷺ عن أشياء تتعلق ببني إسرائيل.

بينما كان ورودها في السور المدنية الأربع: البقرة، وآل عمران، والمائدة، والصف، في سياق إخبار رسول الله ﷺ عن بعض الأحداث والواقع

والأشياء المتعلقة بحياة وتاريخ بنى إسرائيل زمن أنبيائهم، ابتداء من موسى وانتهاء بعيسى عليهم الصلاة والسلام.

وإذا نظرنا في هذه المواضيع التي وردت فيها هذه الكلمة «بنو إسرائيل» فإننا نجد أنها كانت ت تعرض أطراً ولقطات ومشاهد من تاريخ بنى إسرائيل، ابتداء مما قبل بعثة موسى عليه السلام إلى ما بعد بعثة عيسى عليه السلام.

اليهود في السياق القرآني

وردت كلمة «اليهود» في القرآن ثمانية مرات.

ووردت كلمة «يهودي» مرة واحدة، في سياق النفي. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا. وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١).

إن الآية تنفي مزاعم اليهود في كون إبراهيم عليه السلام يهودياً، كما تنفي مزاعم النصارى في كونه نصرانياً، وتقرر أنه كان حنيفاً مسلماً. وكأن هذه الصفة «يهودي» نقص لا يليق أن يتصف بها إبراهيم، ولذلك نفها عنه القرآن.

أما كلمة «اليهود» فقد وردت في ثلاثة سور: البقرة، والمائدة، والتوبية.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ، وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ - وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ - كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ تَرَضَى عَنِكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّهُمْ . قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى . وَلَئِنْ اتَّبَعُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ

(١) آل عمران: ٦٧.

(٢) البقرة: ١١٣.

ما لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحْبَّاؤُهُمْ فَلِمَ يَعْذِبُكُمْ بِذَنْبِكُمْ؟ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّنْ خَلْقِنَا﴾ ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَيَاءَ بَعْضُهُمُ أُولَيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٣﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ! غُلْتُ أَيْدِيهِمْ، وَلَعِنْتُمْ بِمَا قَالُوا، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يَنْفَعُ كِيفَ يَشَاءُ﴾ ﴿٤﴾.

وقال تعالى: ﴿لَتَجَدُنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ ﴿٥﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُصَاحِهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفِكُونَ﴾ ﴿٦﴾.

(١) البقرة: ١٢٠.

(٢) المائدة: ١٨.

(٣) المائدة: ٥١.

(٤) المائدة: ٦٤.

(٥) المائدة: ٨٢.

(٦) التوبه: ٣٠.

لطائف ودلالات من هذا الاستعمال

إذا أمعنا النظر في ورود الكلمتين «اليهود» و«بني إسرائيل» في الاستعمال القرآني فإننا سنخرج بعده من اللطائف والدلالات، نشير إلى بعضها فيما يلي :

وجوب التفرقة بين اليهود وبني إسرائيل:
أولاً: القرآن يفرق بين المصطلحين «اليهود» و«بني إسرائيل»، وتبدو هذه التفرقة واضحة من خلال المواقع التي ذكر فيها كلُّ منها.

ونحن لا بد أن نتبع القرآن في التفريق بينهما، وكم أخطأُ الناس من contemporaries عندما خلطوا بينهما، وخالفوا في هذا مقررات عقائدية وإيمانية وتاريخية، وبخاصة الذين ابْتُلوا - في هذا الزمان - باليهود ومكرهم وعداوتهم، فسجعوا حربهم وكراهيتهم لكل ما هو يهودي على كل ما هو إسرائيلي، وكرهوا وأبغضوا كل بنى إسرائيل، حتى أولئك الذين اختارهم الله أنبياء لأقوامهم - مثل داود وسليمان - وأولئك الذين كانوا من الصالحين العابدين من أتباع الأنبياء مثل يوشع بن نون.

وهدفنا من هذه التفرقة أن نستثنى الأنبياء من بنى إسرائيل من عداوتنا وكرهنا وبغضنا لليهود، وأن نستثنى أتباع الأنبياء من الصالحين المسلمين من هذه العداوة كذلك، لأن أولئك السابقين من «بني إسرائيل» وليسوا من «اليهود».

والقرآن يرفض اعتبار أنبياء بنى إسرائيل وصالحيهم - قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام - يهوداً، وذلك في قوله تعالى : « أَمْ تقولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى، قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ؟ »^(١).

إن هؤلاء الأنبياء لا يمكن أن يُصنفوا ضمن اليهود، ولا أن يحملوا أخطاء وجرائم اليهود.

ما هو الفرق بين اليهود وبني إسرائيل : ثانياً: طالما فرق القرآن بين بنى إسرائيل واليهود، فما هو هذا الفرق الذي يمكن أن نأخذه من القرآن؟

إن القرآن عندما كان يتحدث عن بنى إسرائيل في تاريخهم السابق على بعثة محمد ﷺ، أو كان يشير إلى بعض ما وقع لهم وعليهم قبل البعثة كان يطلق عليهم «بنو إسرائيل»، ولما كان يتحدث عنهم في مواجهتهم لرسول الله ﷺ في المدينة - بعد هجرته إليها - ويكشف عن نفسياتهم ودسايسمهم وتحريفاتهم ويفند شبهاتهم ودعایاتهم وأقوالهم، كان يطلق عليهم «اليهود».

إذن يمكننا أن نقول: إن هذا الشعب المعروف في التاريخ، يسمى «بني إسرائيل» في حياته السابقة، منذ يوسف عليه السلام وانتهاء بعثة محمد ﷺ.

وهذا الشعب نفسه بعد البعثة النبوية فقد هذا الاسم، وأنخذ اسماً جديداً وهو «اليهود» ويختفيء كل من يطلق عليه الاسم السابق.

الحكمة من تغيير اسمهم من بنى إسرائيل إلى اليهود: ثالثاً: ولو أردنا أن نعرف الحكمة من هذا العدول القرآني عن الكلمة الأولى إلى الكلمة الثانية، فإننا نقول - بعون الله - :

(١) البقرة: ١٤٠.

بنو إسرائيل: ينحهم صلة ونسبة بـإسرائيل - يعقوب - عليه السلام، ويضفي عليهم ظللاً دينية وإيمانية، وهو نوع من التكريم لهم. وهذا ما حصل في الفترات الماضية حيث كان بنو إسرائيل - الأنبياء والصالحون منهم - مثلين بجانب الحق والهدى والإيمان، ولذلك استحقوا هذا التكريم الإيماني بانتسابهم - الإيماني والوراثي - ليعقوب عليه السلام.

أما عندما بعث محمد ﷺ، فقد أصبح هو «الوارث» الديني والإيماني ليعقوب عليه السلام والأنبياء من ذريته، وأصبحت أمته المسلمة هي «الوارثة» للدين والحق الذي جاء به يعقوب وأبناؤه الأنبياء من بعده، ولم تعد لبني إسرائيل - الذين كفروا بمحمد عليه السلام ودينه - أية صلة تربطهم بيعقوب، ولذلك لم يعودوا مستحقين لهذا الاسم الكريم، بل أصبح محمد ﷺ وأمته أولى بـإسرائيل والأنبياء من ذريته من هؤلاء اليهود.

وطالما خسروا هذا الاسم، فلا بد أن يبقى لهم الاسم الثاني الذي عرفا به في التاريخ وهو «اليهود».

وهذا الاسم «اليهود» يطلق عليهم مجردًا من معانيه وظلاله الإيمانية من التوبة والرجوع إلى الله، لأننا رجحنا أنه أعمامي جامد وليس مشتقاً من المَهْدُد، وهو في هذا ينطبق عليهم تماماً.

القرآن يعتبر اليهود المسلمين من بني إسرائيل:

رابعاً: ونلحظ في الاستعمال القرآني أمراً آخر ذا دلالة على ما رجحناه من هذه التفرقة بين الكلمتين ودلالتها، وهو أن القرآن الكريم عندما كان يشير إلى إيمان بعضهم بالرسول ﷺ يجعله من بني إسرائيل، وعندما كان يقصد إحياء واستجاشة إيمانهم وعلمهم برسول الله - أنه رسول الله - كان يستخدم هذا الاسم «بنو إسرائيل».

ننظر في الآيات التي أوردت هذا:

١ - قال تعالى: «سَلْ بْنِ إِسْرَائِيلَ كُمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةِ بَيْنَةٍ»^(١).

الخطاب لـ محمد ﷺ ليسأل عن الآيات التي أنزلها الله لهم على أنبيائهم السابقين، وقد استعمل هذا الاسم «بنو إسرائيل» باعتبار البعد التاريخي، لأن الآيات قد نزلت على السابقين، وهم بنو إسرائيل - وإن كان السؤال موجهاً لأحفادهم «اليهود» -، ولأن هؤلاء الأحفاد عندهم علم بهذه الآيات، فقد يقودهم هذا السؤال إلى اتباعهم رسول الله ﷺ.

٢ - قال تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيْنَاتٍ، فَاسْأَلْ بْنِ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ»^(٢).

وموضوعها هو موضوع الآية السابقة، والسؤال لبني إسرائيل الذين جاءهم موسى بالآيات، وهذه دلالة «إذ» الظرفية. وأحفادهم إنما هم رواة ناقلون لهذه الآيات، وأخذوا هذا الاسم «تقريباً» لهم من الإسلام.

٣ - قال تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بْنِ إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»^(٣).

واختلاف بني إسرائيل طويل طول تاريخهم، وحلَّ هذا الاختلاف وجوابه في القرآن، واليهود الذي عاصروا نزول القرآن ومن جاء بعدهم يمكنهم أن يعرفوا ذلك بالاطلاع على القرآن، وإذا عرفوه سيؤمنون بالنبي الجديد، وعندما سيكونون من «بني إسرائيل».

٤ - قال تعالى: «أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عِلْمَاءُ بْنِ إِسْرَائِيلَ»^(٤).

والخطاب في الآية للعرب المشركين، والحديث عن علماء بني إسرائيل

(١) البقرة: ٢١١.

(٢) الإسراء: ١٠١.

(٣) النمل: ٧٦.

(٤) الشعراة: ١٩٧.

باعتبارهم شهوداً على رسالة الرسول عليه السلام، فعلماء بني إسرائيل يعلمون حقاً أن مهداً رسول الله، وأنه يأتيه الوحي من الله، وهذا ناتج عن بشارات أنبيائهم به، وهم بهذا العلم استحقوا أن يكونوا من بني إسرائيل، على اعتبار أن هذا العلم سيقودهم إلى الدخول في دين النبي الجديد عليه السلام. وإن لم يقوموا بهذه الخطوة الأخيرة فقدوا صفة «علماء»، وقدوا انسابهم لإسرائيل عليه السلام.

٥ - قال تعالى : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَأَمْنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

والخطاب في هذه الآية موجه للعرب المشركين، ويستشهد بشهادة الصالحين من بني إسرائيل على صدق نبوة محمد ، فالصالح منهم شاهد بعلمه من خلال بشارات الأنبياء السابقين، وهو أتيغ هذه الشهادة بإيمانه الراقي بالرسول عليه السلام ودخوله في دينه، وهو بهذه الشهادة القولية والعلمية يستحق أن يكون من بني إسرائيل، وأن يتسبّب للنبي الكريم إسرائيل .

ونلاحظ أن أربعة من هذه الآيات في سور مكية، وواحدة في سورة مدنية، ولهذا لا مانع أن نقول: إن هذا الشعب قبل الهجرة النبوية اسمه «بني إسرائيل»، وبعد الهجرة اسمه «يهود» وهذا الاسم الثاني يجب أن يبقى علمأً عليه حتى قيام الساعة.

الحكمة من تأخير اسمهم الجديد إلى ما بعد الهجرة:
خامساً: ولو تساءلنا عن الحكمة من تأخير إطلاق اسم اليهود عليهم إلى ما بعد هجرة رسول الله ﷺ، فلعل الحكمة تبدو فيما يلي :

بعثة محمد ﷺ فَقَدِ الْيَهُودُ الْوَرَاثَةُ الْإِيمَانِيَّةُ لِدِينِ إِسْرَائِيلَ وَالْأَنْبِيَاءِ مِنْ

(١) الأحقاف: ١٠ .

ذريته، وتحولوا إلى مجرد وارثين له وراثة نسب وجنس، والنبي الجديد هو الوارث للدين والإيمان، والأمة المسلمة الجديدة هي الوارثة للدين والإيمان وصاحبة الخلافة الإيمانية على العالم.

لكن الإسلام في الفترة المكية لم يكن له سلطان عملي في الواقع، وال المسلمين في مكة كانوا مستضعفين مُضطهدين، يعني أن خلافتهم لم تتحقق في عالم الواقع، ووراثتهم وسلطاتهم لم تمارس في عالم الواقع.

أما بعد الهجرة فقد قام للإسلام كيان وجود واقعي، وتحققت للمسلمين في المدينة وجود عملي، مارسوا به سلطانهم وأدوا من خلاله خلافتهم، وطبقوا فيه تشريعات دينهم، وعندما أصبح للوراثة الإيمانية في المدينة كيان واقعي عملي مستقل، فناسب أن يُحرم اليهود بعد ذلك من صلتهم الدينية بإسرائيل عليه السلام، وأن يفقدوا اسم بنى إسرائيل، ليكونوا يهوداً أعداء لله ولرسوله وأشد الناس عداوة للذين آمنوا.

سادساً: ورود كلمة «اليهود» ثمانية مرات في سور مدنية دليل على ما أشرنا إليه قبل قليل، من اعتبارهم أعداء للأمة الإسلامية. وعدم ورود هذه الكلمة في السور المكية يؤخذ منه الحكمـة التي بينها في النقطة الخامسة السابقة.

سابعاً: المرات الثمانية التي وردت فيها كلمة اليهود، كلها في سياق واحد، وهو ذم اليهود، وتفنيـد مزاعمـهم وادعـاءـهم، وكشف تحريفـاتـهم للعقيدة والإيمان والدين والتاريخ، وبيان شدة عداوتـهم للأمة المسلمة، وحسدهـم لهاـ، وحرصـهم علىـ ردـتهاـ وإخراجـهاـ منـ دينـهاـ.

وهذا هو الاسم الذي يليـقـ بهاـ الشـعبـ المـلعـونـ، وهو يـلقـيـ عليهم ظـلالـهـ منـ اللـعـنـ والـذـمـ والـمـقـتـ والـغـضـبـ.

اليهود يستغلون اسم إسرائيل

يحرص اليهود على أن يظهروا أمام العالم بمظهر المؤمنين المتدينين، ورثة الديانات السابقة والأنبياء السابقين، ويحرصون أيضاً أن يبدوا أمام أنفسهم وأمام الشعوب الأخرى وثيقى الصلة والارتباط بأنبيائهم ورسالاتهم ومقدساتهم، ويحرصون على أن يُفهموا العالم أنهم هم وحدهم شعب الله المختار المفضل على العالمين، أو أبناء الله وأحباؤه كما يزعمون.

ويتجلى هذا الحرص في إظهار كل ما يربطهم بإسرائيل - يعقوب - عليه السلام، وقد بُرِزَ هذا عندما أقاموا دولتهم المعاصرة في فلسطين، حيث اختاروا لها هذا الاسم «إسرائيل»، ليُظهروا للناس ارتباطهم بإسرائيل وتنفيذهم لتعاليمه وتحقيقهم لنبوءاته.

كما يتجلّى هذا الحرص في إضافتهم الصبغة الدينية التوراتية على كل ما يقدرون عليه، فاسم دولتهم إسرائيل، واسم إذاعتهم صوت إسرائيل، واسم بنكهم المركزي بنك إسرائيل، والأراضي التي احتلوها أرض إسرائيل، والبقاع التي سيطروا عليها أسماؤها يهودية مثل: يهودا، والسامرة، وأورشليم، وخليج إيلات، وخليج سليمان.

ولغتهم هي اللغة العبرية، وهم يُسمون أحياناً العبرانيون، ولعل هذا مأخوذ من فعل إبراهيم عليه السلام عندما عبر أرض العراق والشام ليقيم في فلسطين - والله أعلم -.

وهم يظهرون أمام الناس متمسكون بالديانة اليهودية في عطلة السبت ومنع الأعمال في ذلك اليوم، وفي عيد الغفران والمظلة، وفي الصيام والطعام والذبائح.

وهم في الحقيقة مستغلون لهذه الأشياء والمعاني استغلالاً، وقد وضح لنا من خلال الكلام السابق أنهم لم تعد تربطهم بإسرائيل عليه السلام رابطة ولا صلة، بل نحن أولى بإسرائيل منهم لأننا ورثته الحقيقيون.

نحن وأنبياء بنى إسرائيل

بعض العرب الذين يزعمون أنهم في مواجهة اليهود في هذه الأيام - وبخاصة أصحاب النزعة القومية العربية - يرفضون كل تاريخ بنى إسرائيل منذ يعقوب عليه السلام، ويرفضون كل ديانات وكتب بنى إسرائيل السماوية الربانية والأرضية المحرفة، ويرفضون كل أشخاص بنى إسرائيل وزعمائهم وقادتهم ومصلحיהם منذ يعقوب عليه السلام، ويُدخلون أسماء أنبيائهم ورسلهم ضمن هذا الرفض والبغض والعداء والذم، ويزعمون أنهم بهذا يخدمون القضية وينجحون في محاربة خصومهم اليهود.

وموقف هؤلاء القوميين العرب مرفوض عندنا - نحن المسلمين الأمانة المخلصين للقضية الفلسطينية، والغير الحقيقيين عليها، والناجحين بإذن الله في القضاء على البغي اليهودي فيها -، مرفوض عندنا لأننا ننطلق في مجاهدتنا لليهود من قرآننا وإسلامنا، ونلتزم بتوجيهات ديننا وتعاليم ربنا.

نحن نؤمن بأنبياء بنى إسرائيل الذين أخبرنا الله عنهم، ونحبهم ونصلّي عليهم ونقتدي بهم، ونتزههم عن كل نقص وظلم وتشویه. لا فرق عندنا بين أنبياء العرب مثل: هود، صالح، شعيب - كما في الحديث الصحيح - وأنبياء بنى إسرائيل مثل: يعقوب، يوسف، موسى، وهارون، داود، سليمان، وزكريا، ويحيى، وعيسى - عليهم الصلاة والسلام - ونعتقد أننا

أولى بهؤلاء الأنبياء من بنى إسرائيل كما علمنا رسول الله ﷺ.

نحن أولى بأبيائهم منهم:

روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعة له أعطي بها شيئاً كرهه أو لم يرضه، قال: لا، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر. قال: فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه، قال: تقول والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر رسول الله ﷺ بين أظهرنا؟! قال: فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: يا أبا القاسم إنَّ لي ذمة وعهداً، وقال: فلان لطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «لِمَ لطمت وجهه؟» قال: قال يا رسول الله، والذي اصطفى موسى عليه السلام على البشر، وأنت بين أظهرنا!! قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى عُرف الغضب على وجهه. ثم قال: «لَا تفْضُلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ، إِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَيُصْعِقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعْثَرَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعْثَرَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخَذَ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحْوَسْ بِصُعْقَتِهِ يَوْمَ الْطُّورِ، أَوْ بُعْثَرَ قَبْلِي؟ وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنَ مَتْئَى عَلَيْهِ السَّلَامُ...».

وروى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِيمَ رسول الله ﷺ المدينة، فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: يوم صالح نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. فقال ﷺ: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ. فَصَامَهُ وَأَمْرَ بِصِيَامِهِ».

نحن أولى بموسى منهم: شعار دائم، وقاعدة عامة يعتقدها المسلمون دائماً، ويعتبرون أنفسهم أولى بأنبياء بنى إسرائيل من اليهود أنفسهم، ونعتقد أن كل من أنكر نبوة أحد هؤلاء فقد كفر، وأن كل من أبغضه وانتقصه وذمه فقد كفر، والله عز وجل يقول: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيُرِيدُونَ

أَن يُفْرِقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَضٍ وَنُكَفِّرُ بَعْضًا، وَيَرِيدُونَ أَنْ
يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا. أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَتَّىٰ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا
مُهِمَّاً. وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَمْ يُفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ سُوفَ
يُؤْتَوْهُمْ أَجْوَرَهُمْ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾.

(١) النساء: ١٥٠ - ١٥٢.

التفريق بين الحق والباطل في تاريخبني إسرائيل

يجب أن يفرق أبناء أمتنا - وبخاصة أصحاب الفكر القومي منهم - بين اليهود وبني إسرائيل فلا يطلقون اسم «بني إسرائيل» إلا على المؤمنين منهم، الداخلين في دين الإسلام، بينما يطلقون اسم «اليهود» على الجاحدين الكافرين منهم، بعد بعثة النبي ﷺ - كما مرّ معنا -. يجب أن يفرق هؤلاء بين التوراة، الكتاب الإلهي الكريم المقدس، الذي أنزله الله على موسى عليه السلام نوراً وهدىً وضياءً ورحمة لبني إسرائيل، وبين التوراة «العهد القديم» التي تناولتها الصناعة البشرية اليهودية الحاقدة بالتروير والتحريف، وطمست بذلك ما فيها من نور وهدى ورحمة، وحولتها إلى كتاب من الأساطير والخرافات، ومستودع للعنصرية والإفساد والتدمير.

يجب أن يفرق هؤلاء بين الشريعة الربانية الهادبة التي أنزلها الله على موسى في «الألواح» وبين «التلمود» شريعة اليهود الوضعية، الذي كتبه اليهود وجعلوه مدرسة للتغريب والتعالي والهمجية والعنصرية والضلالة.

يجب أن يفرق هؤلاء بين موسى عليه السلام، الرسول الكريم كما يصوّره القرآن الكريم، وبين موسى اليهودي كما تعرضه التوراة اليهودية المحرّفة.

وفرق بعيد بين داود وسليمان عليهما السلام، النبّيُّين الكريمين والملَكَين الداعيَّين، وال الخليفتَين الربانيَّين، والعادلَين الصالحيَّين - كما

يصورُهما القرآن الكريم - وبين داود وسليمان الملائكة اليهوديَّين اللذِيْن ارتكبا
- حسب تحريف اليهود - ما ارتكبنا من سفك الدماء وقتل الشعوب والانتهازية
والافتراء وسوء الأخلاق.

نحن أولى بهؤلاء الأنبياء الـكرام من اليهود الكاذبين المفترين، وكلَّ من
لم يفرق هذه التفرقة لا يكون على دين الإسلام، ولا يسير في الطريق
الصحيح، وليس مؤهلاً للقضاء على إفساد اليهود العاتي.

الفصل الثاني

خَلَاصَةُ تَارِيخِ الْيَهُودِ
مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ

منهج البحث في تاريخهم

المسلمون ملزمون بالالتزام نصوص القرآن وتوجيهاته حول الموضوعات والقضايا المختلفة، ومنها الحديث عن اليهود وتاريخهم.

لذلك فإننا في بحثنا هذا عن اليهود نلتزم بنصوص القرآن حولهم وحديثه عنهم. إن هذا القرآن هو الكتاب الوحيد الذي سليم من التحريف والتبدل، لأن الله العلي العظيم تكفل بحفظه، لذلك فكل نصوصه قد تحقق لها الصدق التاريخي والثبوت القطعي.

ثم إن هذه النصوص القرآنية قد توفر فيها الصدق الواقعي، بمعنى أنها صادقة فيما تقرره من حقائق، وما تعرسه من مشاهد، وما تقدمه من حلقات وتقريرات. إن كل ما ورد في القرآن فإننا نعتقد - مؤمنين جازمين - أنه هو الذي قد وقع كما قرر القرآن؛ لأن القرآن كلام الله، والله بكل شيء عليم، ما يغيب عنه - سبحانه - من شيء في الأرض ولا في السماء، فما أخبرنا الله به من أحداث التاريخ الماضي فقد وقع تماماً كما أخبر، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ بِقِيلَةٍ﴾^(١)، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلَةً﴾^(٢).

فلا يجوز محاكمة القرآن للتاريخ الذي كتبته أيدي البشر، وبخاصة

(١) النساء: ٨٧.

(٢) النساء: ١٢٢.

اليهود الذين يعتمد المؤرخون عليهم في الأحداث السابقة من التاريخ البشري، لأن التاريخ البشري نتاج البشر وعلمهم ومعارفهم، وهذا يعترى به دائمًا النقص والخطأ والضعف والنسيان والتحريف والتزيف، أما القرآن فإنه كلام الله المتنزه عن هذه الناقص.

كذلك التاريخ البشري «مولود» حديث العهد، فاته الكثير من الحلقات والأحداث الماضية، ولم يعرف البشر عنها شيئاً. أما القرآن فإنه كلام الله الذي كان مطلعاً على البشر أينما كانوا، يعلم ويرى ما يعملون ويسمع ما يقولون.

الحلقات المفقودة من تاريخهم

إذا ما التزمنا بالمنهج السابق، واكتفينا بما يقدمه القرآن عن تاريخهم، فإننا لن نعرف الكثير من أحداث تاريخهم، فماذا نفعل؟

إن هذا صحيح، لأن القرآن الكريم لم يتبع - في حديثه عنبني إسرائيل - طريقة التفصيل التاريخي الدقيق لأحداثهم ووقائعهم ويومياتهم، لأنه لا يتفق مع منهجه في العرض التاريخي، ذلك المنهج الذي يبرز أهم المشاهد واللقطات، ويقف عندها ليستخلص منها الدلالات والدروس، ويتحقق من خلالها هدفه من القصص والتاريخ.

إن القرآن قد عرض أمامنا بعض مشاهد من تاريخهم، وأرانا أهم اللقطات من هذا التاريخ، وهذا يعني أن كثيراً من أحداث حياتهم قد أغفله القرآن وأسقطه، وهذا يعني أن هناك «حلقات» من تاريخهم قد تجاوزها القرآن عمداً لا نسياناً.

ونعتقد أن هذه الحلقات المفقودة - إذا جاز هذا التعبير - لا ضرورة لها عند الناظر في تاريخ اليهود، ولا تقدم له الكثير من الفوائد والدروس والدلائل. ونعتقد أن الوقوف أمام الحلقات التي عرضها القرآن، والمشاهد التي قدمها يكفي الباحث، ويقدم له الكثير من الدروس والدلائل وال عبر والعظات.

فإذا ما تجاوز الباحث تقريرات القرآن إلى تفصيلات لم ترد فيه، فإنه

لن يجد عندها جديداً من الدروس والدلائل، ولن يحصل فيها على حقائق ومسلمات يقينية، ولن يجد فيها إلا «ركاماً» من الأقوال والروايات والتفصيلات الأسطورية.

لهذا فنحن نأخذ على كثير من المؤرخين المسلمين، الذين تجاوزوا العرض القرآني وراحوا يطلبون من اليهود أن يحدثوهم عن الأحداث التي أغفلها القرآن، والحلقات التي أسقطها، وعرضوا علينا في «تاریخهم» الكثير من الركام والهراء الذي لا يثبت أمام التحقيق التاريخي، وهذه ضرورة يدفعها كل من لم يكتف بالقرآن العظيم.

اليهود يحرّفون التاريخ لصالحهم

اليهود ليسوا أمناء على شيء، فما ائتمنا على شيء إلا خانوا الأمانة ونقضوا العهد.

نحن نعلم يقيناً أن التوراة - وغيرها من كتب الله إليهم - قد اعتدى عليها اليهود بالتحريف والتحوير والتبدل، فتحولت من كتاب سماوي إلى صناعة بشرية باطلة، وعمل يهودي مرفوض.

وقد عرض اليهود في التوراة كثيراً من أحداث التاريخ السابق على وجودهم، وهذا العرض يحمل طابع الصناعة الفكرية اليهودية من التحريف والتزيف والافتراض.

ولما وصل اليهود في كتابتهم للتوراة إلى تاريخهم، وعرضوا أحداث حياتهم، صاروا يكتبون هذا على مزاجهم، ويحرّفونه على هواهم، ويجيّرونها لصالحهم.

وكل من قرأ في التوراة، التي تكفلت بالحديث المفصل عن تاريخبني إسرائيل في مختلف فترات حياتهم، فإنه يراها «منحازة» انحيازاً تاماً لليهود، فهم الشعب الذي الفطن المتفوق، وهو أبناء الله وأحباؤه، والله خلق العالم من أجلهم وسخره لخدمتهم، وكل الشعوب «عبيد» للسيد اليهودي العتيد.

ولقد ظهر اليهود من خلال التوراة اليهودية شعباً عنصرياً أنانياً متكبراً،

يستعلي على غيره، ويمتص دماءه وخیراته. المدى والحق والفضيلة والخلق والسعادة والحياة وقف على اليهودي الذي منحه رب كل شيء، وحرم الآخرين من كل شيء.

حتى ربهم «يئوه» رب خاص بهم، لا يهتم إلا بهم، ولا يسعى إلا إلى مصلحتهم، لقد «فصلوه» على المقاس اليهودي الحاقد..

التاريخ الذي سجله اليهود في توراتهم تاريخ محرّف ومزور وزائف، «فصل» على مقاسهم، ومكتوب لمصلحتهم، والعجيب أن كثيراً من المؤرخين يعتمدون هذا التاريخ في البحث عن أحوال البشرية في حياتها الماضية، وعن تاريخ اليهود «شعب الله المختار».

يعقوب وأولاده الاثنا عشر

إذا بدأنا مع بني إسرائيل من البداية الأولى من وجودهم في التاريخ، فإننا سنبدأ من يعقوب وابنه يوسف عليه السلام.

فيعقوب هو إسرائيل - كما مرّ معنا فيما سبق - وهو أصل بني إسرائيل والدهم الذي عنه تفرعوا.

ولقد كان ليعقوب اثنا عشر ولداً، منهم النبي الله الكريم يوسف عليه السلام، والدليل على ذلك ما قاله يوسف لأبيه يعقوب - عليهما السلام - بعدما رأى رؤياه: ﴿ يَا أَبِّي إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً، وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين﴾^(١).

وقد حقق الله له هذه الرؤيا عندما قدم إخوته عليه وخرروا له سجدة - وهم الأحد عشر كوكباً - وقدم معهم أبواه وسجدا له كذلك - وهما الشمس والقمر - وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَرَفِعَ أَبُوهُهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَخَرُّوا لَهُ سُجْدَةً، وَقَالَ: يَا أَبِّي هَذَا تَأْوِيلُ رَؤْيَايَ مِنْ قَبْلٍ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾^(٢).

في يوسف عليه السلام وإن كانوا الأحد عشر هم أجداد بني إسرائيل، الذين تفرعت عنهم أسباطهم وقبائلهم.

والدليل على هذا: أن موسى عليه السلام قد استسقاه بنو إسرائيل عندما

(١) يوسف: ٤.

(٢) يوسف: ١٠٠.

كانتوا معه في الصحراء، فاستسقى موسى لقومه طالباً من ربه الماء، فأمره الله أن يضرب بعصاً الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْتَسَقَ مُوسَى لِقَوْمَهُ، فَقَلَّنَا أَضْرَبَ بِعَصَمَ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثنتاً عَشْرَةً عَيْنًا، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مُشَرِّبَهُمْ﴾^(١). فلماذا هذه العيون الكثيرة، وعين واحدة تكفيهم؟ الجواب في قوله تعالى: ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْاسٍ مُشَرِّبَهُمْ﴾ يعني أن كل سبط من أسباط بنى إسرائيل - والسبط هو القبيلة - الاثنى عشرة كانت له عين خاصة له، يستعملها أفراده، ولا يقربها أفراد السبط الآخر.

إقامة يعقوب وأولاده جنوب فلسطين:

هذا وقد كان يعقوب - ومن قبله إسحاق وإبراهيم - عليهم الصلاة والسلام مقاماً في فلسطين، عابداً لله وداعياً إليه، نبياً كريماً و بشيراً نذيراً . قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ. وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً، وَكَلَّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾^(٢).

وكان أولاد يعقوب عليه السلام يتقلون بين فلسطين ومصر طلباً للتجارة والطعام والغذاء، كما كانوا أصحاب ماشية وأنعام.

ويبدو أنهم كانوا يقيمون في جنوب فلسطين في بئر السبع وما حولها والدليل على هذا أنهم لما لحقوا بيوسف عليه السلام في مصر، قرر أنهم جاءوا من البدو: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ، مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَّغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْرَوْتِي﴾^(٣)، فلو كانوا يقيمون في مدن فلسطين - المعروفة في ذلك الزمان - مثل: الخليل، أو القدس، أو نابلس لما قال يوسف عليه السلام: «وجاء بكم من البدو».

والبدو خلاف الحضر - كما قال الإمام الراغب في المفردات - وهو مأخوذ من البدية، وسميت بهذا الاسم لأنها تُبدي وتُظهر للناظر كل ما عليها:

(١) البقرة: ٦٠.

(٢) الأنبياء: ٧١ - ٧٢.

(٣) يوسف: ١٠٠.

(البادية هي كل مكان يبدو ما يعن فيه - أي يعرض - ويقال للمقيم في البادية باد^(١).

وتخبرنا سورة يوسف أن يعقوب عليه السلام وأولاده الأحد عشر خرجوا من بادية جنوب فلسطين إلى مصر، بعدما مكّن الله ليوسف عليه السلام في مصر، وجعله القائم على خزائنهما، والمسؤول عن تموينها واقتصادها، وصاحب الكلمة الأولى فيها.

الهجرة الأولى لبني إسرائيل إلى يوسف في مصر:

طلب يوسف عليه السلام من إخوته بعدما عرفوه وكشف نفسه لهم أن يعودوا ليحضروا أهلهم ليقيموا معه: ﴿اذهبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِ يَأْتِ بَصِيرًا، وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(٢).

وأقبل يعقوب عليه السلام يقود أهله وأولاده إلى ابنه يوسف في مصر، ودخلوا عليه ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آتَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ، وَقَالَ: ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمْنِينَ. وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدَةً﴾^(٣).

وأقام بنو إسرائيل في مصر، وتمثل هذه المرحلة الهجرة الأولى لبني إسرائيل، والخروج الأول من تاريخهم الطويل، الذي قام على المigrations المتتابعة من بلد إلى بلد، والخروج المستمر من منطقة إلى منطقة، والانتقال الدائم من إقليم إلى إقليم! .

حلقات مفقودة عن تاريخهم في مصر:

وتقف نصوص القرآن بنا عند الحلقة الأخيرة من هذه المرحلة، واللقطة الأخيرة من هذا المشهد فلا تخبرنا عن ما جرى لهم بعد ذلك في مصر في عهد يوسف عليه السلام، ولا في العهد القريب منه الذي جاء بعده.

(١) المفردات: ٤٠.

(٢) يوسف: ٩٣.

(٣) يوسف: ٩٩ - ١٠٠.

لذلك لا نعرف ما جرى ليعقوب عليه السلام بعد ذلك، ولا نعرف أين مات ولا أين دفن؟ كما لا نعرف كم استمر حكم يوسف عليه السلام لمصر، ولا كيف كانت نهايته ووفاته، كما لا نعرف ماذا فعل خليفة يوسف عليه السلام ببني إسرائيل، ولا من جاء بعده، ولا نعرف أيضاً أين أقام بنو إسرائيل في مصر، ولا عن طبيعة صلتهم بالمصريين، ولا عن أخلاقهم وأعمالهم وحياتهم معهم.

ولقد تحدث اليهود في توراتهم «البشرية» كثيراً عن هذه التفصيات، وأجابوا على هذه التساؤلات، ولكننا لا نرى جواز الأخذ عنهم في هذا التعارض مع منهج البحث العلمي اليقيني كما يقرره القرآن.

وقد أقبل مؤرخون وأحباريون من المسلمين على تفصيلات اليهود في توراتهم عن هذه الفترة، فأخذوها واعتمدوها وسجلوها في كتب الأخبار والتاريخ وبعض كتب التفسير بالتأثر، وغفر الله لهم فإننا لا نوافقهم في ما فعلوه.

لهذا يسعنا ما وسع الصحابة في هذا الأمر، ونكتفي بالجانب الذي عرضه القرآن، وتجاوزت هذه المرحلة من تاريخ بني إسرائيل في مصر زمن يوسف عليه السلام.

يعقوب يوصي أولاده بالإسلام:

كلُّ ما أخبرنا عنه القرآن هو اللحظات الأخيرة من حياة يعقوب عليه السلام، والتي - كما يبدو من القرآن - كانت في مصر، وبين أولاده. قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بْنِهِ وَيَعْقُوبَ: يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ، فَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. أَمْ كَتُّمْ شَهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ، إِذْ قَالَ لِبْنِيهِ: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

(١) البقرة: ١٣٢ - ١٣٣.

إن يعقوب النبي الكريم داعية إلى الله في كل لحظات حياته، وما ترك الدعوة حتى في اللحظات الأخيرة، وإن يعقوب النبي الكريم عليه السلام يوصي أولاده بالإسلام والإيمان وعبادة الله، ويجمعهم عندما حضره الموت ليذكّرهم بهذه الحقيقة، ويوصيهم أن يتلذّمواها، ويأخذ عليهم العهد أن لا يخالفوها.

وهذا ما يهم القارئ والناظر في التاريخ أن يعرفه، وما يمكن أن يستفيد منه من حياة يعقوب في مصر عليه السلام. إنه يأخذ منه الدروس والعبر في الدعوة إلى الله، والتذكير بها والوصية بها، إنه يقتدي بالنبي الداعية يعقوب عليه السلام.

موت يوسف والتعبير عنه بالهلاك:

استوقفتنا كلمة وردت في آية قرآنية أشارت إلى موت يوسف عليه السلام، فقد عبرت الآية عن موته بالهلاك، وجاء ذلك على لسان الرجل الداعية «مؤمن آل فرعون» وهو يدافع عن موسى عليه السلام ويدعو فرعون وقومه إلى الإسلام، قال لهم: «ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبيانات، مما زلتُم في شكٍّ مما جاءكم به، حتى إذا هلك، فلتتم لن يبعث الله من بعده رسولًا»^(١).

وهنا نقف لتساءل عن الحكمة من التعبير عن موت يوسف عليه السلام بكلمة «هلك»؟

فنحن كما قررنا لا نعرف كيف مات يوسف في مصر عليه السلام، لأن النصوص الصادقة القاطعة لم تبين ذلك.

والرجل عندما قال: «حتى إذا هلك» لم يكن سيء الأدب مع يوسف عليه السلام لأنه رجل مؤمن داعية، والمؤمن مؤدب عندما يتحدث أمام الأنبياء، ومؤدب عندما يتحدث عن الأنبياء.

(١) غافر: ٣٤.

لا بد من حكمة في عدول القرآن عن كلمة «مات» إلى كلمة «هلك».

قال الإمام الراغب الأصفهاني في المفردات:

(الهلاك على ثلاثة أوجه: افتقاد الشيء عنك وهو عند غيرك موجود.

و هلاك الشيء باستحالة و فساد. والثالث الموت).

وعن الهلاك الثالث يقول: (الثالث الموت كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْرُوا
هُنَّا﴾^(١) أي مات. وقال تعالى مخبراً عن الكفار ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا
الدَّهْر﴾^(٢) ولم يذكر الله الموت بلفظ الهلاك - حيث لم يقصد الذم - إلا في
هذا الموضع ...).

وعن الآية التي تتحدث عنها، اعتبر الهلاك فيها بمعنى الموت، قال:
(وفي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفَ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ، فَمَا زَلْتُمْ فِي شُكْرٍ
مَا جَاءَكُمْ بِهِ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ قَلْتُمْ لَنْ يَعْثُثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ وذلك
لفائدة يختص ذكرها بما بعد هذا الكتاب)^(٣).

ولم يرد الراغب أن يبين الفائدة والحكمة في المفردات، لأنه ليس
ميداناً لها ولأمثالها، ولذلك يتبينها في كتاب آخر كتبه بعد المفردات، ودلل عليه
قوله عنه في المقدمة: (وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الأجل،
بكتاب يبني عن تحقيق الألفاظ المتراوفة على المعنى الواحد، وما يتبينها من
الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المتراوفة
دون غيره من أخواته)^(٤).

الحكمة من التعبير عن موت يوسف بالهلاك:
لم نطلع على الكتاب الذي أشار إليه الراغب فيما سبق، وكم فاتنا من

(١) النساء: ١٧٦.

(٢) الجاثية: ٢٤.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٥٤٥.

(٤) مقدمة المفردات: ٦.

علم إذ لم نطلع على فائدة الراغب تلك، لأننا عرفناه عالماً متفرداً وإماماً عظيماً في تفسير القرآن، ويقدم إضافات ولطائف وفوائد لا تخطر على بال كثير من المفسرين، ويعجز عن تقديمها كثيرون آخرون.

ولقد اطلعت على عدة تفاسير في تفسيرها لهذه الآية، علىٰها تحدث عن الحكمة من ذلك، ولم أجد فيها أية إشارة، فضلاً عن الوقف عندها!!

لهذا أستمد العون من الله، وأطلب منه التوفيق والسداد وأقول:

لعل الحكمة - والله أعلم - أن المصريين كانوا ينظرون إلى يوسف عليه السلام نظرة خاصة، فيها الكثير من العداء والكراءة والبغض، ولعل من أسباب هذه النظرة كونهنبياً داعياً إلى توحيد الله وعبادته، وهم كانوا كافرين مشركين، ولذلك لا يرتحون لدعوته ولا يؤيدونها.

ولعل من أسبابها أيضاً أنه كان أجنبياً خارجياً، لأنه ليس مصرياً فنظروا له من هذه الزاوية القومية الإقليمية، ولذلك لم يرتحوا له.

ولعل من أسباب هذه النظرة أيضاً كراهية وبغض المصريين «لبني إسرائيل» الذين أسكنهم يوسف في مصر، فاعتبرهم المصريون «مستعمرین» أو على الأقل مشاركين لهم في ثرواتهم ومزاحمتهم لهم في اقتصادهم، وقد ساعدت هذه الأسباب الثلاثة وغيرها على تكوين هذه النظرة منهم ليوسف عليه السلام.

ونتيجة لهذه النظرة العدائية كانوا - من الناحية النفسية - يتمنون موت يوسف عليه السلام ويتظرون به فارغ الصبر، حتى يستريحوا منه، بل لعلهم كانوا يتمنون لو يقدرون على قتلها وإلاكه، ويبدو أن عجزهم سببه هو حماية ودعم ملك مصر له، أو عرفائهم بجميله عندما أنقذهم من خطر المجاعة سبع سنوات، وأدار اقتصادهم أحسن ما تكون الإدارة، وتجاوز به تلك المحنة.

فما أن مات يوسف عليه السلام حتى تفسوا الصعداء، وحققوا الراحة النفسية.

لعله لأجل هذه الإيحاءات والظلال والمعاني والأسباب عبر القرآن عن موت يوسف بالهلاك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الحلقات المفقودة ما بين يوسف وموسى عليهما السلام:

لا تتحدث النصوص القرآنية والحديثية عن بنى إسرائيل بعد يوسف عليه السلام، ولا تشير إلى ما جرى لهم في هذه الفترة حتى قرب عهد موسى عليه السلام، ولا تبين كم بقي بنو إسرائيل في مصر في تكرييم وإعزاز، ولا تحدد الفترة التي بدأ فيها اضطهاد المصريين لهم، وتعذيب الفراعنة لهم. ولا عن أسباب هذا الاضطهاد.

ولذلك لا يمكن لباحث يحترم نفسه ويبحثه، ويحترم عقول القراء ويقدر ما يقدمه لهم أن يخوض في هذا، وأن يذهب في تفصيله إلى توراة بنى إسرائيل المحرفة، أو إلى رواة الأساطير من الأخباريين.

لهذا نتجاوز الحديث عن هذه الحلقات المفقودة من تاريخ بنى إسرائيل في مصر، ونقلب صفحات هذا التاريخ، لنراهم وقد ابتلتهم الله باضطهاد فرعون.

فرعون يضطهد بنى إسرائيل:

وأشار القرآن الكريم إلى اضطهاد فرعون لبني إسرائيل، لكنه لم يبيّن السبب الذي دفعه إلى هذا، وحمله على إيقاع الاضطهاد والعذاب بهم، ولذلك لا نعتمد ما ذكره بعض الأخباريين المسلمين عن الإسرائيлик حول هذه الأسباب.

وقد كان اضطهاد فرعون قاسياً، لأن فرعون كان ظالماً باగياً، مدعياً أنه رب الأعلى، وكان اضطهاده لهم يتجلّى في تقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم واستعبادهن.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً،

يستضعف طائفةٌ منهم: يُذَّبَّحُ أَبْنَاءَهُمْ، ويُسْتَحِيَّ نِسَاءَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فَرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَيُذَّبَّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ، وَيُسْتَحِيَّنَّ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فَرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ: يُذَّبَّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ، وَيُسْتَحِيَّنَّ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فَرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ: يَقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ، وَيُسْتَحِيَّنَّ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(٤).

إنَّ آية سورة القصص - الأولى في هذه المجموعة - تذكر صفات حكم فرعون، وهي نفسها صفات وخصائص وسمات كل حكم جاهلي جائر ظالم متكبر.

وإنَّ فرعون سلك وسيلة خبيثة في اضطهاد بنى إسرائيل وتعذيبهم: إنه لا يريد أن يقتلهم جميعاً، ولكنه يريد أن يقتل العزة والكرامة والرجلة فيهم، وأن يجعلهم يعيشون حياة الذل والهوان والعبودية، وهذا تفكير الشيطاني إلى أن يقتل الأبناء الذكور ويستحيي بناتهم - أي يقيئن أحياه -.

وهذا عذاب أليم بلا ريب، وهو بلاءٌ مبين عظيم كما قرر القرآن وإن فرعون والله كانوا يسومونهم سوء العذاب، والسوء هو طلب الشيء وابتغاؤه واستمراره.

قال الراغب: (السوم: أصله الذهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظ لمعنى

(١) القصص: ٤.

(٢) إبراهيم: ٦.

(٣) البقرة: ٤٩.

(٤) الأعراف: ١٤١.

مركب من الذهاب والابتغاء... وأجري مجرى الذهاب في قولهم: سامت الإبل فهي سائمة، ومجرى الابتغاء في قولهم: سمت كذا، ومنه قيل: سيم فلان **الخَسْفَ**، فهو **يُسَامُ الْخَسْفَ**)^(١). فكان عذابهم دائماً مستمراً بلا انقطاع، كما كان نتيجة ابتغاء فرعون والله، وطلبهم وتحطيطهم ومكرهم.

ولادة موسى عليه السلام ونجاحه:
 أراد الله سبحانه وتعالى أن يولد موسى وأن يعيش، وأن ينجو من اضطهاد فرعون وقتله له وهو صغير، ولذلك قدر الأمور وهي الأسباب.

قال تعالى: ﴿وَأَوْحِينَا إِلَى أُمّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ، فَإِذَا خِفْتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي، وَلَا تَحْزِنِي. إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ. وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمَرْسَلِينَ. فَالْتَّقْطُةُ آلُ فَرْعَوْنَ لِيَكُونَ هُمْ عَدُوًا وَحَزَنًا. إِنَّ فَرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا حَاطِشِينَ. وَقَالَتْ امْرَأَةٌ فَرْعَوْنَ قُرْبَةٌ عَيْنٌ لِي وَلَكَ. لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَهُ وَلَدًا. وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَأَصْبِحَ فَؤَادُ أُمّ مُوسَى فَارِغاً. إِنْ كَادَتْ لَتُبَدِّي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ قُصَّيْهُ، فَبَصَرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمَنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعُ مِنْ قَبْلِهِ. فَقَالَتْ: هَلْ أَدْكُمُ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ؟ فَرَدَّنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقْرَأُ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ، وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَلِمَا بَلَغَ أَشْدَهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَكَذَلِكَ نَجَزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

وندعوا إلى إطالة الوقفة أمام هذه الآيات التي تعرض طفولة موسى عليه السلام ونجاحه، لتأخذ منها الدروس العديدة في العقيدة والدعوة والحياة، والإيمان والمعركة والمواجهة. كما ندعوا إلى ملاحظة التقدير الرباني فيها، والجنود الربانيين الذين لا يعلمهم إلا هو، والذين أدوا مهمتهم وقاموا بواجبهم: التابوت الذي ضمّ موسى، واليَمُّ الذي حمل موسى، وقلب امرأة

(١) المفردات: ٢٥٠.

(٢) القصص: ١٤ - ٧.

فرعون الذي رَقَ لموسى ، وفرعون - نعم فرعون نفسه - الذي وافق على إبقاء موسى عنده ، وأخت موسى التي قصَّتْ أثره . . . و . . . شَفَّتا موسى اللتان رفضتا كلَّ المراضع والثُدِيَ والحلِيب بإصرار وإرادة ، وغير ذلك . .

ندعو القارئ إلى هذا ليعرف أن ما أراده الله كان ، وأن كلَّ من واجه الله وحاربه مهزوم ، وأنَّ من كان مع الله سُخْرٌ له الأسباب ، ليوظف هذا في ثباته واستعلائه ، وإيمانه وصبره وجهاده .

موسى يخرج إلى مدين :

شَبَّ موسى عليه السلام في قصر فرعون ، مؤمناً بالله موحداً له . . . وذات يوم رأى رجلاً من بنى إسرائيل في خصم مع رجل من القبط الأعداء ، فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه ، فضرب موسى القبطي ضربة مات على أثرها ، وعرف ملأ فرعون بأنَّ موسى هو القاتل ، وجاء رجل مؤمن من أقصى المدينة يسعى نحو موسى لينجده ، وينصحه بالخروج من المدينة قبل أن يُعتقل ويُقتل .

ويخرج موسى تلقائة مدين ، ويستقي للفتاتين المؤمنتين بنتي العبد الصالح ، ويكرمه ذلك المؤمن بأن يزوجه إحدى ابنته ، على أن يعمل عنده عشر سنوات ، ويعمل موسى عنده ، ويقضى الأجل المتفق عليه .

موسى رسول الله لإنقاذ بنى إسرائيل :

عاد موسى عليه السلام بأهله إلى مصر ، وفي الطريق ﴿آنَسَ من جانب الطور ناراً ، فقال لأهله : امكثوا إبني آنستُ ناراً ، لعلي آتيكم منها بخبر ، أو جَذْوة من النار لعلَّكم تَضَطَّلون . فلما أتاهما نُودي من شاطئ الْوَادِ الأيمن في البقعة المباركة : أنْ يا موسى إني أنا الله ربُ العالمين﴾ .

وهناك كَلَمُ الله موسى تكليماً ، وجعله نبياً رسولًا ، وكَلَفَه بالذهاب إلى فرعون الطاغية ليرسل معه بنى إسرائيل ، وأعطاه آيتين بيتين ومعجزتين ظاهرتين : يُلْقِي عصاه على الأرض ف تكون حيَّة تسعى ، ويُضع يده في جيده ثم

يخرجها منها فتحول من الأدمة والسود إلى البياض الخالص من غير سوء، وجعل الله مع موسى عليه السلام أخيه هارون نبياً يساعده ويشد أزره.

وقد كانت مهمة موسى عند فرعون محددة وهي : أن ينقد بنى إسرائيل من الاضطهاد الفرعوني ، وأن يسمح لهم بالخروج معه من مصر .

وهذا ما ورد في آيات القرآن التي حددت مهمة موسى وهارون - عليهما السلام - عند فرعون بالنص .

قال تعالى : ﴿ فَأَتَيْاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّكَ . فَأَرْسَلَ مَعَنَا بْنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ، قَدْ جَئْنَاكَ بِآيَةً مِّنْ رَبِّكَ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَتَيْا فَرَعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَنْ أَرْسَلْ مَعَنَا بْنِي إِسْرَائِيلَ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاءُهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ . أَنْ أَدْوِا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾^(٣) .

هذه هي المهمة : أرسل معنا بنى إسرائيل . وهذا ما طلبه موسى عليه السلام من فرعون وملئه : أدوا إلى عباد الله ؛ حتى أخرج بهؤلاء العباد من بلادكم .

وهكذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يرفع عن بنى إسرائيل البلاء المبين المتمثل في الاضطهاد الفرعوني الرهيب ، وكان إرسال موسى وأنبيه هارون - عليهما السلام - إظهاراً لهذه الإرادة الربانية ، وتحقيقاً لها في عالم الواقع ، وتفسيراً عملياً لقوله تعالى : ﴿ وَنَرِيدُ أَنْ نَمَّنَّ عَلَى النَّاسِ إِنَّمَا يَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ ، وَنَجْعَلُهُمْ أَثْمَاءً ، وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ ، وَنَمْكِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٤) .

(١) ط: ٤٧ .

(٢) الشعرا: ١٦ - ١٧ .

(٣) الدخان: ١٧ - ١٨ .

(٤) القصص: ٥ - ٦ .

موسى في مواجهة فرعون:

ذهب موسى عليه السلام إلى فرعون وكله اعتماد على الله وتوكل عليه وثقة بنصره، وأخبره برسالته، وطلب منه الطلب المحدد، أن يرسل معهبني إسرائيل. وطالبه فرعون بالأدلة على رسالته، فقدم معجزتي العصا واليد، فاتتهمه فرعون بأنه ساحر، وجمع له السحراء من مختلف أنحاء مصر، وتم التحدي بين موسى النبي عليه السلام وبين سحراء فرعون وأدواتهم وحبالهم وعصيهم، وكان الموعد بينهم في صبح يوم الزينة..

وحشد فرعون الناس وجمعهم ليشجعوا السحراء، وجاء السحراء فرعون يطلبون منه القربى والمآل والأجرة والمنزلة إذا غلبوا موسى، فوعدهم فرعون بما يريدون، وأقبل موسى على السحراء فذكّرهم بالله، وحدّرهم ما هم فيه من السحر والكذب والباطل. وتواصى السحراء على الإتقان والمهارة والثبات، وشجّعهم المشاهدون وطلبوها منهم الثبات والانتصار.

وطلب موسى عليه السلام منهم أن يبدأوا، **﴿فَأَلْقُوا حِبَالَهُمْ وَعَصِّيَّهُمْ، وَقَالُوا: بَعْزَةٌ فَرَعُونَ إِنَا لَتَحْنُّ الْفَالِبُونَ﴾**⁽¹⁾ وسحروا أعين الناس واسترهبواهم، وجاءوا بسحر عظيم، وصار يخيل للمشاهدين أن حبالهم وعصيهم حيّات تسعى وتتحرك.

وأوجس موسى عليه السلام في نفسه خيفة من هذا المشهد، فجاءه المدد والتثبيت من الله، وأمره أن يلقى عصاه، فاستجاب موسى عليه السلام لأمر ربه، واعتمد عليه وحده، وألقى عصاه، فإذا هي حية عظيمة، وصارت تلتف ما ألقي السحرة جميماً.

وكانت مفاجأة مذهلة للجميع، دهش لها فرعون وجندوه، وتأثر بها سحرة فرعون تأثراً بالغاً، وراحوا يتساءلون ويقولون: إن ما أتى به موسى ليس بسحر، لأنهم سحرة يعرفون السحر، وقد بذلوا أقصى ما في وسعهم من سحر وتمويله وتخيل، وما أتى به موسى ليس من هذا القبيل، كما أنه لا يمكن أن

(1) الشعراء: ٤٤.

يأتي به من عنده، ولا بد أن يكون الله رب العالمين القوي القادر القاهر معه،
وأن يكون رسولاً صادقاً من الله !

وأضاء الإيمان في قلوبهم، فآمنوا بالله وحده، واتبعوا موسى عليه
السلام، وخرُوا جميعهم ساجدين لرب العالمين، وهتفوا بصوت واحد:
﴿آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون﴾.

وأسقط في يد فرعون وملته، وفوجئوا بإيمان السحرة، واستخدم فرعون
معهم سلاح التهديد والاضطهاد والتعدی والقتل والتصليب، وواجهها هذا
كله باستعلاء إيماني باهر، وثبات رجولي مؤثر، وآثروا ما عند الله الباقی على
متع الدنيا الفاني .

موسى يخرجبني إسرائيل من مصر:
اضطهد فرعون الذين آمنوا بموسى اضطهاداً رهيباً، وأوصاهم موسى
بالصبر والثبات والاعتماد على الله والاعتصام به، ونجحوا في صبرهم
وثباتهم .

وأخذ الله فرعون وآله بالسنين ونقص من الثمرات، وأرسل عليهم
الجراد، والطوفان، والقمل، والصفادع، والدم، والعذاب، لعلهم يؤمّنون
بالله، أو على الأقل يرّفعون العذاب عن أتباع موسى عليه السلام، ويفرّجون
عنبني إسرائيل، ويسمحون لهم بالخروج مع موسى من مصر، ولكنهم لم
يفعلوا ذلك.

وإن الإنسان ليقف متسائلاً عن السبب الذي كان يدعوه فرعون وجنوده
لمنعبني إسرائيل من الخروج من مصر؟ فقد كانوا يكرهونهم، وينظرون لهم
على أنهم غرباء دخلاء، أعداء للشعب المصري واقتاصاده وخيراته؛ فلماذا
يحرّصون على التمسك بهم، وإيقائهم بينهم !؟

إن هذا التمسك بهم ومنعهم من الخروج ليس ناتجاً عن محبتهم لهم
ورغبتهم فيهم، ولعلَّ الباعث عليه - والله أعلم - ما يلي :

١ - حاجة فرعون وقومه إلى بني إسرائيل، ولعلهم كانوا يقومون بأعمال وضعية مهينة يأنف أهل البلاد عن القيام بها، مثل التنظيف والزراعة، فإذا خرجوا من مصر فقد فرعون أيدي عاملة، كانت تعمل سخرة بدون أجر.

٢ - حرص فرعون على أن ييقوا عنده، ليقوم بإذلالهم في كل يوم وساعة، وذلك أن الظالم المتكبر يحرص على أن يوجدَ من يمارس عليه ظلمه وتكبره وجبروته، ويجعله متنفساً لهذه الشهوة، ومحلاً لهذا الفساد.

٣ - بغض فرعون وكراهيته لهم، لأنهم تجرؤوا على مخالفته، ورفضوا أن يدينوا له، وأن يعتبروه ربهم الأعلى. إنهم بهذا طعنوه في كبرياته وأهانوه في غطرسته، ولذلك نقم منهم نسمة حاقدة، وقد كانت كراهيته ونقمته عليهم تزداد كلما واجهوا اضطهاده وتعذيبه بالصبر والثبات، واستعلوا عليه بالإيمان.

٤ - خشية فرعون من أن يفضحوا نظامه ويكتشفوا مساوئه ومخازيه أمام الشعوب الأخرى، فقد كانوا يعرفون الكثير عن هذا النظام، وكان فرعون - ومثله كل حاكم ظالم متجرّ - يحرص على تجميل نظامه أمام الآخرين، ومنع كلَّ من يكشف زيفه ويبطل ادعاءاته. إن فرعون يخشى أن يقوم بنو إسرائيل بهذه الحملة الإعلامية ضده فيما لو خرجوا من بلاده.

ولكن الله شاء أن يفرج عن بني إسرائيل، وأن يرفع عنهم اضطهاد فرعون وجنوده، وأراد سبحانه أن يخرج بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام. ومن هو الذي يقف أمام إرادة الله ويحول دون تحقيقها؟ من هو هذا «الفرعون» الذي يقدر على أن يحول بين بني إسرائيل وبين الخروج الذي أراده الله لهم؟

أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن يخرج بعباد الله «بني إسرائيل» ليلاً من مصر دون أن يعلم المصريون وجنود فرعون بهم.

وخرجوا تحت جنح الظلام، ولحق بهم فرعون وجنوده.

قال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنَّ أَسْرَيْ بَعْدِي إِنْكُمْ مُتَّبِعُونَ . فَأَرْسَلَ فَرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ . إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشَرِذَمَةٌ قَلِيلُونَ . وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ . وَإِنَّا لِجَمِيعِ حَادِرِونَ . فَأَخْرَجَنَا هُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيْنَوْنَ . وَكَنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ كَذَلِكَ وَأَوْرَثَنَا هُنَّا بَنِي إِسْرَائِيلَ . فَأَتَبْعَثُهُمْ مُشْرِقِينَ . فَلَمَّا تَرَأَ الْجَمِيعُنَ قال أَصْحَابُ مُوسَى : إِنَّا لَمُذْرِكُونَ . قَالَ : كَلَّا ، إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيِّدِنَا . فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْبَحْرَ ، فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ . وَأَزْلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ . وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ . ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾^(١) .

فرعون وجنوده غرقى :

أَمْرَ اللَّهِ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بَعْصَاهُ ، وَأَمْرَ اللَّهِ الْبَحْرَ - ذَلِكَ الْجَنْدِيُّ الْمَطِيقُ - أَنْ يَفْتَحَ فِيهِ طَرِيقًا يَابِسًا مَعْبُدًا لِيَمْرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ مَعَهُ ، وَأَمْرَ اللَّهِ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ أَنْ تَتَوَقَّفَ عَلَى حَافَتِي الْطَّرِيقِ فَلَا تَدْخُلُ فِيهِ ، وَأَنْ تَكُونَ ثَابِتَةً مِثْلَ الْجَبَلِ ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالْطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ .

وَاجْتَازَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ هَذَا الْطَّرِيقَ ، حَامِدِينَ لِرَبِّهِمْ شَاكِرِينَ لَهُ ، وَوَصَلُوا إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْبَحْرِ ، إِلَى أَرْضِ سِينَاءَ .

وَأَرَادَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَضْرِبَ بَعْصَاهُ الْبَحْرَ مَرَةً أُخْرَى لِيَعُودَ الْبَحْرَ كَمَا كَانَ ، حَتَّى لا يَقْدِرَ فَرْعَوْنَ وَجَنْوَدُهُ عَلَى اجْتِيازِهِ وَاللَّحْاقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَهَاَ اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ : ﴿ فَأَسْرِي بَعْدِي لَيْلًا إِنْكُمْ مُتَّبِعُونَ . وَاتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جَنْدٌ مُغْرِقُونَ ﴾^(٢) . وَالرَّهْوُ هُوَ السَاكِنُ الْوَاسِعُ . أَيْ اتَرَكَ الْبَحْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، وَاتَرَكَ الْطَّرِيقَ الَّذِي سَلَكْتَهُ عَلَى سُعْتِهِ ، وَلَا تَخَشَّ فَرْعَوْنَ وَجَنْوَدَهُ ، إِنَّهُمْ جَنْدٌ مُغْرِقُونَ .

وَدَخَلَ فَرْعَوْنَ وَجَنْوَدُهُ فِي هَذَا الْمَمْرُ الْبَحْرِيِّ وَالْطَّرِيقِ الرَّبَانِيِّ ، وَهُمْ

(١) الشِّعْرَاءُ : ٥٢ - ٦٦ .

(٢) الدَّخْنَانُ : ٢٣ - ٢٤ .

سُدَّجْ أَغْرَارْ غَافِلُونْ، لَا يَفْطَنُونْ لِهَذَا الْمَكْرُ الرَّبَانِيُّ الْحَكِيمُ، وَأَمْرُ اللَّهِ الْبَحْرُ - الْجَنْدِيُّ الْمَطِيعُ - أَنْ يَعُودْ كَمَا كَانَ، وَأَمْرُ الْأَمْوَاجُ أَنْ تَلْقَى وَتَلَامِعْ وَتَعُودْ كَمَا كَانَتْ، وَأَطْبَقَتْ الْأَمْوَاجُ عَلَى فَرْعَوْنَ وَجَنْوَدِ الْكَافِرِينَ.

فرَعُوْنَ يَؤْمِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ:

لَمَا صَارَ فَرَعُوْنَ تَحْتَ الْمَاءِ، وَعَاهِنَ الْمَوْتَ أَمَامَ عَيْنِيهِ، وَتَكَشَّفَتْ لَهُ الْحَقِيقَةُ بَارِزَةً، وَعَرَفَ نَفْسَهُ عَلَى ضَالَّتِهَا وَحَقَّارَتِهَا وَقَزَّامَتِهَا، وَتَبَدَّدَتْ مِنْ حَوْلِهِ «الْهَالَةُ» الْمُتَخَيَّلَةُ، الْمُصْنُوعَةُ مِنَ السُّلْطَانِ وَالرِّبُوبِيَّةِ وَالْحَاكِمِيَّةِ، فَهَا هُوَ ذَا عَاجِزٌ تَحْتَ الْأَمْوَاجِ أَعْلَنَ إِيمَانَهُ إِلَيَّاَئِشُ، وَعَنْهُ مَلَكُ الْمَوْتِ عَلَى هَذَا التَّأْخِيرِ، وَأَخْبَرَهُ بِرَفْضِ اللَّهِ قَبْوُلُ هَذَا الإِيمَانِ الَّذِي وَلَدَ مِنَّا مِنْ إِنْسَانٍ مِيتٍ.

﴿ وَجَاؤُنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فَرَعُوْنَ وَجَنْوَدُهُ بَعْيَاً وَعَدْوَاً . حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ: آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بْنُو إِسْرَائِيلُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ . آلَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ . فَالْيَوْمَ نُنْجِيْكَ بِيَدِنَاكَ، لَتَكُونَ لَمَنْ خَلْفَكَ آيَةً، وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنِ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾^(١).

وَمَاتَ فَرَعُوْنَ بَيْنَ الْأَمْوَاجِ، وَأَمْرُ اللَّهِ الْأَسْمَاكُ - وَهِيَ الْجُنُودُ الْمَطِيعَةُ لِلَّهِ - أَنْ لَا تَأْكُلْ جَثَّةَ فَرَعُوْنَ، وَأَمْرُ اللَّهِ الْأَمْوَاجُ - وَهِيَ الْجُنُودُ الْمَطِيعَةُ لِلَّهِ - أَنْ تَقْذِفَ بِهَذِهِ الْجَثَّةِ الْمَنْفَوْخَةِ الْمُمْتَلَّةِ بِالْمَاءِ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ . وَصَارَ النَّاسُ يَمْرُونَ بِهَذِهِ الْجَثَّةِ، وَيَرَوْنَ هَذَا «الْفَرَعَوْنَ» الْمَتَّالِهِ، وَيَعْجَبُونَ مِنْ مَنْظَرِهِ الْفَرِيدِ الَّذِي يَقْدِمُ لِلْمُتَبَصِّرِينَ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَعْانِي وَالدَّلَالَاتِ . وَصَدَقَ اللَّهُ ﴿ فَالْيَوْمَ نُنْجِيْكَ بِيَدِنَاكَ لَتَكُونَ لَمَنْ خَلْفَكَ آيَةً ﴾.

(١) يُونَسٌ: ٩٠ - ٩٢.

موسى عليه السلام

مع

بني إسرائيل في سيناء

توجه موسى عليه السلام مع قومه الذين أنجاهم الله من فرعون إلى سيناء، وذلك تمهيداً لدخوله بهم الأرض المقدسة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض الأحداث العجيبة التي وقعت لبني إسرائيل في سيناء، وإلى بعض الآيات الربانية التي أظهرها الله لهم هناك، وإلى بعض تصرفات القوم مع نبيهم موسى عليه السلام، وإليذائهم له، وكشف لنا عن حقيقة النفسية اليهودية المعقدة واستعصابها على التربية والتقويم والاستفادة. ونشير هنا إلى بعض الإشارات القرآنية حول هذا الموضوع:

بنو إسرائيل يطلبون من موسى عبادة الأصنام:

ما إن جاوز بنو إسرائيل شاطئ البحر سالمين، ورأوا أمام عيونهم مظاهر قدرة الله وقوته وعزّته في إنجائهم من فرعون وشق البحر لهم - حتى طلبوا طلباً غريباً، لقد طلبوا من موسى أن يشركوا بالله آلهة أصناماً. قال تعالى: ﴿ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يَعْكِفُونَ على أصنامٍ لهم . قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة . قال: إنكم قومٌ تجهلون . إن هؤلاء مُتَّبِّرٌ ما هم فيه وياطل ما كانوا يعملون ﴾^(١).

وإن الإنسان المؤمن ليعجب من هذا الطلب اليهودي المرذول:

_____. (١) الأعراف: ١٣٨ - ١٣٩.

يا موسى نريد منك صنماً نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم !! ويبدو أن ال باعث لهم على هذا الطلب هو رغبتهم في تقليد الآخرين ، فهم لم يتحرروا من الذل والقهر النفسي الذي لاقوه من فرعون.

بنو إسرائيل يطلبون من موسى أن يريهم الله جهرة:
وطالما أن طلبهم الأول قد رفض ، فليطلبوا من موسى عليه السلام طلباً آخر ليس أقل منه سخفاً وسماحة وقلة حياء . طلبوا منه أن يريهم الله جهرة ، أن يوقف لهم الله - سبحانه وتعالى - أمامهم ، لينظروا إليه بأبصارهم ، ويروه بأعينهم . وعندما يؤمنون به . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَلْمَنْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً . فَأَخْذَتُكُمُ الصاعِدَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ ﴾^(١) .

وقال تعالى لرسوله محمد ﷺ عن هذا : ﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابَ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ، فَأَخْذَتُهُمُ الصاعِدَةَ بِظَلْمِهِمْ ﴾^(٢) .

بنو إسرائيل يطلبون من موسى الماء:
سار بنو إسرائيل في سيناء ، واحتاجوا هناك للماء ، فتوجهوا إلى نبيهم موسى عليه السلام وألحوا عليه في أن يطلب لهم من الله الماء ، وأن يستسقى لهم ، فتوجه موسى لربه داعياً مستسقياً ، وجاءه الجواب من الله : ﴿ اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ ﴾ ، فإنه تخرج منه العيون :

﴿ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ ، فَقُلْنَا اضْرِبْ بَعْصَاكَ الْحَجَرَ ، فَانْجَرَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا ، قَدْ عَلِمَ كُلُّ أَنْسَى مَشْرِبَهُمْ ، كُلُّهُمْ وَاسْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ، وَلَا تَعْنَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْ مُوسَى إِذْ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بَعْصَاكَ

(١) البقرة: ٥٥

(٢) النساء: ١٥٣

(٣) البقرة: ٦٠

الحجر، فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً، قد علم كل أناس مشربهم ﴿١﴾.

وهذه معجزة باهرة من الله عز وجل، حجر صَلْد لا يتصور أن يخرج منه الماء، يضربه موسى عليه السلام بعصاه، فتبجس، ثم تنفجر، منه اثنتا عشرة عيناً غزيرة من الماء، على عدد أسباط وبطون قبائلبني إسرائيل، ولكل قبيلة عينها الخاصة بها، ومع هذه المعجزة فلم ترق قلوببني إسرائيل، ويُؤذنون موسى عليه السلام، ويتوّقّحون عليه.

الوظائف المختلفة لعصا موسى :

وهذه المعجزة الربانية تقودنا إلى النظر في وظيفة عصا موسى عليه السلام، وملاحظة المهمة العظيمة التي أدهنها بأمر الله سبحانه.

فهي قبل أن يجعلها الله سبيلاً ظاهرياً لإظهار قدرته وإرادته سبحانه، كانت مجرد عصا عادية من شجرة من أشجار هذه الأرض - ولا نلتفت في هذا الموضع للإسرائييليات الباطلة التي تجعلها نازلة من الجنة وتحدد لها طولاً وعرضًا خرافيين - وكان موسى عليه السلام يستخدمها في مهامات عادية كما يستخدم أي إنسان عصاه: ﴿وَمَا تلَك بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ هِي عَصَائِي أَتَوَكُأَ عَلَيْهَا، وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي، وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى﴾ ﴿٢﴾.

بينما هذه العصا نفسها حولها الله إلى جندي من جنوده، فأدت وظائف عجيبة باهرة:

أولاً: تحولت إلى حية بأمر الله عندما ألقاها موسى عليه السلام، وصارت آية من آيات نبوته، توجه بها إلى فرعون لتحول أمامه إلى حية .

ثانياً: كانت سبيلاً في إيمان السحرة واتباعهم لموسى عليه السلام،

(١) الأعراف: ١٦٠.

(٢) طه: ١٧ - ١٨.

عندما ألقاها موسى عليه السلام صارت تلتف ما يأفكرون من سحر وتخيل وأكاذيب.

ثالثاً: حَوَّلَتِ الْمَاءُ الْعَظِيمُ الْهَائِجَ - بِأَمْرِ اللَّهِ سَبَحَانَهُ وَبِصَرْبَةٍ مِّنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَى يَابْسَةٍ صَالِحةٍ لِلسَّيرِ، فَشَقَّتْ مِنَ الْبَحْرِ طَرِيقًا مَمْهُدًا لِيَمْرُ عَلَيْهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، وَوَقَفَتِ الْأَمْوَاجُ عَلَى حَافِتِيهِ، كَمَا كَانَ سَبِيلًا فِي إِهْلَاكِ فَرْعَوْنَ وَجَنْوَدِهِ. وَلَاحَظَ هَذِهِ الْمُفَارِقَةِ الْعَجِيْبَةِ فِي وَظِيفَةِ هَذِهِ الْعَصَمِ، لَقَدْ كَانَتْ سَبِيلًا فِي إِيمَانِ السَّحْرَةِ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ الإِيمَانِ، وَكَانَتْ هِيَ نَفْسَهَا سَبِيلًا فِي إِهْلَاكِ فَرْعَوْنَ وَجَنْوَدِهِ الَّذِينَ رَفَضُوا أَنْ يَتَوَجَّهُوا نَحْوَ الإِيمَانِ.

رابعاً: حَوَّلَتِ الصَّخْرَ الْأَصْمَ وَالْحَجَرَ الْصَّلَدَ إِلَى عَيْنَ غَزِيرَةٍ قَضَتْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الصَّحَرَاءِ حَاجَتَهُمْ، وَأَنْقَذَتْهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الْمَوْتِ عَطْشًا، وَصَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﴿وَمَا يَعْلَمُ جَنُودُ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(١).

ليونة الحجر وقسوة قلوب بنى إسرائيل :

أشار القرآن إلى المفارقة الهائلة ما بين ليونة ذلك الحجر الذي تفجرت منه العيون، وقسوة قلوب بنى إسرائيل التي لم تتأثر بالهدى والآيات والمعجزات، وعقد مقارنة ظاهرة ما بين ذلك الحجر الأصم، والقلب اليهودي النابض، أو قُلْ ذلك الحجر اللَّذِينَ الْخَاشِعُونَ وَالْقَلْبُ الْيَهُودِيُّ الصَّلَدُ الْقَاسِيُّ .

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَّتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ، فَهِيَ كَالْحَجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً، وَإِنْ مِنَ الْحَجَارَةِ لَمَّا تَفَجَّرَ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَسْقُتَ فِي خَرْجٍ مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبَطَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢).

فالحجر الأصل فيه أن يكون قاسياً جامداً صلداً جافاً، لكنه عندما يأمره الله يستجيب ويلين، ويكون جندياً خاصعاً لربه، فتفجر منه العيون، أو يتشقق فينبع منه الماء، أو يخشى فيهبط من خشية الله بإذن الله.

(١) المثلث: ٣١.

(٢) البقرة: ٥٤.

أما قلب الإنسان فإنه مكون من مشاعر وأحساس وانفعالات، وهو مركز الخشوع واللينة والرقّة والصلاح والإيمان عندما يفتحه صاحبه لهدى الله ونور الإيمان، أما إذا أغلقه أمام الهدى والنور، ووضع عليه الأقفال المنيعة، فإنه يتحول إلى حجر صلّد أصم جاف جامد قاسٍ، مجرد من كل المعاني الإنسانية، فهو كالحجر أو أشد قسوة.

وهكذا كانت قلوب بني إسرائيل، وهكذا قلوب الكافرين الظالمين العتاة.

سَلِيٰ مَنْ رَاعَ غِيدِكَ بَعْدَ وَهْنٍ أَبِينَ فَوَادِهِ وَالصَّخْرَ فَرْقُ؟

بنو إسرائيل يطلبون من موسى تنويع الطعام:

أنعم الله على بني إسرائيل وهم مع موسى عليه السلام في سيناء نعماً غامرة فقد ظلّل عليهم الغمام، وسخر السحاب فوق رؤوسهم أينما تحركوا، ليقيهم شمس الصحراء الحارقة وحرارتها اللاهبة، وهيأ لهم من أصناف الطعام ما لم يخطر على بال، فجعل لهم المن، وساق لهم السلوى. والمن هو صمغ نباتي حلو الطعم للذيد المأكل طيب المذاق، والسلوى هي طائر السُّمانِي، وهو بحجم القطا تقريباً، فصاروا يجدون المن والسلوى أمامهم أينما حلوا.

قال تعالى: ﴿ وَظَلَّلَنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامُ، وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى . كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾⁽¹⁾.

ولكن نفسية يهود الذليلة الشهوانية، والمستمرة لحياة الذل والشهوات، عافت المن والسلوى مع الحرية والعزة، وطلبت نفوسها البُقل، والثِّناء، والقول، والعدس، والبصل، وألْهُوا على موسى عليه السلام أن يهسيء لهم هذه الأصناف، وإلا فليُعذهم إلى مصر حيث كانوا يجدونها وافرة مغمورة بالذل والقهقر والاضطهاد والاستعباد. وتعجب موسى عليه السلام من طلبهم،

(1) البقرة: ٥٧.

ووَيَخْهُمْ وَأَنْبَهُمْ عَلَى هَذِهِ الرَّغْبَاتِ الْمُرِيْضَةِ وَالظَّلَبَاتِ الدُّلَيْلَةِ.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ، فَادْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مَا تَبَتَّ الأَرْضُ مِنْ بَقْلَهَا وَقَثَائِهَا وَفُومَهَا وَعَدَسَهَا وَبَصَلَهَا ، قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ؟ اهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سُأْلَتُمْ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ ، وَبَاعُوا بَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾^(١) .

بني إسرائيل يعبدون العجل :

وَاعْدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيُّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرْبَعينَ لَيْلَةً ، وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الطُّورِ لِيَنْاجِي رَبَّهُ عَنْهُ ، وَيَتَلَقَّى مِنْهُ الْأَلْوَاحُ الَّتِي تُحَوِّي شَرِيعَةَ اللَّهِ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَسَارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الطُّورِ وَطَلَبَ إِلَى أَخِيهِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَحْكُمْ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْ يَخْلُفَهُ فِيهِمْ ﴿ وَوَاعْدَنَا مُوسَى ثَلَاثَيْنِ لَيْلَةً وَأَتَمَّنَاهَا بَعْشُرَ ، فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعينَ لَيْلَةً ، وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ : أَخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ لَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٢) .

وَفِي غَيْبَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامِ قَامَ أَحَدُ مُجْرِمِيهِمْ وَفَتَنَهُمْ ، وَهُوَ رَجُلٌ أَطْلَقَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ اسْمَ «السَّامِرِيِّ» ، وَبَيْنَ أَنَّهُ جَمَعَ زَيْتَهُمْ وَحُلَيْهُمْ وَأَخْرَجَ مِنْهُمْ عَجَلًا جَسْدًا لِهِ خُوارٌ ، وَقَالَ لَهُمْ : هَذَا هُوَ إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى ، فَجَعَلُوهُ يَطْوَفُونَ بِهِ وَيَعْبُدُونَهُ وَيَتَخَذُونَهُ إِلَهًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَمْ يَسْتَمِعُوا لِنَهْيِ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ عَنْ هَذَا الْكُفْرِ بِاللَّهِ ، وَلِتَعْرِيفِهِ لَهُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا ، وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾^(٣) . ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حَلَيْهِمْ عِجْلًا جَسْدًا لِهِ خُوارٌ . أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ؟ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾^(٤) .

(١) البقرة: ٦١.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) طه: ٨٩.

(٤) الأعراف: ١٤٨.

وأخبر الله موسى عليه السلام بما صنعه قومه، فرجع إليهم غضباناً أسفًا، فالقى الألواح وذمّهم وعنهما، وجّر رأس أخيه هارون إليه، ولما عرف حقيقة موقفه ونهاية لهم عن كفرهم أطلقه ودعا له.

﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضباناً أسفًا، قال: بشّما خلقتوني من بعدي!! أُعجلتكم أمر ربكم، وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه، قال: ابن أم إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلوني، فلا تُشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين. قال رب اغفر لي ولأخي، وأدخلنا في رحمتك، وأنت أرحم الراحمين﴾^(١).

بني إسرائيل وعهد الله عند الطور:

استتاب موسى قومه من عبادة العجل، وحرق ذلك العجل ونسفه في اليم نسفاً، وعاقب السامرائي عقوبة عجيبة غريبة اكتفى بالقرآن بقوله عنها: ﴿قال فاذهب فإنّ لك في الحياة أن تقول: لا مساس، وإن لك موعداً لن تخلقه، وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه لم لننسفنه في اليم نسفاً﴾^(٢).

وأخبرهم موسى عليه السلام أن توبتهم لن تقبل إلا أن يقتلوا أنفسهم، ويقتلوا فيما بينهم، بحيث يقتل الطائعون منهم العصاة وال مجرمين الذين عبدوا العجل.

وحصلت مقتلة في بني إسرائيل، وقتل المجرمون منهم ﴿إذ قال موسى لقومه يا قوم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل، فتوبوا إلى بارئكم فاقتلو أنفسكم، ذلكم خير لكم عند بارئكم، فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم﴾^(٣).

(١) الأعراف: ١٥٠ - ١٥١.

(٢) طه: ٩٧.

(٣) البقرة: ٥٤.

وطلب موسى عليه السلام منهم أن يختاروا من بينهم سبعين رجلاً، وأن يكونوا أكثر القوم صلاحاً وإيماناً وطاعة لله وتنفيذأً لأمره، وفعلوا ما طلبه منهم نبيهم.

وسار موسى عليه السلام بهؤلاء السبعين المتقدمين في العبادة والصلاح والتقوى إلى جبل الطور ليتوبوا عن قومهم في معاهدة الله على الطاعة والعبادة، ولما وصلوا هناك، وطلب منهم موسى العهد والبيعة رفضوا وتلكأوا ونكصوا، وطلبوا أن يروا الله جهرة. عندها رفع الله الطور فوق رؤوسهم وهدّهم بإلقائه عليهم إن لم يبايعوا، فباععوا مكرهين ﴿إِذْ نَتَّقَنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَانَهُ ظُلْلَةٌ، وَظَنُّوا أَنَّهُ واقعٌ بِهِمْ، حَذَّرُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بَقْرَةً وَادْكَرُوا مَا فِيهِ لِعْلَكُمْ تَتَّقَنُونَ﴾^(١).

فإذا كان وجوه بنى إسرائيل في الصلاح والعبادة يفعلون هذا، فكيف يباقي القوم؟

بنو إسرائيل وأمر موسى لهم بذبح البقرة:
 وأشار القرآن إلى حادثة جرت لبني إسرائيل مع موسى عليه السلام، وهي ذات دلالة بارزة على طبيعة بنى إسرائيل، ونظرتهم إلى أنبيائهم وموقفهم المزاجي من الأوامر والتوجيهات الصادرة إليهم منهم، وتلکثهم وتأخرهم في التنفيذ والالتزام والتطبيق، ورغبتهم المفرطة في المراوغة والمداهنة والتفاوضة والمساومة.

قتل رجل من بنى إسرائيل في ظروف غامضة، ولم يعرف أحد قاتله، فجاءوا إلى موسى عليه السلام وأخبروه، فطلب منهم أن يذبحوا بقرة، فاستغربوا من أمره وظنوه هازلاً معهم مستهزئاً بهم، فقال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

عادوا إليه وطلبوا أن يبيّن لهم هذه البقرة، وأن يذكر بعض صفاتها،

(١) الأعراف: ١٧١.

قال: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بُكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ لَا عجوز كبيرة ولا بكر صغيرة، وإنما هي وسط بين بين، ثم عادوا إليه طالبين أن يبيّن ما لونها؟ قال: ﴿إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقْعُ لَوْنُهَا تَسْرُ النَّاظِرِينَ﴾ ثم عادوا إليها طالبين أن يبيّن ما هي؟ بتحديد أكثر لصفاتها وشكلها لأن البقر تشابه عليهم، ولا يعرفون المطلوبة منه؟ فقال: إنها معَزَّزة غير مستخدمة في الحرج ولا الزراعة ولا الحمل، وهي ﴿مُسْلِمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ خالصة من العيوب والنواقص، لا علامة أخرى لها ولا لون غير لون الصفرة الفاقع الصافي، عندها قالوا: ﴿الآن جئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعُولُونَ﴾ ولو ذبحوا أية بقرة من أول مرة لنفذوا الأمر وحققو الغاية وأرضوا الله. لكنهم أبوا إلا العناد.

فأمرهم موسى - بأمر ربه - أن يضرموا الرجل القتيل بأيّ بعض من أبعاض البقرة - ولم يحدده القرآن -، ففعلوا، فأحياء الله، وأخبر عن قاتله، ثم مات^(١).

بني إسرائيل يؤذون موسى ويعيرون عليه حياءه :
 آذى بنو إسرائيل موسى عليه السلام إيذاءً شديداً مرات عديدة، وهم في مصر عند فرعون، وهم في طريقهم إلى البحر، وهم خارجون من البحر، وهم معه في سيناء. آذوه في طعامهم وشرابهم وطلباتهم. آذوه في مخاطبته والحديث عنه وتنفيذ أوامره الربانية لهم.

ولهذا تعجب موسى من هذا الإيذاء المتكرر، وأنكر عليهم هذا الموقف، وبين لهم أنه لا يجتمع إيمانهم به ويرسلته وإيذاؤهم له في أوامره، ولهذا شكّوكهم في علمهم وإيمانهم، وطلب منهم أن يراجعوا موقفهم، وأن يعاتبوا أنفسهم، وأن يصلحوا أعمالهم، فقال لهم: ﴿يَا قَوْمٍ لَمْ تُؤْذُنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾^(٢).

ونأخذ من دخول قد على الفعل المضارع «وقد تعلمون» ما قلناه، حيث

(١) انظر: قصة البقرة في سورة البقرة: ٦٧ - ٧٤.

(٢) الصف: ٥.

إنها حينئذ تفيد التشكيلك، وليس التحقيق - إلا إذا أُسند الفعل المضارع إلى الله في القرآن فإنه يفيد عندها التحقيق - فإن موسى عليه السلام أراد أن يشكّلهم في علمهم وإيمانهم به.

وقد أشار القرآن إلى إيذاء بني إسرائيل لموسى في سياق نهي المؤمنين عن إيذاء محمد عليه السلام، وتحذيره لهم من الاقتداء ببني إسرائيل في هذا الخلق اليهودي الخبيث: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى ، فِي إِهْلَكٍ مَا قَالُوا ، وَكَانُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِهِيًّا ﴾⁽¹⁾ .

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بالحادث الذي تشير إليه هذه الآية.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إن موسى عليه السلام كان رجلاً حَيِّاً سِتِّيرًا، لا يُرى من جلده شيءٌ استحياء منه، فاذأه مَنْ آذاه من بني إسرائيل، فقالوا: ما يُستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده، إما بَرَصٍ وإما أَذْرَةً - والأَذْرَةُ انتفاحُ الْخَصْبَيْةِ - وإما آفةً. وإن الله عزوجل أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى عليه السلام، فخلع يوماً وحده، فخلع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بشيء، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عزوجل وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه ولبسه، وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لئدباً من آثار ضربه ثلاثة أو أربعة أو خمساً».

ومازال اليهود على هذا الخلق الشيطاني الماكر الذميم، فإنهم يعتبرون التعرّي وقلة الحياة والانحلال والإباحية أسمى معاني الفن والرقي والحضارة والأناقة، بينما يعتبرون الحياة والتستر والخلق والفضيلة - وبخاصة عند النساء المؤمنات الفاضلات - تأثراً وانحطاطاً وعُقداً وأمراضاً، ويعتبرون الجلباب الإسلامي والحجاب الإسلامي ستاراً تخفي المؤمنة تحته قبحها وأمر اضها

الأحزاب: ٦٩

وتشوهات جسدها، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

بنو إسرائيل يجبنون عن دخول الأرض المقدسة:

طلب موسى عليه السلام من بنى إسرائيل أن يدخلوا الأرض المقدسة، التي كتبها الله لهم وأذن لهم في دخولها، ولكنهم جبنا عن ذلك ورفضوا، وتعللوا بأن أصحابها قوم جبارون وأنهم لا طاقة لهم بحربهم، ولذلك فهم يتظرون أن يخرجوا منها بإرادتهم ليدخلها بنو إسرائيل بعدهم !!

وشعهم رجالاً منهم يخافون الله، فأنعم الله عليهم بالشجاعة والبطولة والفتنة، وبيننا لهم خطة المعركة وكيفية الانتصار فيها، لكنهم رفضوا كلامهما، وأعلنوا أنهم لن يدخلوها أبداً ما دام أهلها فيها، وطلبو من موسى أن يذهب هو وربه ليقاتلا، أما هم فإنهما سوف يجلسون ويتظرون النتيجة.

ولقد عرض القرآن الكريم هذه الحادثة عرضاً مليئاً بالدلائل والدروس والعبر، قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: يَا قَوْمَ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيمْكُمْ أَنبِياءً وَجَعَلَكُمْ ملوكاً وَأَتَكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَهْدَى مِنَ الْعَالَمِينَ. يَا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ، وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنَقْبِلُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى، إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ، وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا، إِنَّا يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاهِلُونَ. قَالَ رَجُلٌ مِّنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمِ الْبَابَ، فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ، وَعَلَى اللَّهِ فَوْكِلُوا إِنْ كَتَمْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبْدَى مَا دَامُوا فِيهَا! فَاذْهِبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا هَنَّا قَاعِدُونَ. قَالَ رَبُّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي، فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

إن هذه الآيات تكشف لنا الكثير عن النفسية اليهودية، وطبيعتها، وملامحها، وسماتها، وملازمة أمراضها ونفائصها لها.. - ولنا عودة لهذا

(١) المائدة: ٢٠ - ٢٥.

الموضوع بإذن الله - والعجيب أنه قد سرت هذه الأمراض والنقائص اليهودية إلى بعض العرب الذين يواجهون بني إسرائيل في هذه الأيام ، والذين يريدون أن يعودوا إلى فلسطين بهذه الطريقة اليهودية الجبانة ، وأن يحارب الله عنهم اليهود وهم جالسون يتظرون ويتفرجون ، ويحلمون بأن «يخرج» اليهود من فلسطين بإرادتهم و اختيارهم ، ويتكرمون بإعادتها للعرب ، ويسمّون هذا سياسة ووعياً وفطنة وحنكة !! .

بنو إسرائيل يتبعون في سيناء:

عرف موسى عليه السلام أن بني إسرائيل لن يجرأوا على الحرب ، وأنهم لن يستجيبوا لأوامره ، ولذلك نقض يديه منهم ، وبين أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه ، ودعا الله عليهم ، وسئله أن يفرق بينه وبينهم ، فإنهم فاسقون لا يصلحون ﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي ، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾ .

واستجابة الله دعوة موسى عليه السلام ، وفرق بينه وبين هؤلاء القوم ، وأخبره أن الله حرم هذا الجيل الخوار الجبان الذليل من دخول الأرض المقدسة ، وأنه كتب عليهم أن يتبعوا في صحراء سيناء أربعين سنة . حتى يفني هذا الجيل الرخو الذليل الذي رضع الذل والجبن منذ أيامه في مصر ، وينشأ من أولاده جيل جديد يربى وينشأ على البطولة والشجاعة ، ويتخرج من شفط العيش الشاق ، ويعيش حياة الرجولة في الصحراء .

﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتبعون في الأرض ، فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾^(١) .

وهكذا تم ما أراده الله ، وعاش بنو إسرائيل أربعين سنة في التيه في سيناء ، وانتهت حياتهم في هذا التيه ، وانقرض هذا الجيل الذليل ، ونشأ من

(١) المائدة: ٢٦ .

بعده جيل آخر، كان أشجع منه في القتال، لكنه ورث منه الكثير من الصفات والملامح الخبيثة، فظهرت في سلوكه وأخلاقه، وأورثها لمن جاء بعده، واستمرت أجيال اليهود توارث هذه الرذائل والنقائص والعيوب الأخلاقية، ولم يسلم منها أحد منهم حتى العصر الحاضر.

وفاة موسى عليه السلام قبل دخولهم الأرض المقدسة

عاش موسى وأخوه هارون عليهما السلام ما قدر الله لهما أن يعيشوا
بعدما تاهت بنو إسرائيل في سيناء.

ثم توفي هارون عليه السلام، ولا يذكر القرآن ولا الحديث الصحيح
 شيئاً عن وفاته، ولا نجيز لأنفسنا تجاوز هذين المصدرين إلى الإسرائيлик.

أما وفاة موسى عليه السلام فإن القرآن لا يذكر عنها شيئاً، ولكن إذا ما
ذهبنا للأحاديث الصحيحة فإننا نجد حديثاً صحيحاً لرسول الله ﷺ يبين فيه
وفاة موسى عليه السلام وملابساتها، ويشير إلى حادثة غريبة جرت بينه وبين
ملك الموت:

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول
الله ﷺ قال: «أرسل ملوك الموت إلى موسى عليه السلام، فلما جاءه صَكَهُ
ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت!! قال: فردَّ
إليه عينه، وقال: ارجع إلى ربي فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت
يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم مه؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن.
فسأل الله أن يدننه من الأرض المقدسة رمية بحجر. فقال رسول الله ﷺ: فلو
كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»^(١).

(١) مسلم بشرح النووي: كتاب الفضائل: باب من فضائل موسى ﷺ: ١٥: ١٢٨.

قال الإمام النووي في شرح الحديث: صَكَهُ: لَطْمَهُ . وَمِنَ الْثُورِ: ظَهَرَهُ . وَرَمِيَةُ حَجَرٍ: أَيْ قَدْرٍ مَا يَلْعَنُهُ .

وقوله: ثُمَّ هُوَ: هي هاء السكت، وهو استفهام. أي ماذا يكون أحياً أم موت؟ والكثيب: الرمل المستطيل المحدوب.

وقد ينكر بعض الناس - من المؤثرين بالماديات - هذا الحديث، ويستغربون أن يضرب موسى النبي مَلَكًا من الملائكة، وأن يفقأ عينه، ومن ثم قد يضعف بعض المسلمين هذا الحديث ويرفضه.

مع أنه لا إشكال فيه ولا غرابة، ولا عجب ولا استحاله على صاحب العقلية الإيمانية والمنهجية الصحيحة.

ونحن سنختار كلام الإمام النووي رضي الله عنه، الذي نقله هو عن المازري والقاضي عياض وأبن خزيمة . قال: (إن موسى عليه السلام لم يعلم أنه مَلَكٌ من عند الله، وظن أنه رجل قصده يريد نفسه - يعني أنه ظنه رجلاً غريباً فاتكاً قاتلاً يريد قتله وسلب ماله، فجاءه بهذه الحيلة ليموه عليه ويفغرر به - فدافعته عنها، فأدَّت المدافعة إلى فَقْأَ عينيه، لا أنه قصدها بالفتقاً . وهذا جواب الإمام أبي بكر بن أبي خزيمة وغيره من المتقدمين ، واختاره المازري والقاضي عياض، قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فَقْأَ عينيه . فإن قيل: فقد عرف موسى حين جاءه ثانياً بأنه مَلَك الموت، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة، علم منها أنه مَلَك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى) ^(١).

وليس غريباً أن لا يعرف موسى عليه السلام مَلَكَ الموت عندما جاءه بصورة رجل، فإبراهيم عليه السلام جاءته الملائكة في صورة رجال، فلم يعرف أنهم ملائكة إلا بعد أن أخبروه، وكذلك لم يعرفهم لوطن عليه السلام إلا بعدما كشفوا له عن حقيقتهم في آخر الأمر.

(١) شرح النووي على مسلم ١٥ : ١٢٩ - ١٣٠ .

أما كيف فقاً عينه فإن ملوك الموت تشكل بصورة آدمي، وهي ليست صورته الملائكية الحقيقة، والعين التي فقثت ليست عينه الملائكية الحقيقة بل عينه المتشكل بها والمتحول إليها، أي العين الصورة وليس الحقيقة، ولعل ما يقرب هذا ما يجري الآن من قتل وذبح وسفك دماء وتشويه أجسام للممثلين في الأفلام التلفزيونية والسينمائية، فيظن الرائي أن الممثل قد قطع رأسه وسال الدم منه، لما يكون من الحيل السينمائية في ذلك.

والذي يلفت النظر في الحديث رغبة موسى عليه السلام في أن يموت قريباً من الأرض المقدسة، حيث سأله الله أن يُدْنِيه منها وأن يقربه إليها مقدار رمية حجر، وهي لا تتعدي عشرات الأمتار.

ويبدىء الحديث على أن موسى عليه السلام دُفِن قبل أن يدخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة، وأن قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر، ولا ندرى أيّ كثيب أحمر هو، فهناك كثير من الكثبان الرملية الحمر في منطقة سيناء والتقطب وعرّبة وغيرها.

ولا فائدة تتحقق من تحديد قبره عليه السلام، ولو كان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أن فيه فائدة للأمة لحده، فلا نسير مع الأخباريين في ظنونهم الافتراضية حول قبر موسى عليه السلام.

هذا وقد مرَّ رسول الله ﷺ أثناء الإسراء إلى المسجد الأقصى بموسى عليه السلام وهو قائم يصلي :

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «لما أسرى بي مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر».

دخولبني إسرائيل الأرض المقدسة:
فضَّلت «أسفار»بني إسرائيل كيفية دخولهم الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون، وصَوَرَت فظائعهم ومذابحهم في الحروب، والآلاف التي

قتلوها من أهل البلاد، وفصلت كيفية سقوط مدن فلسطين بأيديهم.

ولا يعنينا الحديث عن كل هذا، لأنه لم يرد بالمصادر اليقينية التي عندنا، ولأننا - بصرامة ومنهجية - نشك في صحة ما ذكروه في كتبهم، وما نقله الأخباريون من المسلمين عنهم، ولا يعتقد أنه وقع على هذه الصورة التي ذكروها، لأن اليهود قوم لا يؤمنون على شيء، فتجاوزوا هذا الكلام لأنه لا تحصل به عبر وعظات.

فالملهم هو أن الله فتح عليهم الأرض المقدسة، فدخلوها بعد وفاة موسى عليه السلام، واستوطنوها وأقاموا فيها.

وقد أشار القرآن الكريم إلى كيفية دخولهم للأرض المقدسة، وإلى مخالفته أوامر ربهم في هذا الدخول.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ، فَكُلُّوا مِنْهَا حِيتَ شَتَّمْ رَغْدًا، وادْخُلُوا الْبَابَ سُجْدًا، وقولُوا حِجَّةً، نَفْرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ، وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾^(١).

إن الله يأمرهم أن يدخلوا الأرض المقدسة بصورة وهيئة وكيفية خاصة، تتجلّى بها عبوديتهم لله، وتواضعهم بين يديه، وشكرهم له، ودعاؤهم أن يغفر لهم: ادخلوا الباب ساجدين عابدين لله، خاضعين متواضعين له، وألسنك تدعو ربكم: يا ربنا حُطْ عَنَّا ذُنوبنا وكُفْرَ عَنَّا سيئاتنا.

إن الله يريد أن يُشعر عباده المتتصرين - عندما يتتصرون - أنهم لم يحصلوا على النصر بجهودهم وإنما بفضل ربهم، ولذلك يخضعون له ويتواضعون بين يديه، ويدعونه ويستغفرون له، فتطامن نفوسهم ويتحققون إيمانهم. وهذا ما أمر الله به نبيه محمداً ﷺ، حيث نَفَدَ أصدق تنفيذه، والتزمه هو وأصحابه أكمل التزام، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ.

(١) البقرة: ٥٨ - ٥٩.

ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً. فسبّح بحمد ربك واستغفره. إنه كان تواباً ^(١).

بنو إسرائيل يبدلون أوامر الله:
لكن كيف دخل بنو إسرائيل الأرض المقدسة؟ وكيف تعاملوا مع أمر الله لهم؟ لقد تعاملوا معه بالنفسية اليهودية، التي تحرف الأوامر، وتتمرد وتحايل عليها، وتبدل وتغيّر فيها ^{﴿فَبَدَلُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا قُوَّلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾}.

وقد بين لنا رسول الله ﷺ هذا التبديل اليهودي الخبيث والتلاعب الجبان بأوامر الله.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «قيل لبني إسرائيل: ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة، فبدلوا، فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعيرة».

لقد حرّفوا أمر الله بالقول والفعل:
دخولهم ساجدين بدلوا عملياً حيث دخلوا الباب زاحفين على أستاههم.

ودخولهم متضرعين داعين، بدلوا بالاستههم حيث قالوا: حبة في شعيرة، وهو كلام مهمل لا معنى له، المهم هو أن يخالفوا أوامر الله بأية صورة، إنهم يهود، وإنها طبيعة يهود، وإنها أخلاق يهود التي لا تتغير.

الحكمة من التمكين لهم في الأرض المقدسة:
مُكِّنَ اللَّهُ لَبْنَيْ إِسْرَائِيلَ فِي الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُمْ أَنْ يُدْخِلُوهَا وَأَنْ يَكُونُوا فِيهَا، وَقَدْ تَحَقَّقَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ، وَسَكَنَتْ بَنُو

(١) سورة النصر.

إسرائيل في الأرض المقدسة. وقد يقف أحد الناس ليتساءل عن الحكمة من ذلك؟ .

إن الله لم يكرمبني إسرائيل لأنهم بنو إسرائيل، لم يكرمهم من أجل أشخاصهم أو أنسابهم أو الألوانهم. كما أن الله لم يهزم الذين كانوا يقيمون في الأرض المقدسة قبل بنى إسرائيل لهذه الأسباب. لم تكن الأحساب والأنساب، ولا الأشكال والألوان، ولا الأشخاص والأجناس سبباً في التقرب والتقديم والتكرير عند الله، ولا سبباً للذم والطرد والعقاب عنده.

إن أساس التكرير والتمكين والتفضيل عند الله هو الإيمان والعمل الصالح، وعبادة الله وتقواه، وما كان ضدّ هذا فهو أساس الذم واللعنة والتعذيب.

إن الله هزم وأذلّ السابقين الذين كانوا يقيمون في الأرض المقدسة أمام بنى إسرائيل لأنهم كفروا بالله وأشاروا معه أصناماً وأوثاناً وألهة مزيفة.

وإن الله قد نصربني إسرائيل ومكّن لهم في الأرض المقدسة بسبب إيمانهم وعبادتهم لله.

إن بنى إسرائيل كانوا أصلح الناس في زمانهم، وكانوا المسلمين الموحدين لله العابدين له، وسط أقوام وقبائل من المشركين والكافرين، ومن البدهي أن ينصر الله أولئك المسلمين على أعدائهم الكافرين.

وبقي بنو إسرائيل مؤهلين للإقامة في الأرض المقدسة طالما كانوا عابدين لله متقيين له، فلما سرى فيهم داء الكفر والشرك، ولما عصوا أمر الله وكذبوا وقتلوا رسليه؛ حقت عليهم سنته الله، وكتب عليهم اللعن والطرد والذم، ولم تعد الأرض المقدسة ملكاً لهم ولم يعد لهم حق فيها. ولهذا أخرجهم الله منها، وشردّهم في الأرض، وجعل الأرض المقدسة وباقياً بقاع الأرض لعباده المتقيين، وصدق الله القائل: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِنُ بِكُمْ﴾

بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبةُ
لِلْمُتَقْبِلِينَ^(١).

بني إسرائيل والملك طالوت:

لم يبيّن القرآن ما جرى لبني إسرائيل بعد دخولهم الأرض المقدسة واستقرارهم فيها، كما لم يبيّن رسول الله ﷺ ما جرى لهم، ولهذا لا نستطيع أن نأخذ في هذا عن كتب اليهود ورواياتهم وأسفارهم، رغم أنها تكفلت بالبيان المفصل عن ذلك.

إنَّ هذه تعتبر حلقات مفقودة من تاريخ بني إسرائيل في فلسطين، مفقودة في البحث العلمي اليقيني المنهجي، وإن الباحث الملتم بضوابط هذا البحث يتجاوزها ولا يقف عندها، ولا يأخذ فيها عن بني إسرائيل.

لهذا نحن نتجاوز هذه الأبحاث لنقف أمام مشهد يقيني مؤثر مما جرى لهم: إنه ذلك الذي يعرض ما جرى بينهم وبين ملکهم طالوت.

وقد أشار القرآن إلى قصة طالوت مع بني إسرائيل في سورة البقرة: إن بني إسرائيل قد ضاعت دولتهم، وذهب ملکهم وسلطانهم بعد فترة من تمكّنهم في الأرض المقدسة، فقهراً هم أعداؤهم وتحكموا فيهم، فجاءوا إلى النبي لهم - لم يحدّد القرآن اسمه - يطلبون منه أن يختار لهم ملكاً صالحأً ليقاتلوا معه في سبيل الله، ويقودهم إلى النصر، وكان هذا النبي يعرف طبيعة قومه، فلراد أن يستوثق منهم ويأخذ عليهم العهد: إنكم قد تنكصون وتتجبون عن القتال، فأكّدوا له صدقهم في القتال ورغبتهم في الالتزام والطاعة، وبينوا الأسباب التي تحملهم على ذلك.

وأخبرهم نبيهم أن الله قد اختار لهم «طالوت» ملكاً، فصاروا ينقاشون ويجادلون: أَنَّى يكون له الملك علينا؟ ونحن أحق بالملك منه ولم يُؤتَ سعَةً من المال!! فهذه هي نظرتهم للملك ومؤهلاته، ولكن نبيهم أخبرهم أنه هو

. ١٢٨ (١) الأعراف:

المؤهل ليكون ملكاً؛ لأن الله هو الذي اصطفاه وزاده بُسْطَةً في العلم والجسم، وأخبرهم أن علامه رضي الله به ملكاً أن تأييدهم الملائكة تحمل لهم «التابوت» الذي أخذه منهم أعداؤهم، والذي وضعوا فيه مقدساتهم التي أخذوها من موسى وهارون عليهم السلام.

وتحقق ما ذكره لهم نبيهم، ورضي بنو إسرائيل بملك طالوت.

وكان طالوت - رضي الله عنه - مؤهلاً للملك حقاً، حيث كان متتصفاً بمزيد من الإيمان والعلم والقطنة والقيادة.

وأراد أن يمتحن جنود بني إسرائيل الذين معه، وأن يعرف قوة إرادتهم، فبعد ما جهز الجيش ليحارب به الأعداء، وسار به إلى المعركة؛ فصل بجنوده، وفر في طريقه بنهر - لم يحدده القرآن - وطلب من جنوده أن لا يشربوا منه، وأذن لمن أراد أن يغترف منه غرفة واحدة بيده.

ولكن طبيعة بني إسرائيل لا تفارقهم: التحايل على الأوامر، وارتكاب المخالفات، فشربوا منه إلا قليلاً منهم، ورجع من شرب من النهر، وتركوا الجيش، وكانوا أغلبية أفراده.

وسار طالوت بالأقلية الصابرة ليحارب جالوت ملك أعدائه، ولكن بني إسرائيل الذين مع طالوت هالتهم قوة جالوت وجنوده، فقالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده، فنكصوا وجبوا.

ولكن قلة مؤمنة، من هذه القلة التي بقيت معه، عرفت الميزان الحقيقي والقيم الثابتة وأسباب النصر وعوامله، فعرضوا على قومهم سُنة ربانية جهادية لا تختلف، فقالوا لهم: ﴿كُمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلٍ غَلَبْتُمْ فِئَةً كَثِيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

ودخل طالوت بالرجال المؤمنين من قومه المعركة - وهم الفتنة القليلة الثابتة - واستمدوا النصر من ربهم، وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صَبْرًا، وَثَبَّتَ أَقْدَامَنَا، وَأَنْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

وعلم الله صدقهم وإيمانهم، فمن عليهم بالنصر والغلبة، وكتب على أعدائهم الهزيمة والنذل، «فهزموهم بإذن الله».

وكان في جيش طالوت شاب قوي جلد، هو داود - عليه السلام -، الذي برع لجالوت الضخم المخيف فقتلها!! «وقتل داود جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء».

هذا وتقدم قصة طالوت مع بني إسرائيل - كما عرضتها سورة البقرة^(١) - الكثير من الدلالات والحقائق والدروس، في مجال القيادة الجماعية، والتربيـة الحركـية، والإعداد الجهادي، وخطـة المعرـكة، وعـوامل النـصر والثـبات، ومواصفـات الجنـود الربـانيـين.

كما أنها تكشف لنا عن طبيعة بني إسرائيل الثابتة، وتقدم لنا صفاتـهم وسمـاتهم وأخـلاقـهم، وتعـرض لنا نفـوسـهم وهمـهمـ على حـقـيقـتها^(٢).

وتنتهي مهمة طالوت عند بني إسرائيل، فقد جاءـهم فجـأـة، وغـادرـهم فـجـأـة - من خـلال العـرـض القرـآنـي -، وكـأنـه لم يـأتـ رـضـي الله عنـه إـلا ليـخـوضـ بهـمـ المـعرـكـةـ ويـتـصـرـ بـهـمـ عـلـىـ أـعـدـائـهـ، وـيـنـهـيـ بـذـلـكـ فـتـرـةـ هـزـائـمـهـ، وـيـفـتـحـ لـهـمـ طـرـيـقـ النـصـرـ وـالـتـمـكـنـ وـالـسـلـطـانـ، فـيـكـونـ أـوـلـ مـنـ يـسـيرـ فـيـهـ.

وكان حـكم طـالـوت رـضـي الله عنـهـ كان تمـهـيدـاً لـحـكم دـاـود وـسـليمـانـ عـلـيهـمـ السـلـامـ -، وـمـقـدـمةـ لـلـفـتـرـةـ الـذـهـبـيـةـ فيـ تـارـيـخـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ، التـيـ تمـثـلـ أـعـلـىـ قـمـةـ وـصـلـ إـلـيـهاـ بـنـوـ إـسـرـائـيلـ.

بنـوـ إـسـرـائـيلـ تـحـتـ حـكـمـ دـاـودـ:

اشـتـهـرـ دـاـودـ بـعـدـ قـتـلهـ جـالـوتـ، وـعـرـفـ بـنـوـ إـسـرـائـيلـ مـنـزلـتـهـ وـفـضـلـهـ، وـآتـاهـ اللهـ الـمـلـكـ وـالـحـكـمـ وـعـلـمـهـ مـاـ يـشـاءـ، وـلـهـذاـ حـكـمـ دـاـودـ عـلـيـهـ السـلـامـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ بـعـدـ طـالـوتـ.

(١) البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١.

(٢) انظر الفلال ١ : ٢٦٢ - ٢٧١.

وقد كان داود عليه السلامنبياً كريماً، وخليفة صالحأً، وملكاً عادلاً، وكانت فترة حكمه تمثل الحكم الإسلامي الرشيد، ومكاسبه المباركة في هذه الحياة الدنيا، حيث نعم في عهده بنو إسرائيل بالأمن والاستقرار والرفاه والصلاح والعدل والرشاد، وقد أشار القرآن إلى بعض مزايا حكم داود وفضائله عليه السلام.

فقد أنزل عليه «الزبور» ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعضٍ وآتينا داود زبوراً﴾^(١).

وقد وهب الله صوتاً مؤثراً جميلاً، فعندما كان يسبح الله كانت الجبال تسبح معه والطير، وتردد تسبيحه^(٢)، قال تعالى: ﴿ولقد آتينا داودَ مِنَّا فَضْلًا: يَا جَبَّالُ أُؤْبِي مَعَهُ وَالْطَّيْرُ، وَإِنَّا لِهِ الْحَدِيدَ: أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدْرُ فِي السَّرْدِ، وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ. وَإِذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوِدَ ذَا الْأَيْدِيْدِ، إِنَّهُ أَوَابٌ. إِنَّا سَخَرْنَا مَعَهُ الْجَبَّالَ يُسَبِّحُنَّ بِالْعَقْبَيْنِ وَالْإِشْرَاقِ، وَالْطَّيْرَ مُحْشَرَةً كُلَّ لِهِ أَوَابٌ. وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَةَ وَفَضَلَّ الْخُطَابَ﴾^(٤).

وتدلنا هذه الآيات على أن فترة حكم داود عليه السلام عاشت فيها الدولة الإسرائيلية المسلمة في ازدهار اقتصادي وتقدم صناعي، فقد كانت الصناعات فيها متقدمة، وركز داود عليه السلام على الصناعات الحربية العسكرية.

فقد تم اكتشاف معدن الحديد، والوقوف على أهميته في الحرب، وقد هدى الله داود والخبراء الصناعيين في حكمه، إلى طريقة صنع الأسلحة

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) هناك كلام كثير عن مزايا داود وعن صوته في الإنشاد والتسبيح لا نقف عنده حتى لا نخالف منهجنا في الوقوف عند نصوص القرآن والحديث.

(٣) سورة سباء: ١٠ - ١١.

(٤) ص: ١٦ - ٢٠.

والأدوات الحديدية الضرورية للجنود، فقال: ﴿ وَأَنَّا لِهِ الْحَدِيدُ ﴾ وعرف داود «الحاداد» عليه السلام - كما يخبرنا الحديث الصحيح عن رسول الله عليه السلام - كيف يصنع الدروع السابغات للجنود، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَنَا صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُخْصِنُوكُمْ مِنْ بَاسِكُمْ ﴾^(١).

الدولة الإسرائيلية المسلمة في عهد داود عليه السلام كانت متقدمة ومتقدمة في الناحية الإيمانية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية والدولية، وكانت تمثل فيها خصائص الحكومة الربانية المسلمة، وتعتبر نموذجاً لهذه الحكومة المنشودة في التاريخ البشري.

مواصفات الحكم الراشد كما تبدو في داود عليه السلام:
وقد عرض لنا القرآن صفات الحكم الصالح وال الخليفة الراشد، الذي يقود أمته إلى العزة والخير والسعادة، وذلك من خلال إشارته إلى صفات داود عليه السلام التي قاد بها بني إسرائيل إلى ما أوصلهم إليه.

١ - منحه الله العلم والحكمة، فاستخدمها في تقديم أمته وسعادتها ورفاهيتها، ﴿ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مَا يَشَاءُ ﴾^(٢).

٢ - كان داود رجلاً ربانياً أوّاباً - والأواب هو دائم الرجوع إلى الله في كل لحظة والحربي على مرضاته -، كما كان شاكراً لربه، عابداً له، مكتبراً من التسبيع والذكر والصيام والقيام، فقد كان يصوم يوماً ويفطر يوماً كما أخبرنا رسول الله عليه الصلاة والسلام.

٣ - كان داود قوياً حازماً شجاعاً، فقد قتل جالوت في شبابه، وكان ﴿ ذا الأَيْدِي ﴾^(٣) والأيدي هي القوة والحزم والشجاعة.

٤ - كان خليفة عن الله في الأرض، وحاكمًا في بني إسرائيل بشرع الله

(١) الأنبياء: ٨٠.

(٢) البقرة: ٢٥١.

(٣) ص: ١٧.

ومنهجه، ﴿يَا دَاؤْدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ،
وَلَا تَتَّبِعِ الْهُوَى فَيُضْلِلُكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ
عِذَابٌ شَدِيدٌ﴾^(١).

بهذه الصفات الربانية حكم داود بنى إسرائيل، وأقام فيهم «دولة إسلامية» وحكماً راشداً، وأوصلهم إلى ما وصلوا إليه من القوة والنعمـة والسعادة والسلطان، وهذه الصفات ضرورية لكل حاكم، فإذا توفـرت فيه تحقق لأمته كل خير وسلطان وسعادة، وإذا ما فقدـت منه أوصـلـتـهـ لـلـهزـيمـةـ والـذـلـ والـضـيـاعـ.

بنو إسرائيل تحت حكم سليمان عليه السلام:

سليمان هو ابن داود، وقد ورثه في النبوة وفي الملك، فكاننبياً رسولاً، وكان خليفة ملكاً حاكماً في بنـي إـسـرـائـيلـ بـعـدـ دـاـودـ عـلـيـهـمـ السـلامـ.

قال تعالى: ﴿وَوَرَثَ سَلِيمَانُ دَاؤْدَ﴾^(٢) وقال ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاؤْدَ سَلِيمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾^(٣).

وقد كانت فترة حكم سليمان امتداداً واستمراراً لفترة حكم داود، حيث اتصف سليمان عليه السلام بما اتصف به والده داود من صفات إيمانية ربانية، وتمثل في حكمـهـ ماـ تمـثـلـ فيـ حـكـمـ والـدـهـ منـ عـدـلـ وـطـاعـةـ وـصـلـاحـ وـسـعـادـةـ وـتـقـدـمـ، وـسـعـدـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ فيـ عـهـدـ كـمـاـ سـعـدـواـ فيـ عـهـدـ والـدـهـ، وـعـاـشـواـ نـعـمـ اللـهـ الـغـامـرـةـ، وـتـقـيـأـواـ ظـلـالـ الـحـكـمـ إـلـاسـلـامـيـ الـرـبـانـيـ الرـاشـدـ الرـشـيدـ.

وقد بلـغـتـ الدـولـةـ إـلـاسـرـائـيلـ الـمـسـلـمـةـ فيـ عـهـدـ سـلـيمـانـ عـلـيـهـ السـلامـ، أـسـمـىـ وـأـعـلـىـ وـأـنـفـضـلـ فـتـراتـهاـ، وـأـرـفـعـ قـمـمـهاـ، وـالـذـرـوـةـ فـيـ تـقـدـمـهاـ وـسـلـطـانـهاـ السـيـاسـيـ وـالـاقـتـصـاديـ وـالـدـولـيـ، وـاتـسـعـتـ رـقـعـتهاـ إـلـىـ أـقصـىـ مـداـهاـ، حيث حـكـمـ الـأـرـضـ الـمـقـدـسـةـ وـمـاـ جـاـورـهـاـ مـنـ الـأـقـطـارـ حـتـىـ وـصـلـ سـلـطـانـهـ إـلـىـ الـيـمـنـ،

(١) ص: ٢٦.

(٢) التمل: ١٦.

(٣) ص: ٣٠.

حيث دخلت ملكة سبأ في دينه وضمت مملكتها في اليمن إلى سلطانه، وهذه المنزلة لم يصلها بنو إسرائيل قبل حكم سليمان ولا بعد حكمه، حيث خالفوا شرع الله بعد وفاة سليمان عليه السلام، وسرى إليهم ما سرى للأمم الكافرة من حولهم، فحققت عليهم سُنة الله، وزنعت عنهم ما كانوا فيه على عهد سليمان، وأذاقتهم لباس الجوع والخوف، والنذل والقهر والهزيمة والتشريد.

سليمان حكم ما لم يحكم أحد:
اتصف سليمان النبي الحاكم عليه السلام بصفة في حكمه لم تتوفر في حاكم بعده ولا في نظام حكم بعد نظامه.

فقد حكم ما لم يحكم أحد مثله، وكان هو قد دعا الله أن يهبها هذا وأن يمنحه إياها، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ، وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ بَعْدِي ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ ﴾^(١).

وإن سليمان عليه السلام لا يريد هذا الحكم الذي لا ينبغي لأحد مثله لشهوة الحكم والسلطان، ولا لفرض حكمه على الآخرين لإذلالهم وقهارهم واستعبادهم، ولكن سليمان عليه السلام أراد الحكم للدعوة إلى الله وإدخال الناس في دينه، أراد الحكم وسيلة صالحة لغاية إسلامية نبيلة.

واستجابة لله دعوة سليمان عليه السلام، وحقق له ما طلب، وأتاه ملكاً عظيماً.

وكان من مظاهر حكمه الذي لم يؤت مثله أحد من بعده:

١- أن الله سخر له الريح، وجعلها خاضعة لأمره. قال تعالى:
 ﴿ وَلِسَلِيمَانَ الرِّيحَ عَذُونَهَا شَهْرٌ وَرَوَاهَا شَهْرٌ ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿ فَسَخَّرْنَا

(١) ص: ٣٥.

(٢) سبأ: ١٢.

له الريح تجري بأمره رحاءً حيث أصاب ﴿١﴾.

ولا نعرف تفصيلات عن عمل هذه الريح: الجندي الخاضع لسليمان بأمر الله، كل ما يؤخذ منها أنها كانت تستمر شهراً في الغدو وشهراً في الرواح، أي شهراً في الذهاب وشهراً في الإياب، وأنها كانت تحمل الرخاء والخير له ولقومه.

٢ - أن الله مكّنه من الصناعات المعدنية، حيث قال تعالى: ﴿وَأَسْلَنَا لِهِ عَيْنَ الْقِطْر﴾^(٢). وعين القطر هي مناجم النحاس المذاب.

ونلاحظ أن الله هدّى داود عليه السلام للاستفادة من معدن الحديد، وهدّى سليمان عليه السلام للاستفادة من معدن النحاس.

ولذلك كان عهد سليمان عليه السلام متقدماً في الصناعات المعدنية والعسكرية، وكان فيه الكثير من المصانع للصناعات الحديدية والنحاسية.

وقد أشار القرآن إلى بعض الصناعات المتقدمة من مادة النحاس ﴿يُعَمِّلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ، وَتَمَاثِيلٍ، وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ، وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ، اعْمَلُوا آلَ دَاؤِ شُكْرًا، وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِي الشَّكُور﴾^(٣).

٣ - أن الله أخضع له الجنّ، وحَكَمَهُ فيهم، فكانوا جنداً مطعين له، ووظفوا طاقاتهم التي تفوق طاقات الإنس في توطيد حكم سليمان وزيادة قوته ﴿وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدِيهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَمَنْ يَرِغُّبُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِير﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ، وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٥).

(١) ص: ٣٦.

(٢) سـ: ١٢.

(٣) سـ: ١٣.

(٤) سـ: ١٢.

(٥) ص: ٣٧ - ٣٩.

٤ - أن الله علّمه منطق الطير، وجعله يفهم لغته، ويعرف كيف يتعامل معه: قال تعالى عن اعتراف سليمان عليه السلام بهذه النعمة وإسنادها إلى الله: ﴿وقال يا أيها الناس علمتنا منطق الطير، وأوتيتنا من كل شيء، إن هذا لهو الفضل المبين﴾^(١).

ولذلك سمع كلام نملة صغيرة تخاطب أخواتها من النمال وتطلب منها أن يدخلن مساكنهن لثلا يحطمها جيش سليمان ﴿حتى إذا أتوا على وادِ النَّمْلِ قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمكم سليمان وجندُه وهم لا يشعرون. فتبسم ضاحكاً من قولها، وقال رب أوزعني أنأشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾^(٢). كما كان يفهم لغة الهدد ويخاطبه ويسأله ويكلفه بمهام دعوية.

٥ - أن الله جعل في جيشه من كل الفئات، وكان من جنوده من كل الأصناف والأجناس. فكان من جنوده إنس وجن وطير وريح، وكانوا يسيرون بانتظام وانضباط وانسجام؛ وتخيل منظر جيش سليمان المكون من فرق الإنس، ويجانبها فرق الجن، ويجانبها أو فوقها فرق الطير، والجميع يسيرون سيراً عسكرياً منظماً. قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسَلِيمَانَ جَنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْطِيرِ فَهُمْ يُؤَزَّعُونَ﴾^(٣) ومعنى يوزعون: أنهم يحشر أولهم على آخرهم بحيث يسيرون ويتحركون كسير وحركة الرجل الواحد بتناقض وانتظام.

هذا وقد استخدم سليمان عليه السلام هؤلاء الجنود في طاعة الله ونشر دينه ﴿هذا عطاونا فامنوا أو أمسكوا بغير حساب. وإن له عندنا لزلفي وحسن ماب﴾^(٤).

(١) النمل: ١٦.

(٢) النمل: ١٨ - ١٩.

(٣) النمل: ١٧.

(٤) ص: ٣٩ - ٤٠.

حكم داود وسليمان حكم إسلامي وليس يهودياً:

يحق لبني إسرائيل المؤمنين الصالحين - ممَّن كانوا قبل بعثة محمد ﷺ - أن يعتزوا بحكم سليمان ووالده داود - عليهما السلام - وأن يتفاخروا به، لكن لا يحق لليهود الكافرين الجاحدين أن يفاخروا بحكم سليمان، ولا أن ينسبوا إليه، ولا أن يجعلوه حكماً يهودياً!!

إن اليهود - وبخاصة في هذا العصر - يحرِّفون ويغالطون، فيعتبرون سليمان حاكماً يهودياً، وحكمه نظاماً يهودياً، ويدخلونه ضمن تاريخهم، ويجيئونه لمصلحتهم، وهم في هذا مخطئون محرِّفون.

إن سليمان عليه السلامنبيٌّ كريم وحاكم صالح وملك عادل، وإن فترة حكمه كانت خلافة راشدة، ولذلك كان حكمه إسلامياً، ويجب أن يدرج ضمن التاريخ الإسلامي العالمي، وأن يصنف مع الحكم الإسلامي في صوره المختلفة، وفتراته المتعاقبة.

إن الدين عند الله الإسلام، وإن الأنبياء السابقين وأتباعهم المؤمنين مسلمون، وإن المحاكمين منهم يعتبرون حكامًا مسلمين، وإن فترات حكمهم تعتبر حلقات من أنظمة الحكم الإسلامي السعيد.

بهذه النظرة نقدر سليمان عليه السلام، وننزعه فترة حكمه من الدعايات والتشويهات والافتراءات اليهودية، ونبُرِّئ سليمان عليه السلام من كل ما أُلْصق به من إساءة واتهام وانتهاص، وننحو أولى سليمان عليه السلام من اليهود الكافرين، وننحو ورثته الحقيقيون، ومحبّوه الصادقون، وأتباعه المخلصون.

وفاة سليمان عليه السلام:

أثار بعض الإنس والجن أثناء حكم سليمان عليه السلام افتراءات ومغالطات عن الجن والشياطين وقدراتهم وأطلاعهم على الغيب وعلمهم به، فأراد الله سبحانه أن يجعل من موته سليمان عليه السلام إبطالاً لهذه

الإشعارات، ونقضياً لهذه المغالطات والافتراءات.

استخدم سليمان عليه السلام يوماً مجموعة من الجن والشياطين في عمل ما، ووقف أمامهم متكتئاً على عصاه، وأقبلوا على العمل، ولم يجرؤوا على النظر إليه مهابة له وخوفاً منه. وجاءه أجله، وفاقت روحه وهو متكتئ على عصاه، وما شعروا بموته وهو ميت - وقف - أمامهم، وبعد حين جاءت الأرضية - دابة الأرض - ودخلت في عصاه فأكلتها، ولما دب السوس فيها سقطت العصا، وخر سليمان - عليه السلام - أمامهم جثة هامدة، فاستغرب الجن من هذا، وعجبوا كيف أنهم لم يفطنوا لموته الذي تم قبل ذلك، وقام الدليل المادي للجن والإنس أنهم لا يعلمون الغيب. قال تعالى : ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما ذلّهم على موته إلا دابة الأرض تأكل مِنْسَأته، فلما خر تبيّنت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ﴾^(١).

اليهود المشردون في الأرض:

ضعف دولة بني إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام، وانقسمت إلى دولتين مستقلتين، بينهما العداوة وال الحرب والقتال، وسلط الله عليهم أعداؤهما فقضوا عليهم وأزالوا ملك وسلطان بني إسرائيل، وهدموا المدن التي أقاموها، والهيكل الذي بناه سليمان عليه السلام، وسبوا بني إسرائيل أسرى إلى بلاد العراق، وطال سبيهم هناك، وطال ذلّهم واستعبادهم، حتى جاء ملوك فارس إلى العراق، ورفعوا الاضطهاد عن بني إسرائيل، وأعادوهم إلى الأرض المقدسة.

لكنهم لم يعودوا إليها سادة أو ملوكاً، وإنما عادوا أنساءً عاديين خاضعين لسلطان اليونان والممالك التي أقاموها في بلاد الشام، وقد أذلّهم الملوك التابعون لليونان، وعرفوا ما انطوت عليه نفوسهم من الإفساد والمكر والتخييب، لهذا لم يرفعوا عنهم سياط الذل والتعذيب، وجاء الرومان إلى بلاد الشام وورثوا عن اليونان حكم بني إسرائيل وإذلالهم واستعبادهم.

^(١) سبا : ١٤.

لهذا نقول: إنه لم تقم لبني إسرائيل قائمة بعد سليمان عليه السلام، وقضى الله أن يضع فيهم التعذيب والإذلال والاضطهاد وأن لا يرفعه عنهم، وأن يقع بهم التشريد في بقاع الأرض، وإن كل تاريخهم بعد سليمان عليه السلام هو حلقات متصلة ومشاهد متلاحقة من الذل والاستعباد والتشريد.

وسبب هذا هو ما انطوت عليه نفوس بني إسرائيل من الحقد والكرابية للناس، والرغبة في إيقاع الشرّ بهم والاستعلاء عليهم، لقد عرفت الشعوب والدول مقدار عداوة بني إسرائيل لبني الإنسان وخيرهم وسعادتهم، لهذا حرصت هذه الشعوب على محاربتهم وكبتهم وإذلالهم.

وقد أخبرنا الله بما قدره الله على بني إسرائيل من الذلة والمسكنة والتشريد - وهو السمة البارزة في تاريخهم كله - فقال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْذُلُّ أَيْنَا ثُقِفُوا ، إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحْبَلٍ مِّنَ النَّاسِ ، وَبَيَّنُوا بِغَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأْذَنُ رَبِّكَ لِيَعْشُّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ، إِنَّ رَبَّكَ لَسريعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّاً ، مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ، وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^(٢).

بنو إسرائيل وعيسى ابن مریم عليه السلام:

يعتبر عيسى ابن مریم عليه السلام آخر رسول الله إلى بني إسرائيل وقد كان موقفهم منه هو الكفر والتکذیب والاستهزاء والسخرية والاتهام. وقد تعجب عيسى عليه السلام من هذا الموقف الجاحد للكفور الذي وقفوا، فقال لهم: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾^(٣). وقال: ﴿ وَرَسُولًا إِلَى

(١) آل عمران: ١١٢.

(٢) الأعراف: ١٦٨ - ١٦٧.

(٣) الصف: ٦.

بني إسرائيل ، أَنِّي قد جئتم بآيةٍ من ربكم ، أَنِّي أَخْلُقُ لكم من الطين كهيئة الطير ، فَأَنْفَعُ فيه فِيكُونُ طيرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأَبْرَىءُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَأَبْشِكُمْ بِمَا تَأْكِلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بَيْوَتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَا يَةً لَكُمْ إِنْ كَتَمْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَمُضَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِي مِنَ التُّورَةِ ، وَلَا حِلٌّ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ، وَجَئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِي ﴿١﴾ .

ولكن بنى إسرائيل الجاحدين الكافرين حاولوا صلب عيسى عليه السلام وقتله لولا أن أنقذه الله منهم ﴿٢﴾ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مریم رسول الله، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم . وإن الذين اختلفوا فيه لفی شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقيناً، بل رفعه الله إليه، وكان الله عزيزاً حكيمًا ﴿٣﴾ .

(١) آل عمران: ٤٩ - ٥٠ .

(٢) النساء: ١٥٧ - ١٥٨ .

الفصل الثالث

سمات اليهود وأخلاقهم
من خلال القرآن

نعم الله الغامرة على اليهود

أنعم الله على اليهود نعماً غامرة، شملت تاريخهم مع أنبيائهم، ولكن موقفهم من هذه النعم كان المجرح والكفران.

وقد ذكرهم أنبياؤهم بهذه النعم الربانية، وجعلوا من هذا التذكير والإشارة مناسبة لتلبيس قلوبهم واستحياء المعاني الخيرة فيها، وربطها بربها المنعم الوهاب، وتوجيههم إلى شكره وحمده والثناء عليه.

ذكرهم بهذه النعم نبيّهم ومنقذهم موسى عليه السلام عندما قال لهم:
﴿يَا قَوْمٍ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيْكُمْ أَنْبِيَاءً وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا، وَأَنَّا كُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقد أخبرنا الله بطرف من نعمه الغامرة عليهم التي يظهر فيها أنه آتاهם ما لم يُؤْتِ أحداً من العالمين: سواء في إنجائهم من قوم فرعون وإهلاك فرعون وجنوده أمام أنبيائهم، أو في المن والسلوى والغمام والماء في الصحراء، أو في تمكينهم من دخول الأرض المقدسة وجعل الملك والسلطان لهم فيها فترة من الزمان.

وإن الناظر في تاريخهم يجد مظاهر لنعم الله الغامرة عليهم، وإن هذا الناظر المدقق كذلك يقف على موقفهم الجاحد من هذه النعم.

(١) المائدة: ٢٠.

تفضيلهم على العالمين وحكمته:
فضل الله بنى إسرائيل على العالمين تفضيلاً خاصاً موقتاً، له أسباب
وعوامل، كما أن له أمداً محدوداً، وفترة مقررة، وزماناً خاصاً.

قال الله تعالى مذكراً بنى إسرائيل بهذا التفضيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١).

وقد أشار موسى عليه السلام إلى هذا التفضيل وهو يرد على طلبهم السمج بأن يجعل لهم إلهآ من الأصنام: ﴿قَالَ أَغَيْرُ اللَّهِ أَبْغِيْكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٢). وإن المسلم البصير عندما ينظر في هذه النصوص يلحظ طرفاً من الحكمة من هذا التفضيل: فإن الله لم يفضلهم باعتبار نسبهم وجنسهم، لأن هذا ليس هو مناط التفضيل والتكرير عنده سبحانه.

ولإنما سبب التفضيل هو الدين والإسلام والإيمان، فقد كانوا قوماً مؤمنين بالله عابدين له وسط أقوام من الكفار. تحقق هذا لهم في مصر إبان عهد يوسف عليه السلام وبعده، وأثناء اضطهاد فرعون لهم ومجيء موسى وهارون عليهما السلام لتخليصهم وإنقاذهم. والمؤمن عندما يفضل بينبني إسرائيل في مصر وبين فرعون وقومه يخرج بتفضيل بنى إسرائيل على فرعون ولملئه، لأن المؤمن هو المفضل والمكرم والمقدم عند الله وعند عباده المؤمنين.

وهذا هو سبب تفضيلهم على العالمين الذين كانوا يقطنون في الأرض المقدسة، فقد كان بنو إسرائيل مؤمنين مسلمين، وكان الآخرون كافرين عابدين للأصنام والأوثان، ومن الطبيعي أن يفضل الله المؤمنين على الكافرين.

(١) البقرة: ٤٧ و ١٢٢.

(٢) الأعراف: ١٤٠.

وقد أخبرنا الله أن إيمانبني إسرائيل كان هو السبب في استخلاف الله لهم إلى حين، وفضيلهم على العالمين، وتمكينهم من الأرض المقدسة: ﴿ وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركتنا فيها، وتمت كلمة ربك الحسنة علىبني إسرائيل بما صبروا ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تَكُنْ فِي مِرْيَاةٍ مِّنْ لِقَائِهِ، وَجَعَلْنَا هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُئُمَّةً يَهْدُونَ بِمَا أَمْرَنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُؤْقَنُونَ ﴾^(٢).

ويلاحظ القارئ باء السبيبة في الآية الأولى «بما صبروا»، فيعرف أن صبرهم - الناتج عن قوة إيمانهم - كان هو السبب في تفضيلهم.

كما يلاحظ «لم» الظرفية في الآية الثانية «لما صبروا» فيعرف أن تفضيلهم وجعلهم أئمة كان محدداً بظرف خاص، وموقعناً بزمان خاص، وهو الزمان الذي تحقق فيه إيمانهم وسط كفر من حولهم، ووجد فيه صبرهم النابع من إيمانهم.

فتفضيلهم إنما كان على «عالمي» زمانهم، وليس على كل العالمين حتى قيام الساعة.

وأول التعريف في «العالمين» ليست للاستغراق والشمول، وإنما هي «للعهد الذهني» المأخوذ من سياق الآيات التي تعرض قصةبني إسرائيل.

ونشير في هذا المقام إلى أهمية وضرورة إمعان النظر في الآيات، وتوظيف شتى العلوم والمعارف لاستخراج دلالاتها وإيحاءاتها، فمن باء السبيبة عرفنا سبب تفضيلبني إسرائيل، ومن «لم» الظرفية عرفنا أنه موقعنا بظرف خاص، ومن أول التعريف «العالمين» عرفنا أن المقصود عالمي زمانهم الذي مضى وانقضى قبل بعثة محمد ﷺ، وقبل وجود الأمة المسلمة «وارثة»

(١) الأعراف: ١٣٧.

(٢) السجدة: ٢٣ - ٢٤.

بني إسرائيل في التفضيل على العالمين، وحمل رسالة الله للناس، والقيام بالخلافة في الأرض.

استغلال اليهود لآيات التفضيل:

هذا ويزعم اليهود أن تفضيلهم على جميع العالمين حتى قيام الساعة، لأنهم «أبناء الله وأحباؤه»، ويتميزون بهذا على الآخرين ويتفاخرون عليهم، وحتى يجدوا لزعمهم سندًا يقبلون على القرآن الكريم، فيقطعون منه هذه الآيات، ويوظفونها شهوداً لهم، ويخدع بعض الأغرار والسلّج من بني الإنسان بهذا الاستغلال والتحريف اليهودي.

ولذا مرّوا بالآيات التي تقرّ انتزاع الله للرسالة منهم، وإحلال غضبه ولعنته عليهم، جاوزوها وعمدوا إلى إخفائها حتى لا يطلع عليها الناس.

وهذا العمل اليهودي الشائن يعتبر نموذجاً لتلاعبهم بالنصوص، ومزاجيتهم في النظر فيها، وتحريف الكلم عن مواضعه.

وكم سمع المعاصرون من المسلمين هذا الرعم اليهودي ، وهذا الفهم المحرّف لآيات القرآن الكريم .

لعنة الله عليهم بعد تفضيلهم:

كفر اليهود بالله ، وحرّفوا دينه ، وقتلوا رسله ، فحقّت عليهم ستة الله في كل كافر ظالم جاحد .

ولهذا نزع الله فيهم تفضيله لهم ، وأحل محله لعنته وغضبه وعذابه ، فلم يعودوا أهلاً لإنعامه ، ولا محلاً لتفضيله ، ولا حملاً لرسالته . فمسخهم قردة وخنازير ، وأحلّ بهم لباس الجوع والذل ، وأوقع بهم الهزائم والنكبات ، وشردتهم في الأرض شر تشريد ، ومزقهم كل ممزق ، وقطعهم في الأرض أمماً ، وكتب عليهم الذلة والمسكنة .

وجاءت نصوص القرآن صريحة في هذا. من ذلك قوله تعالى :

﴿ لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسانِ دَاوَدَ وَعِيسَى ابْنِ مُرْيَمَ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(١) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبَثْتُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مُثْبَثَةً عِنْدَ اللَّهِ ؟ مَنْ لَعْنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾^(٢) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَمَّا عَتَّوْا عَنْ مَا نَهَا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كَوْنُوا قَرْدَةً خَاسِئِينَ . وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لَيَعْمَلُنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءُ الْعِذَابِ ﴾^(٣) .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَا ثُقُفُوا - إِلَا بَحْبُلٍ مِنَ اللَّهِ وَحْبُلٍ مِنَ النَّاسِ - وَبَاعُوا بَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَقْتَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(٤) .

هَذِهِ الْآيَاتُ - وَأَمْثَالُهَا - تَقْرِيرٌ لِحُكْمِ اللَّهِ الْنَّهَائِيِّ عَلَى الْيَهُودِ ، وَقُدرَةِ النَّافِذِ فِيهِمْ ، وَمَا تَارِيَخُهُمْ - بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَاصَّةٍ - إِلَّا تَفْسِيرٌ حَقِيقِيٌّ عَمَليٌّ لِهَذِهِ الْآيَاتِ .

وَيُجَبُ أَنْ تُقْرَنَ هَذِهِ الْآيَاتُ مَعَ الْآيَاتِ السَّابِقَةِ عَنْ تَفْضِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَأَنْ تُقْرَأَ الْمَجْمُوعَتَانِ مَعًا ، وَأَنْ تُعْرَضَا مَعًا عَلَى النَّاسِ لِيُعْرَفَ الْمَخْدُوعُونَ مَنْ هُمُ الْيَهُودُ ، وَمَا هُوَ قَضَاءُ اللَّهِ فِيهِمْ .

(١) المائدة: ٧٨.

(٢) المائدة: ٦٠.

(٣) الأعراف: ١٦٧.

(٤) آل عمران: ١١٢.

الحكمة من كثرة أنبيائهم

يلاحظ الناظر في أمر اليهود وتاريخهم شيئاً ملفتاً للنظر، وهو كثرة أنبيائهم المذكورين في القرآن، فقد امتدت النبوة فيهم فترة طويلة من الزمان، منذ يوسف بن يعقوب، وحتى عيسى بن مريم، وكان من أنبيائهم: يوسف، وموسى، وهارون، وسلمان، وداود، وزكريا، ويحيى، وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

وقد جعل اليهود هذه الظاهرة لصالحهم، واعتبروها مظهراً من مظاهر تكريمهم وتفضيلهم ومحبة الله لهم، وهذه عادتهم في التحريف والتفسير والمكر والخداع.

ولكن هذا الأمر ليس لصالحهم، وإنما هو دليل على انحرافهم وفسادهم، وتعقيد نفسياتهم، وسوء أخلاقهم، وتمكن الشر والإيذاء من نفوسهم، بحيث صعب علاجهم وإصلاحهم، فلا يكاد يقدر على هذا إنسان عادي، مهما بلغ من الصلاح والتقوى، والصبر والحكمة والفتنة.

فاحتاج الأمر إلى أن يكون الأنبياء هم الذين يتولون هذا، ومعروف أن طاقات وقدرات موهاب الأنبياء تفوق ما عند الصالحين العاديين، وإن التاريخ والواقع والعلم يقرر هذا.

من هو الذي يجتمع عليه مجموعة من أمهر الأطباء؟ فهو المريض مريضاً عادياً؟ أم هو الذي استشرى فيه الداء وتمكن منه المرض، وأصبحت حالته

الصحية خطيرة، وحياته شبه ميؤوس منها؟ والأنبياء هم أطباء القلوب.

من هو الذي يُقبل عليه مجموعة من الأساتذة؟ أهو ذلك الطالب النبيه الذكي الذي يفهم من إشارات أستاذه؟ أم هو ذلك الطالب الغبي البليد الذي لا يسمع، وإذا سمع لا يفهم، وإذا فهم لا يصدق، وإذا صدق لا يلتزم، وإذا التزم فبمیوعه؟ والأنبياء هم أساتذة العالم ومعلمو الناس.

موقف يهود من أنبيائهم

أخبرنا الله سبحانه في مواضع من القرآن الكريم عن موقف اليهود من أنبيائهم، ونظرتهم إليهم، وصلتهم بهم.

فهم مزاجيون مع أنبيائهم، يحدّد نظرتهم إليهم هو نفوسهم، وتقلّب مزاجهم، وحرصهم على المال والشهوات الدنيا. فما وافق هواهم ومزاجهم أخذوه، وما خالفه رفضوه، ولو كانت الأدلة قطعية يقينية على أنه شرع الله، وأن الذي جاء به رسول الله من عند الله. وهذا النبي الذي لم يدخل مزاجهم ولم يتوافق مع هواهم إما أن يكذبوا وإما أن يقتلوه.

قال تعالى : ﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل ، وآتينا عيسى بن مريم البيانات وأيدناه بروح القدس ، أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون ﴾^(١).

وماذا ترجو من قوم نصب الخير عندهم ، فأصبحت قلوبهم أقسى من الصخر ، تكذب من قامت الأدلة اليقينية على صدقه ، وتقتل من تواترت الأنبياء على نبوته؟ .

قال تعالى : ﴿ الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتيها

(١) البقرة : ٨٧

بُقْرَبَانِ تَأْكُلُهُ النَّارُ، قُلْ : قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ، فَلِمْ
قُلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ .

نظرتهم إلى أنبيائهم يحكمها الهوى والشهوة والمزاج والمصلحة.

فموسى عليه السلام - وهو منقذهم - آذوه كثيراً واتهموه كثيراً، وهارون
وداود وسليمان عليهم السلام افتروا عليهم كثيراً.

وكذبوا كثيراً من أنبيائهم، وقتلوا من قتلوا منهم، ولم يبيّن القرآن أسماء
الأنبياء المقتولين أو بعضهم، كما لم تبيّن هذا الأحاديث الصحيحة، ولهذا
توقف عند حدود النص القرآني ، ونقرر أنهم قتلوا فريقاً من الأنبياء، الله أعلم
بأسمائهم، ولا فائدة من هذا التعين.

(١) آل عمران : ١٨٣ .

النفسية اليهودية المعقدة مُجمَعُ نقائص

إنَّ الناظر في العرض القرآني لقصة بني إسرائيل يقف منه على الطبيعة الدائمة لهم، وإن المتأمل للتحليل القرآني الكاشف للنفسية اليهودية يدرك أنها نفسية رُكبت تركيباً خاصاً، ومُزجت مزجاً خاصاً، وأن أوضح وصف لها هو الالتواء والتعقيد.

فجاءت نفسية يهودية معقدة، تداخلت خيوطها، وتعمق فيها الغدر والحدق، والحسد واللؤم، والمكر والخداعة، والتآمر والأنانية، والتكبر والافتراء، والكذب والزعم، والتحريف والتبدل والتحايل، أو قل إنْ شئت إنَّ هذه النفسية اليهودية كأنها مُزجت من هذا المزيج المريض، فكانت «ناتجاً مرتاً شائهاً له..».

ومن أجل هذا رفضت التعامل النافع مع الآخرين، وتفننت في إيقاع السوء بهم، وقابلت أيديهم الممتدة إليهم بالإحسان، بالإيذاء والتخريب والإفساد.

وإن الإنسان عندما يقرأ عرض القرآن لملامح وسمات وأخلاق اليهود وبيانه لمدى التعقيد الذي جُبلت عليه نفوسهم، وعندما يرى مصداق هذا في تاريخ اليهود في فتراته المتلاحقة، وعندما يرى هذا بارزاً جلياً في اليهود هذا الزمان بتكبرهم وعلوّهم وإفسادهم.. إن الإنسان عند هذا ليعجب من هذه النفوس اليهودية وسماتها المتمحضة للشر والخالصة للفساد، ولا يكاد يصدق

أن بشرًا يمكن أن يكونوا هكذا لو لا أن القرآن الصادق تحدّث عنهم ، والتاريخ الدقيق أخبر عنهم ، والناظر البصير تأكد منهم .

ما من نفيصة إلا وتمثلت في اليهود ، وما من خلق ذميم إلا وتخلّقوا به ، وما من رذيلة إلا واقترووها . حياة الفرد منهم - من غير المؤمنين بالله حقاً - رذائل ، وتاريخهم - حاشا الصالحين منهم وهم قليل - نقائص ، بحيث يصدق على النفسيّة اليهودية المعقدة المشوهة أنها «مجمع نقائص» و«تجسيم رذائل» .

البداية الحاقدة الكاذبة: إخوة يوسف عليه السلام

يوسف نبي كريم، ووالده نبي كريم، وجده الأعلى نبي كريم، فهو الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم. فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم: يوسف بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم» عليه الصلاة والسلام. وقد كان ليوسف من الإخوة الذكور أحد عشر أخاً، وهؤلاء هم أصول وأجدادبني إسرائيل وأسباطهم.

ورغم أنهم أولاد نبي كريم - يعقوب عليه السلام - وإخوة يوسف الكريم عليه السلام، إلا أنهم تمثلت فيهم أخلاق وسمات ذميمة، وقاموا بأعمال وتصرفات لئيمة، وفعلوا بأخيهم يوسف عليه السلام ما لم يفعله إخوة بأخيهم ممن استقامت نفوسهم وصلحت أحوالهم.

ولقد كان هؤلاء الإخوة هم البداية لتاريخبني إسرائيل، والورقة الأولى من سجلهم التاريخي المعروف، فإذا كان هؤلاء تمثلت فيهم أخلاق وصفات وسمات خاصة؛ فكيف بالأجيال اللاحقة لهم منبني إسرائيل؟

إن هذه البداية الحاقدة الكاذبة دليل على الطبيعة الخاصة ليهود، والنفسية المعقّدة لهم، وتمكن أخلاق خاصة لهم في كيانهم.

ونحن في كل ما نقوله نستثنى أبناءبني إسرائيل عليهم السلام، كما

نستثنى المتفوقين منهم في الصلاح والتقوى والاستقامة.

إخوة يوسف ليسوا أنبياء:

اختلف العلماء في نبوة إخوة يوسف عليه السلام:

فذهب بعضهم إلى أنهم أنبياء على اعتبار أنهم هم الأسباط المذكورون في القرآن في عدد الأنبياء ﴿ قُولُوا آمَنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَالْأَسْبَاطَ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾^(١).

وذهب المحققون المنهجيون من العلماء إلى أنهم ليسوا بأنبياء، ونحن نتابع هؤلاء في رأيهم، ونرجح أنهم ليسوا بأنبياء - والله أعلم -.

والأدلة على هذا الرأي ما يلي:

١ - إن الأصل عدم النبوة، وإن النبوة لا تكون إلا بتكليف من الله، وإن طريق إثبات النبوة لأحد الأنبياء هو النص الصريح، وذلك النص محصور في أحد أمرین لا ثالث لهما، وهو آية من القرآن، أو حديث صحيح لرسول الله ﷺ. والقرآن لا يصرّح بنبوة الأسباط، ولو كانوا أنبياء لأنّا أخبرنا بأسمائهم بأعيانهم كما أخبرنا باسم أخيهم النبي يوسف عليه السلام، ولا يوجد حديث صحيح بأسمائهم أو إثبات النبوة لهم.

٢ - إننا قد نقع في الإثم والمحظوظ لو قلنا بنبوتهم، فلو اعتقدنا أنهم أنبياء مع أنهم ليسوا كذلك، فإننا نجعل مع الأنبياء من ليس منهم، ونثبت نبوة من ليس بنبي، وهذا منهٰ عنه في ديننا.

٣ - إن أفعالهم وأقوالهم ومكايدهم التي سجلها القرآن تدل على عدم نبوتهم، لأن الأنبياء - كما نرى ونرجح - معصومون من الأخطاء قبل النبوة وبعدها، وعصمتهم من ارتكاب الكبائر قول جمهور علماء المسلمين، وهؤلاء

(١) البقرة: ١٣٦ .

الإخوة ارتكبوا كبائر من الذنوب ، والكذب من أكبر الكبائر.

هؤلاء الإخوة وصفوا أباهم - النبي الكريم - بالضلال والظلم ، وتأمروا على قتل أخيهم ، وباعوه على أنه عبد لهم ، ورقيق عندهم ، وكذبوا على أبيهم النبي عدة مرات ، وكم أنبوه وتكلموا معه بما لا يليق ، والأنبياء لا يفعلون هذا .

هذه وغيرها تدل على أنهم ليسوا أنبياء والله أعلم .

ولهذا قال الإمام ابن كثير في البداية والنهاية : (وقد ذهب طائفة من العلماء إلى أنه لم يكن فيهم نبي غيره ، وباقى إخوته لم يُوحَ إليهم . وظاهر ما ذكر من أفعالهم ومقالهم في هذه القصة يدل على هذا القول ، ومن استدل على نبوتهم بقوله : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ وزعم أن هؤلاء هم الأسباط فليس استدلاله بقوى ، لأن المراد بالأسباط شعوب بني إسرائيل ، وما كان يوجد فيهم من الأنبياء الذين ينزل عليهم الوحي من السماء ، والله أعلم .

ومما يؤيد أن يوسف عليه السلام هو المختص من بين إخوته بالنبوة والرسالة أنه لم ينص على واحد من إخوته سواه ، فدلل على ما ذكرنا^(١) .

(١) البداية والنهاية لابن كثير ١: ١٩٨ - ١٩٩ .

مَنْ هُمُ الْأَسْبَاطُ

ذكرت كلمة الأسباط خمس مرات في القرآن، أربع مرات معرفة بـأَلْ ومرة واحدة نكرة. والمرات الخمس في سياق الحديث عن بنى إسرائيل والأنبياء، وأن الأمة الإسلامية هي الأولى بهؤلاء الأنبياء من اليهود.

وقد وردت كلمة الأسباط في أربع مرات ضمن تعداد الأنبياء:

﴿ قُولُوا آمِنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾^(١).

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى؟ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمَّا اللَّهُ؟ ﴾^(٢).

﴿ قُلْ آمِنَا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾^(٣).

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّنَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونَسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ﴾^(٤).

(١) البقرة: ١٣٦.

(٢) البقرة: ١٤٠.

(٣) آل عمران: ٨٤.

(٤) النساء: ١٦٣.

ومما يوضح المقصود بالأسباط في هذه الموضع الأربعة قول الله تعالى عن بني إسرائيل : ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ أَثْنَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّاً ﴾^(١).

وليس المراد في هذه الآية إخوة يوسف - عليه السلام - الاثني عشر، وإنما المقصود هو قبائل بني إسرائيل وأممهم المترفة عن هؤلاء الإخوة. والقرآن يفسر بعضه ببعض، ويحمل المطلق على المقيد فيه، والمبهم على المبين منه، قال الإمام رشيد رضا في المنار: (في الكلام تقدير مضاف. أي: أنبياء الأسباط، كأنه قال: وسائر أنبياء بني إسرائيل، وهو المختار، ولم يصح في نبوة غير يوسف من أبناء يعقوب شيء)^(٢).

وقال الإمام الراغب في المفردات: (أصل السُّبْطُ: انبساط في سهولة. والسُّبْطُ ولد الولد كأنه امتداد الفروع. والأسباط أي قبائل كل قبيلة من نسل رجل. أسباطاً أُمَّاً)^(٣).

السبط في اللغة لا يطلق إلا على ولد الولد، ولا يطلق على الولد؛ فكيف يسمى أولاد يعقوب عليه السلام أسباطاً؟ إنهم أحفاده ونسله وذراته، والمراد بها شعوب بني إسرائيل وقبائلهم التي تفرعت عن أولاد يعقوب - عليه السلام - الاثني عشر، والله أعلم.

(١) الأعراف: ١٦٠.

(٢) تفسير المنار ١: ٤٨٣.

(٣) المفردات: ٢٢٢.

أخلاق الأجداد المذمومة

بَيَّنَتْ لَنَا سُورَةُ يُوسُفَ مِجْمُوعَةً مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ، وَالْأَقْوَالِ الْبَاطِلَةِ، وَالْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ لِإِخْرَوْهُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ أَصْوَلُ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَجْدَادِهِمُ الْأَوَّلُونَ.

من أخلاقهم المذمومة:

١ - الحسد اللثيم الذي ولد الحقد الأسود. فقد حسدو أخاهم يوسف عليه السلام لأن والدهم يعقوب عليه السلام كان يخصه بمزيد من الرعاية والاهتمام ..

وما كان يعقوب عليه السلام - وهو نبي كريم - مخطئاً في هذا التصرف، ولا مفرقاً بين الأولاد، وإنما هذا شيء طبيعي في النفس الإنسانية، فنفهم من الآيات أن يوسف كان أصغر من باقي إخوانه، وأي أب كان من شأنه أن يولي الصغير عناية أكثر من الكبير.

وقد سئلت امرأة حكيمة: مَنْ هُمْ أَحَبُّ أَبْنَائِكَ إِلَيْكِ؟ فَقَالَتْ: الصَّغِيرُ حَتَّى يَكُبرُ، وَالْمَرْيِضُ حَتَّى يَشْفَى، وَالْمَسَافِرُ حَتَّى يَعُودُ.

كما كان يوسف - عليه السلام - يتصف بصفات فاضلة وموهاب خاصة، وتبدو عليه علامات النبوغ والحكمة والتقوى والصلاح. وكان والده النبي يلحظ هذا عليه، وما كانت هذه تبدو على باقي إخوانه، ومن الطبيعي أن يفضل الأب من بدت عليه تلك المظاهر على باقي إخوانه، تفضيلاً لا يبالغ

فيه، ولا يهضم للإخوة الآخرين حقوقهم، وهذا ما فعله يعقوب عليه السلام.
ولأنه انحراف في النفس وفساد في الأخلاق أن يحسد إخوة يوسف
أخاهم من أجل هذا، وأن يتحول حسدهم إلى حقد أسود: «إذ قالوا ليوسف
وأخوه أحبت إلى أبينا منا ونحن عصبة، إن أبانا لفني ضلالاً مبين»^(١).

٢ - الهم بقتل يوسف: وقد تحول الحقد الأعمى إلى التفكير الجدي
بقتل أخيهم يوسف، قالوا: «اقتلو يوسف، أو اطروحوه أرضاً، يخل لكم وجه
أبيكم»^(٢).

وبمجرد أن يفكر الإخوة بقتل شقيقهم وإزهاق روحه يكونون قد فقدوا
الأخلاق الفاضلة، وأجدبوا قلوبهم من معاني الرحمة والخير والإنسانية، وما
صرفهم عن قتل أخيهم يوسف إلا أحدهم - ويبدو أنه كان أقلهم سوءاً - وذلك
عندما دلّهم على طريقة ماكرة يتخلصون فيها من يوسف.

٣ - الأنانية المريضة: وتبدو هذه الأنانية في قولهم: «يخل لكم وجه
أبيكم» فلا يريدون شريكأ لهم مع أبيهم، بل يريدون أن يكون لهم وحدتهم
فليتخلصوا من كل من يزاحمهم عليه ويشاركهم فيه. والأنانية المريض يريد
أن يكون كل شيء له، ومن ثم يحرص على أن يُزيل كل من وقف أمامه،
ويقضي على كل من حال بينه وبين تحقيق أنانيته.

٤ - ضلالهم عن طريق الصلاح: وهذا الضلال يتمثل في نظرتهم إلى
حالتهم بعد قتل أخيهم يوسف «وتكونوا من بعده قوماً صالحين»^(٣).

إن هذه العبارة تكشف لنا طائفة من أخلاقيهم الذميمة وليس خلقاً واحداً
فقط!! إنهم أولًا انتهازيون وصوليون، أو ميكافيليون بالتعبير السياسي
المعاصر، لأن المهم أن يتحققوا هدفهم بالتفرد بأبيهم ولو كان بأي ثمن، حتى

.٨) يوسف:

.٩) يوسف:

.١٠) يوسف:

لو كان الثمن هو قتل أخيهم أو إخراجه من بينهم.

وهم ثانياً لا يبالون بذنبهم الكبير، فإنهم سيتوبون بعد ذلك ويكونون قوماً صالحين، وهذه هي الاستهانة بالمعصية والاستخفاف بالجريمة. وفرق بين إنسان يذنب بدون قصد وببقى خائفاً من ذنبه، وبين آخر يذنب مع سبق الإصرار مع الاستهانة به.

وهم ثالثاً يظنون أنهم بهذا الجرم العظيم يحسنون صنعاً، وهذا من أسوأ الأخلاق وأضل التصورات، كما قال تعالى: ﴿أَفَمِنْ رُّبِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾^(١)، وكما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نَبِئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا؟ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صنِعًا﴾^(٢).

وهم رابعاً قد ضلوا عن طريق الصلاح وساروا في طريق يوصل للباطل والفساد، فكيف يتربون إلى ربهم بسفك دماء أخيهم؟ كيف يكونون صالحين بعدما يقتلون أخاهم؟ لكنها الأنانية التي تعمى عن الطريق، والحق والحسد اللذان يريان الفساد صلاحاً والحق باطلًا !!.

٥ - عقوتهم لأبيهم، وسوء نظرتهم له، وفحش وصفهم له، وقبح مخاطبتهم له، ولا ننسى أن أباهم هو النبي الكريم يعقوب عليه السلام.

فبماذا وصفوا أباهم النبي؟ قالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍٰ مُّبِينٍ﴾^(٣) والإنسان الذي يتصف بقليل من الأدب لا يصف أبا المؤمن بأنه ضال ومخطيء، فضلاً عن أن يصف ضلاله وخطأه بأنه كبير مبين ظاهر لكل ذي عينين، فإذا كان المؤمن لا يوصف بهذا، فكيف يوصف به النبي من أنبياء الله؟ وكيف يكون الموقف عندما يصدر هذا الوصف الجاحد الكنود عن أولاده ! . وكيف خاطبوا أباهم الكريم؟ إنهم لا يريدون له أن يتذكر ابنه يوسف

(١) فاطر: ٨.

(٢) الكهف: ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) يوسف: ٨.

مُجْرَد تذَكْرٌ، وَلَا أَن يَحْنَ لَهُ وَيُشْتَاقُ إِلَيْهِ وَيُبَكِّي الْمَا لِفَرَاقِهِ، لَا يَرْحَمُونَ دَمْوعَهُ، وَلَا يَقْدِرُونَ مُشَاعِرَهُ وَعِوَاطِفَهُ، وَلَا يَأْسُونَ لِحَالَتِهِ وَلَا يَشْفَقُونَ عَلَيْهِ، بَلْ يَتَوَقَّحُونَ مَعَهُ وَيُسَيِّئُونَ فِي مُخَاطِبَتِهِمْ لَهُ ﴿٤٠﴾ وَتَوَلَُّ عَنْهُمْ وَقَالَ: يَا أَسْفِي عَلَى يُوسُفَ وَابِيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ. قَالُوا تَالِلَهِ تَفَتَّ تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ. قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴿٤١﴾.

٦ - ممارسة الكذب واستمراؤه: هُمْ قَوْمٌ كاذِبُونَ، كَذَبُوا عَلَى أَبِيهِمْ مَرَاتٍ، وَكَذَبُوا عَلَى الْآخِرِينَ، وَكَذَبُوا عَلَى أَخِيهِمْ يُوسُفَ، وَالْكَذْبُ خَلَقَ ذَمِيمَ، لَا يَمْارِسُهُ إِلَّا إِنْسَانٌ مَرِيضٌ جَبَانٌ. إِنَّ الصَّدْقَ وَالْجَرَأَةَ وَالشَّجَاعَةَ وَالإِيمَانَ مُتَلَازِمَةٌ، وَإِنَّ الْكَذْبَ وَالْجَبَانَ وَالْمَرْضَ مُتَلَازِمَةٌ.

فَأَجَادَادُ الْيَهُودَ هُؤُلَاءِ كَذَبُوا عَلَى أَبِيهِمْ أَوْلَأَعْنَدَمَا زَعَمُوا لَهُ أَنَّهُمْ يَحْبُّونَ أَخَاهُمْ يُوسُفَ، وَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ مَصْلِحَتَهُ، وَأَنَّهُمْ حَرِيصُونَ عَلَى سَلَامَتِهِ وَحَفْظِهِ وَنَصْحَهُ. وَمَتَى أَكَدُوا هَذَا لِأَبِيهِمْ؟ بَعْدَمَا اسْتَقَرَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَتَخلَّصُوا مِنْ يُوسُفَ ﴿٤٢﴾ قَالَ قَاتِلُهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَلْقُوْهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبُّ، يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كَتَمْ فَاعِلِيَّنِ، قَالُوا: يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ؟ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ. أَرْسَلَهُ مَعْنَا غَدًّا يَرْتَقِعُ وَيَلْعَبُ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٤٣﴾.

وَهُمْ ثَانِيًّا: كَذَبُوا عَلَى أَبِيهِمْ عِنْدَمَا جَاءُوهُ عَشَاءَ يَبْكُونَ، وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ أَخَاهُمْ قَدْ أَكَلُوا الذِّبْحَ ﴿٤٤﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عَشَاءَ يَبْكُونَ. قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا، فَأَكَلَهُ الذِّبْحُ!! وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿٤٥﴾.

وَهُمْ ثَالِثًا: كَذَبُوا عَلَى أَبِيهِمْ عِنْدَمَا قَدَّمُوا لَهُ قَمِيصَ أَخِيهِمْ يُوسُفَ، وَهُوَ

(١) يُوسُفٌ: ٨٤ - ٨٦.

(٢) يُوسُفٌ: ١٠ - ١٢.

(٣) يُوسُفٌ: ١٦ - ١٧.

ملطخ بالدماء، وزعموا أنها دماء يوسف الذي أكله الذئب ﴿ وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب ﴾^(١).

وهم كذبوا - رابعاً - على السيارة التي وجدت يوسف عليه السلام في البئر، حيث زعموا لهم أنه غلام لهم ورفيق، وأنهم يريدون أن يبيعوا كما يُباع الأرقاء، وفعلاً باعوه لهم: ﴿ وشَرَوْهُ بِثِمنٍ بَخْسٍ دراهم معدودة، وكانوا فيه من الزاهدين ﴾^(٢).

وهم كذبوا على يوسف نفسه عليه السلام بعدما أصبح عزيز مصر، ووجد صُواع الملك في رجل أخيه، وأخذ أخاه بتهمة السرقة، فقالوا له: إن هذا الأخ سارق كأخيه، وأنه تعلم منه السرقة: ﴿ قالوا: إِنْ يَسْرُقْ فَقْدْ سَرَقَ أَخَّ لَهُ مِنْ قَبْلٍ، فَأَسْرَرْهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يَتَدَهَّرْ لَهُمْ، قَالُوا: أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصْنَعُونَ ﴾^(٣).

٦ - الخداع والتّمثيل: كانوا - وهكذا اليهود دائمًا - يعتبرون الخداع ذكاء، والتّمثيل فطنة، والكذب والافتراء لباقة وحسن تصرف.

خدعوا أباهم ومثلوا عليه، وأظهروا له حرصهم على يوسف ليوافق على إرساله معهم، ولما بين لهم خوفه عليه من الذئب طمأنوه بأنهم عُصبة، وأي ذئب يقدر على الوصول إليه وهو معهم.

ومن باب التّمثيل أنهم جاءوا أباهم ليلاً، وحرصوا على أن لا يأتوا في النهار، لأن الممثل المخادع لا يروج مكره وكذبه إلا في الظلام، وذلك حتى لا يفضح النهار والنور والضياء تمثيله ومكره، وحتى لا يكشف وجهه في ضوء النهار ما يخفيه لسانه، جاءوا أباهم في الظلام حتى تنطلي عليه الخدعة، ويروج عليه التّمثيل.

(١) يوسف: ١٨.

(٢) يوسف: ٢٠.

(٣) يوسف: ٧٧.

ومبالغة في التمثيل جاءوه باكين، ويدررون الدموع الكاذبة على أخيهم الفقيد، واستشهادوا بهذه الدموع على صدقهم في مزاعمهم، واستخدام الانفعالات والمشاعر الإنسانية - مثل الدموع والبكاء - لتكون شهود زور خطة يهودية خبيثة، طبقوها في تاريخهم الحافل بالفضائح والمخازي.

وحتى يحيكوا الخطة تماماً، ويكون نجاحهم في التمثيل كاملاً ﴿ جاءوا على قميصه بدمٍ كذب ﴾ زاعمين أن هذا دم يوسف الذي أكله الذئب.

هذا هو خداعهم وتمثيلهم: رسم المؤامرة، اختيار وقت ومكان تنفيذها، تذليل العقبات التي تقف أمامها، الحصول على إذن ورضى من الآخرين، الظهور بمظهر الحرص والتصرّف والحب، القدوم في الليل الساير، وذرف الدموع الكاذبة، والإتيان بالشواهد الخادعة.

لكن هل خدعوا بهذا يعقوب النبي عليه السلام؟ وهل انطوى عليه تمثيلهم، وصدقهم في مزاعمهم؟ كلاً ﴿ قال: بَلْ سَوْلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا، فَصَبَرْ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعْنَى عَلَىٰ مَا تَصْفُونَ ﴾^(١).

(١) يوسف: ١٨.

مزاوم يهودية ونقض القرآن لها

نَظْرَةُ الْيَهُودِ إِلَيْهِمْ :

اليهود قوم محروفون مدعون في كل شيء، ولا ينجو من افتراءاتهم وأدّعاءاتهم مجال من مجالات الفكر والتصور والخلق والسلوك والتشريع والأحكام والعمل والحياة.

حتى عقيدتهم التي زعموا أنهم أخذوها من أنبيائهم لم تسلم من هذا التحرير والافتراء والزعم والادعاء.

لقد بدا الطابع اليهودي على كل شيء لليهود، وبرزت لمسات اليهود المحرفة في دينهم وعقيدتهم، فكانت عقيدتهم نتاجاً يهودياً، وليس ديناً ربانياً. دينهم وعقيدتهم لهم، وهو فضل لهم يجب أن لا ينال الآخرون هذا الفضل. إن هذه العقيدة مفصلة على المقاس اليهودي الخاص، ومرتبة ومبوءة لهم لتلبّي أهواءهم وطموحاتهم ورغباتهم.

حتى «الله» في النّظرّة اليهودية إله خاص ببني إسرائيل، لا يحب إلا هذا الشعب، ولا ينزل نعمته ورحمته إلا عليه، ولا يكتب نصره وتوفيقه إلا له، ومن أجله خلق الكون، ولأجله خلق الأرض، ولخدمته خلق الناس الآخرين.

وإن أسفارهم في التوراة^(١) مليئة بعبارات فاجرة سيمحة توضح هذه

(١) أعني توراتهم المحرفة.

النظرة اليهودية العنصرية، ولا نريد أن نورد منها في هذا المكان شيئاً، حتى لا نخرج عن المنهج الذي ارتضيناها في هذا البحث.

ولكن نريد أن نعرض بعض آيات القرآن التي تبيّن نظرتهم لإلههم، وتحدد صلتهم بهذا الإله:

زعمهم أنهم أبناء الله وأحبابه:

كثيراً ما ردّ اليهود أمام الشعوب الأخرى أنهم «شعب الله المختار» الذي فضلَه الله على العالمين حتى قيام الساعة، واختاره على باقي الشعوب إلى يوم القيمة، وقد يخدع آخرون من الغافلين بهذا الادعاء، فيصدقونه، ويتعاملون معهم على هذا الأساس.

ومن مظاهر كونهم شعب الله المختار - حسب افتراضهم - أنهم: أبناء الله وأحبابه.

وقد سجل القرآن هذا الزعم اليهودي وأبطله. فقال: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحبابه!! قُلْ: فلِمَ يعذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ؟ بل أنتم بَشَرٌ مَمْنَ خَلْقٍ، يغْفِرُ لِمَن يشاء، ويعذِّبُ مَن يشاء، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^(١).

يجعلون أنفسهم أبناء الله، ويزعمون أنهم ما زالوا موحدين بالله، وأنهم على دين الله الصحيح، والله سبحانه ينفي في آيات كثيرة أن يكون له ولد، كما في قوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ، وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾^(٢).

وهذا الزعم اليهودي الكافر دليل على الأنانية اليهودية، والنفسية اليهودية التي تريد كل شيء خاص بها، حتى لو كان هذا هو رب العالمين.

وقد أبطل القرآن الكريم هذا الزعم بقوله: فلِمَ يعذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ؟ إن الله عادل في أحكامه، لا يُحابي أحداً، وإنما يرتب الجزاء على الأفعال،

(١) المائدة: ١٨.

(٢) المؤمنون: ٩١.

وأنتم يعذبكم اللَّه بذنبكم، وفي هذا رد لمزاعمكم. قال تعالى: ﴿لِيُسْ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيَا وَلَا نَصِيرًا﴾^(١).

ويدعو القرآن اليهود الأنانيين إلى أن ينظروا لأنفسهم نظرة إنسانية وليس عنصرية جنسية، فهم بشر مثل باقي البشر، وهم باقي مخلوقات الله الذين خلقهم، وتنطبق عليهم - كما تتنطبق على باقي الأمم الأخرى - أحكام الله وسنته الثابتة، وتترتب عليهم في الدنيا ويوم القيمة آثار ونتائج أعمالهم التي عملوها، فيعذبهم إن ضلوا أو كفروا، ويرحمهم ويدخلهم الجنة إن آمنوا وأصلحوا وأحسنوا.

زعمهم أن العَزِيزَ ابنَ اللهِ:

نسب اليهود الأبناء إلى الله، وزعموا أن «عزيراً» هو ابن الله، وادعوا بعد هذا أنهم على دين الله وموحدين له سبحانه !!.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَ النَّصَارَى الْمُسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يَضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قَاتَلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^(٢).

وما يقرره الله عنهم هو الحق اليقيني الذي لا شك فيه، وما ورد في القرآن عنهم فهو ثابت ثبوتاً قطعياً، ولا داعي للبحث في أقوالهم وكتاباتهم وأسفارهم للتأكد من صحة ما نسبه القرآن لهم. إن بعض الباحثين قد يفعل هذا، ويدعُ إلى أقوال اليهود، فإن لم يجد لهم قولًا أن عزيزاً ابن الله نفى ما أثبته القرآن، أو تشكيك في صحته، وهذا خطأ في النظرة إلى القرآن، وعدم ثقة في نصوصه وحقائقه !!

أخبرنا القرآن أن اليهود قالت: إن عزيزاً ابن الله، ونؤمن بأنهم قالوا

(١) النساء: ١٢٣ .

(٢) التوبه: ٣٠ .

هذا، ولا يلزم أن يكونوا قد قالوه كلهم، بجميع قبائلهم وأسباطهم وعلى طول تاريخهم، بل يكفي أن يكون قد قاله قوم منهم لينسب إليهم، ويروى عنهم، ويكررون به.

ويقرر القرآن أن اليهود في هذا الزعم يضاهئون ويقلدون الكافرين من قبلهم الذين نسبوا الولد إلى الله، وأنهم باقتدائهم بهم وتقليلهم لهم في كفرهم وفي نسبة الولد إلى الله - سبحانه - قد شاركوه خاتمتهم ونهايتهم، وهي الخلود في نار جهنم.

زعمهم أنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً
ارتکب اليهود من الجرائم ما ارتکبوا، وكانوا يستهينون بها، زعمأً منهم
أن الله لن يعذبهم لأنهم أبناءه وأحبابه، وحتى إذا أغضبهم وعدّبهم فلن
يكون عذاباً طويلاً مستمراً دائماً، وإنما هي أيام معدودة أو معدودات،
ويدخلون الجنة بعدها.

وقد سجل القرآن هذا الزعم اليهودي في موضعين:

الأول في سورة البقرة وفي سياق تحريف اليهود لدين الله وكتابه وشرعه
وكتابته بأيديهم ونسبته إلى الله، وبين أن من أسباب قيامهم بهذا هو استهانتهم
بهذا الذنب، فإن الله لو أراد أن يعذبهم عليه ويؤاخذهم به فلن يكون العذاب
إلا أياماً معدودة.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ للذين يكتبون الكتابَ بأيديهم ثم يقولون هذا من
عند الله، ليشتروا به ثمناً قليلاً، فَوَيْلٌ لهم مما كتبوا أيديهم، وَوَيْلٌ لهم مما
يَكْسِبُونَ. وَقَالُوا: لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَامًا مَعْدُودَةً. قَلْ أَتَخْذُلُمُعْنَى
فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ؟ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. بَلِّي مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَاحْتَاطَ بِهِ خَطِيئَتِهِ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(١).

وقد طالبهم القرآن - وهو يفنّد هذا الهراء - بالأدلة القاطعة التي استندوا

(١) البقرة: ٧٩ - ٨١.

إليها: هل أعطاهن الله بذلك عهداً؟ وهل أخذوا عليه ميثاقاً؟ إذا كان عندهم شيء فليقدموه حتى يصدقوا. وإذا لم يكن عندهم شيء - ولن يكون - فإنه هم متقولون على الله مفترون عليه. وبعد ذلك يقدم القرآن للعالم القاعدة الربانية العادلة في الحساب وتقرير الجزاء، والتي لا تخرج عنها أمّة، ولا ينجو منها بشر. فكل من كسب سيئة فإنه مؤاخذ بها، إلا إذا تاب وأناب وأصلح، وأراد الله له قبول التوبة.

والموطن الثاني في سورة آل عمران:

ورد في سياق رفض اليهود التحاكم إلى كتاب الله، وإعراضهم عن كل من يدعوهم إلى ذلك، وتولّيهم عن كل دعوة إليه، و اختيارهم أن يبقوا على ما هم عليه حتى لو كان باطلًا، ورضاهما بما يفعلونه من الذنوب والآثام، والسبب في هذا اعتقادهم أن الله لن يعذبهم في النار إلا أيامًا معدودات.

قال تعالى: ﴿أَلمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نُصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيُحَكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّغَرَّضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(١).

وأنجينا القرآن أن زعمهم هذا إنما هو كذب وافتراء، وأنهم صدقوا افتراءهم فجعلوه ديناً ثابتاً، وأن هذه النظرة ولدت عندهم الغرور والتكبر على الناس والاستهانة بالذنب والاستخفاف بالله.

زعمهم قصر الجنة عليهم:
اليهود أنانيون طمّاعون، يريدون أن يجعلوا كل النعم موقوفة عليهم، وكل الخير محتكراً فيهم.

حتى الجنة التي أعدّها الله لعباده المؤمنين المتقيين، لم تسلم من أنانية

(١) آل عمران: ٢٣ - ٢٤.

يهود واحتقارهم، لقد جعلوها وقفاً على اليهود فقط، وحِجْراً عليهم، ومنعوا الآخرين منها، وحرموهم دخولها !!.

وقد سجل القرآن هذا الزعم اليهودي الفاجر ثم أبطله ونقضه:

﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هُوداً أو نصارى!! تلك أماناتهم، قل: هاتوا برهانكم إن كتم صادقين. بلى مَنْ أسلم وجهه لله وهو مُحسِنٌ فله أجره عند ربه، ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾^(١).

تلك أماناتهم: هذه المزاعم أمانٌ يهودية، وأحلام وخیالات لا حقيقة لها، ورغبات يهودية ولدتها النفسية اليهودية المريضة، وكانت نتاج الأنانية اليهودية الاحتكارية البغيضة، ولكنها مع ذلك لا تخرج عن كونها أمانٌ وخیالات لن تتحقق يوم القيمة.

والقرآن في معرض إبطال هذا الزعم الباطل والادعاء الفارغ يطالب اليهود بأن يقدموا برهاناً على ما يقولون، وشاهدأ على ما يزعمون، ودليلأ على ما يتمنون، وأنّى أن يجدوا هذا؟.

ويقرر القرآن صفة الذي يدخله الجنة بغض النظر عن اسمه وجنسه ولونه، يقدم هذه الصفة لكل إنسان من بني البشر -يهودياً أو غير يهودي- ليتحققها في نفسه إن أراد دخول الجنة: مَنْ أسلم وجهه لله، ثم كان محسناً في كل نواحي حياته، يعني أن الإسلام العملي والإحسان الخلقي هما المؤهل الوحيد لدخول الجنة.

زعمهم قصر الهدى عليهم:

ومن نتائج أنانية يهود ادعاؤهم أنهم على حق، وأن كل من سواهم على باطل، وأنهم هم وحدهم على الهدى، وأن كل من سواهم على ضلال، ولذلك فضلهم الله على الآخرين، وجعلهم خدماً وعيبيداً لهذا الشعب

(١) البقرة: ١١٢ - ١١١.

المهتدي بهدى الله، لذا دعوا الآخرين أن يكونوا مثلهم، وأن يهتدوا بهداهم إن أرادوا التقرب من ربهم ونيل رضوانه وجنته، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا. قَلْ: بَل مِلَّة إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْنَا، وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَالْأَسْبَاطَ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ. لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ. فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَنَقْد اهْتَدُوا. وَإِنْ تَوَلُّو فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾^(١).

يقرر القرآن أنهم كاذبون في زعمهم هذا، وأنهم ليسوا مؤمنين ولا مهتدين، وأن الهدى ليس على ما هم عليه، بل الهدى في ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين، الذي لم يكن يهودياً ولا نصرانياً.

ويقدم القرآن لليهود طريق الهدى حتى يسلكونها، ويعلمهم كيف يكونون عليها: هي أن يؤمنوا بالله وما أنزل إلى أنبياء الله ورسله: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وباقى أنبياءبني إسرائيل، وأن يؤمنوا بما أنزل على خاتم النبيين محمد ﷺ، وأن لا يفرقوا بين أحد من أنبياء الله، ويسلموا لله إسلاماً كاملاً شاملأ.

هذا هو طريق الهدى فهل يهود يسيرون عليه؟ وهذه هي صفات المهتدي فهل اليهودي يتصرف بها؟ كلا. ولذلك لن يكون اليهودي ولا النصراني من المهتدين، ويقرر القرآن بحسم وجزم وتحديد أن الهدى هو في هذا الدين، هو في الإسلام الذي رضيه الله للبشرية ديناً، وأن المهتدين من البشرية كلها هم المؤمنون المسلمين فقط الملتمون بهذا الدين الخالد وهذه الشريعة الخاتمة، ويدعو القرآن اليهود لمعرفة هذه الحقيقة، وإلى أن يكونوا مثل المسلمين، وأن يؤمنوا كما آمن هؤلاء المسلمين، هذا إذا أرادوا أن يكونوا مهتدين.

(١) البقرة: ١٣٥ - ١٣٧.

زعمهم قصر الالتزام الأخلاقي فيما بينهم :

ومن أرذل مزاعم اليهود النابعة من نفسيتهم المريضة وعقيدتهم الزائفة وأنانيتهم الحاقدة تلاعبهم في المبادئ التشريعية، والتوجيهات الأخلاقية، والسلوك المستقيم.

لقد كانوا يعيشون ازدواجية أخلاقية مريضة، وانفصاماً في السلوك والحياة، فالحرام فيما بين يهود فقط، والأخلاق والفضائل لليهود فقط.

الزنا والغدر والسرقة محرمات لا يجوز لليهودي أن يقع فيها بين قومه يهود، ولا أن يصيب بها أحداً من بني قومه، لكنها إن تعلقت بالآخرين من غير يهود فإنها تكون حلالاً مباحة، يجوز لهذا اليهودي أن يمارسها، بل يتقرب إلى ربه بالقيام بها. والكذب والخيانة والتزوير، رذائل لا يجوز لليهودي أن يتصرف بها عند قومه، لكنها تحول إلى فضائل يُتاب اليهودي عندما يمارسها على الآخرين من غير يهود.

وسار يهود في حياتهم بهذه الازدواجية، واتصفت صلتهم بالآخرين في تاريخهم الأسود الطويل بهذه الصفة، وتخلفوا معهم بهذه الأخلاق.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِقُنْطَارٍ يُؤْدِهُ إِلَيْكُمْ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤْدِهُ إِلَيْكُمْ إِلَّا مَا دُمْتُ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأَمْمَيْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ بَلِّي مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَأَنْقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

إلا ما دمت عليه قائماً: لا يؤديك اليهودي حرقك - ولو كان ديناراً - لفضيلة فيه، وإنما خوفاً منك ورهبة، ما دمت عليه قائماً، وهذه الجملة تشير إلى ما يجب أن تفعله البشرية بيهود، أن تبقيهم دائماً تحت الملاحظة الشديدة، والمراقبة الوعية، والقيام البصير، والعناية المركزية. أن لا تغفل عنهم عين الرقيب، ولا تغيب عنهم الحراسات القائمة، وإذا غفلت البشرية

(١) آل عمران: ٧٥ - ٧٦.

عن هذا تمكّن يهود ونشروا رذائلهم وفسادهم، ومارسوا سرقاتهم واستغلالهم، والواقع المعاصر للعالم الآن الذي غفل عن القيام والمراقبة مصداق هذه الحقيقة القرآنية.

أما السر في هذا الوباء اليهودي الخطير فهو اعتقاد يهود أنه ليس عليهم في الأميين سبيل. أي أن الله أباح لهم كل المحرمات والمحظورات في تعاملهم مع الأميين - وهم كل العالم من غير يهود -، فلا سبيل عليهم ولا مؤاخذة ولا محاسبة.

أما حقيقة هذا الزعم فإنه هو الكذب على الله، وأصحابه يقولونه وهم يعلمون أنهم كاذبون، وما أشأم وأرذل وأضل من يمارس الكذب وهو يعلم أنه كذب !! .

وقدّم القرآن المبدأ الأخلاقي الثابت، الذي يعيش به المؤمن مع كل الناس مسلمين وكافرين، أصدقاء وأعداء. الوفاء بالعهد، والصدق والتقوى، ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَأَتَقْنَىٰ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَقِنِينَ﴾.

زعمهم أن الله دائمًا معهم :
طالما يزعم يهود أنهم شعب الله المختار، فإنهم يعتقدون أن الله دائمًا معهم، ينعم عليهم ويمكّن لهم في الأرض، ويقهرون عدوهم وينصرهم عليهم، ويدخلهم جنته يوم القيمة.

ونسوا أن الله لا يكون إلا مع المؤمنين الصالحين، ولا يكون مع الكافرين الفاجرين، صحيح أن الله مع أجداد يهود الذين خرجوا مع موسى من مصر، والذين فتح عليهم الأرض المباركة «فلسطين»، ولكنهم كانوا يمثلون العابدين الصالحين المؤمنين، وأن الله كان معهم لإيمانهم وصلاحهم وليس لجنسهم أو نسبهم أو أصلهم.

وقد أخبرنا القرآن أن الله أخبربني إسرائيل بهذا، أخبرهم أنه معهم، ولكن ليس دائمًا، وإنما وضع شروطًا وحدّ مواصفات إذا تحققت فيهم أو في

أحفادهم فإنه معهم، وإذا انتفت عنهم فإنه يكون عليهم، يلعنهم ويغضب عليهم.

﴿ولقد أخذَ اللَّهُ مِثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَبَعَثْنَا مِنْهُمْ أُنْشِي عَشَرَ نَبِيًّاً. وَقَالَ اللَّهُ: إِنِّي مَعَكُمْ، لَئِنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ، وَآمَتُمُ بِرَسُولِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ، وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَنًا، لَا كُفَّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ، وَلَا دُخُلُنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءُ السَّبِيلُ﴾^(١).

زعمهم تفضيلهم على العالمين:

يزعم يهود أن الله قد فضلهم على العالمين، وأن هذا التفضيل شامل لكل الأزمان والأمكنة، ومستمر حتى قيام الساعة، وأن كل من عادهم يخالف إرادة الله ويعادي من فضله الله.

ويعتمدون على آيات من القرآن في هذا، ويستغلونها ليقرروا في أذهان الناس هذا الزعم والافتراء.

وقد ناقشنا فيما سبق هذا الموضوع، وأوردنا الآيات التي تسجل هذا التفضيل، وقررنا أسبابه وزمانه ومكانه، واستخرجنا من الآيات نفسها أنه موقوت في الزمان، ومخصوص في المكان، ومحدود في الصفات والأسباب والشروط^(٢).

وخلالص ما تقرره الآيات من أمثل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نَعْمَيْتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَأَنِّي فَضَلَّتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيْكُمْ إِلَهًا، وَهُوَ فَضَلَّكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(٤): هي أن الله

(١) المائدة: ١٢.

(٢) انظر مباحث: تفضيل يهود على العالمين وحكمته واستغلال يهود لآيات التفضيل. ولعنة الله عليهم بعد تفضيلهم.

(٣) البقرة: ٤٧.

(٤) الأعراف: ١٤٠.

فضّلهم على العالمين فعلاً، ولكن من هم هؤلاء العالمون؟ إنهم أولئك الكافرون الذين كانوا في مصر وفلسطين في زمان بني إسرائيل المؤمنين الصالحين الذين آمنوا بالله واتبعوا أنبياءه.

إن الله فضلهم على عالمي زمانهم الكافرين باعتبارهم وحدهم المؤمنون، ولكن يهود بعد ذلك كفروا بالله وقتلوا المرسلين، فحافت عليهم سنة الله، ونزع عنهم التفضيل والتكرير، وحكم عليهم - جزاء كفرهم وإفسادهم - بالذلة والمسكينة واللعنة والتشريد، وهذا هو الملازم لهم حتى قيام الساعة: ﴿إِذْ تَأْدُنَ رَبُّكَ لَيَعْشَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾^(١).

وبعد أن رفع الله عنهم التفضيل جعله للأئمة المسلمة الوارثة للصلاح والإيمان، الملزمة بمنهج الله وشرعه ﴿كُتُبُ خَيْرٍ أَمْ أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَؤْمِنُونَ بِالله﴾^(٢).

(١) الأعراف: ١٦٧.

(٢) آل عمران: ١١٠.

زعمهم كون إبراهيم يهودياً

زعم اليهود أن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام كان يهودياً، كما زعم النصارى كونه نصريانياً، وزعم العرب المشركون أن إبراهيم على دينهم.

ويستغرب الناظر في هذا الأمر!! لماذا تدعى كل واحدة من هذه الملل والطوائف أن إبراهيم منها؟ ولماذا تزعم أنها هي التي تسير على دين إبراهيم؟

يبدو أن السبب في هذا أن الرجل الفاضل الطيب كل الناس يحرضون على تبنيه، وعلى ادعاء الانتساب إليه، والسير على طريقه والتقرب منه، لينالوا القبول عند الآخرين. ومن هو أفضل من أبي الأنبياء إبراهيم خليل الله عليه السلام !!

اليهود خبائث ماكرون، فهم في هذا الزعم يريدون أن يحققّوا عدة أهداف: يوهمون الآخرين أنهم هم نسل إبراهيم وذراته، ولهذا يتتجاهلون الفرع الثاني من ذريته وهو بيت إسماعيل عليه السلام.

ويوهمون الآخرين بأن ما هم عليه من الدين هو المقبول عند الله، والذي أنزله الله ورضي به لأنّه هو دين إبراهيم، وإذا لم يكن إبراهيم يهودياً فماذا يمكن أن يكون؟ وإذا لم يكن هذا دينه فماذا يمكن أن يكون دينه؟

ويوهمون الآخرين بأنّهم أحق الناس بالأرض المباركة المقدسة التي جعلها الله لإبراهيم وذراته والتي قال الله عنها: ﴿ ونجيئناه ولوطاً إلى الأرض

التي باركتنا فيها للعالمين ﴿١﴾ فهذه الأرض المباركة لإبراهيم اليهودي ولذرته من يهود ملك لهم إلى قيام الساعة !!

وهم يستندون في هذه المزاعم الباطلة إلى ناحية النسب، فهم يهود، وهم ذرية إبراهيم، لذلك فإن إبراهيم يهودي، ولا يمكن إلا أن يكون يهودياً.

وقد سجل القرآن هذا الزعم وأبطله، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ تقولونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى؟ قُلْ: أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عَنْهُ مِنَ اللَّهِ؟ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

إن اليهود لا يعلمون، ولذلك يزعمون هذا الزعم، وهم كاتمون لشهادة الله، وظالمون بهذا الكتمان عندما يزعمون هذا الزعم، إن الله هو الذي يعلم وهم لا يعلمون.

وطالما أن الله هو الذي يعلم فإنه هو الذي يعلم حقيقة إبراهيم، فهو يهودي أم ليس يهودياً.

وقد حسم القرآن القول في هذه المسألة منذ هذا الزعم اليهودي الماكير، وأنكر على اليهود والنصارى تنازعهم في إبراهيم، وهو الذي كان قبلهم بقرون عديدة، وقرر أن إبراهيم ليس يهودياً ولا نصرانياً، ولكنه مسلم، والأمة المسلمة هي أولى الناس به. قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تُحَاجِجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أَنْزَلْتُ التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ هَآأَنْتُمْ هُؤُلَاءِ حَاجِجُتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، فَلِمَ تُحَاجِجُونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصَارَى، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، وَهَذَا النَّبِيُّ، وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

(١) الأنبياء: ٧١.

(٢) البقرة: ١٤٠.

(٣) آل عمران: ٦٥ - ٦٨.

وقد يتساءل أحدهم: كيف نفى القرآن أن يكون إبراهيم يهودياً أو نصرانياً لأنه وجد - زمنياً - قبل اليهود والنصارى، وأن التوراة والإنجيل نزل بعده؟ واعتبر القرآن إبراهيم حنيفاً مسلماً مع أن المسلمين جاءوا زمنياً بعد اليهود والنصارى؟ .

والجواب على هذا سهل، فإن القرآن يقرر أن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً، وأن الإسلام هو دين الأنبياء السابقين جميعاً، وليس دين محمد ﷺ، وأن أتباع الأنبياء جميعاً يُعتبرون مسلمين، وليسوا أتباع محمد ﷺ فقط: ﴿أَمْ كُتُمْ شَهَادَةً إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ، إِذْ قَالَ لَبْنِيهِ: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي؟ قَالُوا: نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ: إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، إِلَهًاٌ وَاحِدًاٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

بهذا الاعتبار يصبح اعتبار إبراهيم عليه السلام مسلماً، ويتحقق تجريد اليهود الذين رفضوا الإسلام من انتسابهم لإبراهيم، لأن المعتبر هو الانساب في الدين وليس في الدم والجنس، ولهذا الاعتبار كانت الأمة المسلمة هي أولى الناس بإبراهيم عليه السلام .

(١) البقرة: ١٣٣ .

زعمهم وراثة دين إبراهيم عليه السلام

وطالما أن اليهود هم أولاد وأحفاد وذرية إبراهيم عليه السلام من جهة النسب - وهذا صحيح -، فإنهم يزعمون أنهم ورثته من جهة الدين والعقيدة والنبوة والرسالة، وهذا كذب وتحريف ..

إن اليهود لا يفرقون في الوراثة بين أن تكون في النسب وبين أن تكون الوراثة في الدين والرسالة، فإنه لا يلزم من تحقق الأولى وجود الثانية، بل كثيراً ما تتحقق الأولى وتختلف الثانية، وكثيراً ما توجد الثانية مع انتفاء الأولى، ويهدون هم أصدق مثال لهذا.

إن اليهود ورثة إبراهيم من حيث النسب، ولكن لم يرثه وراثة حقّة في الدين والرسالة إلا الصالحون المؤمنون منهم، والذين اتبعوا دين محمد ﷺ بعد مبعثه، لكن اليهود الذين كفروا بالله وبدين إبراهيم وقتلوا أنبياء الله وكذبوا رسلاه، لا يعتبرون وارثين لدين إبراهيم ولا امتداداً لرسالته.

وقد أشار القرآن إلى زعمهم وراثة دين إبراهيم عليه السلام، ونقض هذا الزعم وأبطله في عدة مواضع.

قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوْ نَصَارَى؟ قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ؟ وَمَنْ أَظْلَمُ مَمْنَ كُنْتُمْ شَهَادَةً عَنْهُ مِنَ اللَّهِ؟﴾^(١).

(١) آل عمران: ١٤٠ .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَحْجُجُونَ فِي إِبْرَاهِيمَ؟ وَمَا أَنْزَلْتَ
الْتُّورَاةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقُلُونَ ﴾^(١)، وَقَالَ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ
يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢).

أَمَّا إِبطالُ هَذَا الرَّعْمِ فَيَقُرِرُهُ الْقُرْآنُ فِي آيَاتٍ وَاضْعَافَةٍ حَاسِمةٍ:

إِنَّ اللَّهَ عِنْدَمَا أَعْطَى إِبْرَاهِيمَ الْعَهْدَ، وَجَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا، بَيْنَ لَهُ أَنَّ
الْإِمَامَةَ وَالرِّسَالَةَ وَالخِلَافَةَ مُسْتَمِرَّةٌ فِي ذَرِيَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ، أَمَّا الظَّالِمُونَ الْكَافِرُونَ
مِنْهُمْ - وَهُمُ الْيَهُودُ - فَإِنَّهُمْ لَا يَنْالُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَلَا يُشَرِّفُونَ بِحَمْلِ رِسَالَتِهِ:
﴿ وَإِذَا بَتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَهُنَّ، قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا،
قَالَ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ: لَا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(٣).

إِنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَكُونُ عَنْ طَرِيقِ النَّسْبِ، وَإِنَّ وِرَاثَةَ الرِّسَالَةِ وَالدِّينِ لَيُسْتَ
لِلذَّرِيَّةِ أَيًّا مَا كَانَ عَمَلَهُمْ. وَلَكِنْ هَذِهِ الْإِمَامَةُ الرَّاشِدَةُ وَالوِرَاثَةُ الْمُؤْمِنَةُ تَكُونُ
فَقْطَ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ، وَيُحْرِمُ مِنْهَا الْكَافِرُونَ الظَّالِمُونَ.

﴿ لَا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ بِهَذَا التَّحْدِيدِ وَالْحَسْمِ، وَمِنْ خَلَالِ هَذِهِ
الْكَلِمَاتِ الْمُعْجَزَةِ، نَعَمْ إِنَّ الْيَهُودَ لَمْ تَنْلُ عَهْدَ اللَّهِ لِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ كَافِرُونَ مُجْرَمُونَ.
إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ تَسْقُطُ مِنْ عَيْنِ يَهُودٍ فِي وِرَاثَةِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَرِسَالَتِهِ، وَتَقْرَرُ
تَنْحِيَتِهِمْ عَنْ هَذِهِ الْوِرَاثَةِ، وَعَدَمِ أَهْلِيَّتِهِمْ لِنَيلِ عَهْدِ اللَّهِ.

وَقَدْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاضْعَافًا مُحَدَّدًا فِي تَحْدِيدِ هَذَا الْمَعْنَى
عِنْدَمَا دَعَا اللَّهَ عِنْدَ الْوَادِيِّ غَيْرَ ذِي الزَّرْعِ قَائِلًا: ﴿ وَاجْبُنْبَنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ، رَبُّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ تَبْعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ
عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾^(٤).

(١) آل عمران: ٦٥.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) إِبْرَاهِيم: ٣٦ - ٣٥.

مَنْ تَبْعِنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَرِيَتِي، وَمَنْ لَمْ يَتَبْعِنِي فَلَيْسَ مِنِّي
وَلَوْ كَانَ مِنْ ذَرِيَتِي، وَبِيدِهِ هَذَا التَّحْدِيدُ الْجَازِمُ فِي دُعَائِهِ مَعَ وَلَدِهِ إِسْمَاعِيلَ
وَهُمَا يَبْنِيَانَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ: ﴿رَبُّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنَ لَكَ وَمِنْ ذَرِيَتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً
لَكَ﴾^(١).

هَذِهِ هِيَ الْذَرِيَّةُ الْمُعْتَبَرَةُ، وَهَذِهِ هِيَ الْوَرَاثَةُ الصَّحِيحَةُ: أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ،
وَأَيْنَ يَهُودُ مِنْهَا؟!

وَقَدْ قَرَرَ الْقُرْآنُ أَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} هِيَ وَرَثَةُ دِينِ وَرَسُولِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، لِأَنَّهَا حَقَّقَتْ فِيهَا شَرْطُ الْوَرَاثَةِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَأَسْلَمَتْ لِلَّهِ عَنِ الْإِخْلَاصِ
وَإِيمَانِ وَيْقَنِ: ﴿إِنَّ أُولَئِكَ النَّاسَ بِإِبْرَاهِيمَ لَذِلِّيْنَ اتَّبَعُوهُ، وَهُذَا النَّبِيُّ، وَالَّذِينَ
آمَنُوا﴾^(٢).

إِنَّ دِينَ هَذِهِ الْأُمَّةِ هُوَ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ لِإِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﴿شَرَعَ
لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا، وَالَّذِي أُوحِيَنَا إِلَيْكُمْ. وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَفْرَقُوا فِيهِ﴾^(٣).

إِنَّا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ وَرَثَةُ دِينِ إِبْرَاهِيمَ وَرَسُولِهِ وَخَلَافَتِهِ، وَفِي مُلْتَنِي
تَحَقَّقَتْ مُلْتَهُ، وَفِينَا تَحَقَّقَتْ رَسُولُهُ، وَمِنْ مَظَاهِرِهِ هَذَا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا
هَذَا الْإِسْمَ «مُسْلِمُونَ». قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اجْبَاتُكُمْ، وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي
الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ، مِلَّةً أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِهِ﴾^(٤).

وَمِنْ مَظَاهِرِ إِبْطَالِ الْقُرْآنِ لِزُعمِ يَهُودِ وَرَاثَتِهِمْ لِدِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنَّهُ يَقْرَرُ أَنَّ كُلَّ مَنْ رَغَبَ عَنِ دِينِ إِبْرَاهِيمَ فَهُوَ سَفِيهٌ، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يَتَّبِعْ
مُحَمَّداً^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} فَهُوَ سَفِيهٌ: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِيهِ نَفْسَهُ﴾^(٥).

(١) البقرة: ١٢٨.

(٢) آل عمران: ٦٨.

(٣) الشورى: ١٣.

(٤) الحج: ٧٨.

(٥) البقرة: ١٣٠.

فيهود الذين رغبوا عن ملة إبراهيم هم سفهاء بنص القرآن، وليسوا وارثين له عليه السلام، كذلك يقرر القرآن - وهو ينقض هذا الرعم - أن إبراهيم وأتباعه المؤمنين قد انتقلوا إلى الله، وأفسدوا إلى ما قدّموا، لهم ما كسبوا من الخير عنده. وأما أنتم يا يهود فاما لكم ولهم، فكروا في أنفسكم وسيرّكم، ولا تعيشوا على الأمجاد التاريخية المزعومة، والوراثات المرفوضة، ولكن أخلصوا أعمالكم ودينكم وإسلامكم لله: ﴿تَلَكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ، وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

والملفت للنظر أن هذه الآية قد ذكرت مرتين - وبنفس الحروف والكلمات - في سياق واحد، هو إبطال مزاعم اليهود حول ما هم عليه من الباطل، حيث أخذت رقمي : ١٤١ ، ١٣٤ من سورة البقرة.

ولا تكرار في هذا، وإنما اقتضاه السياق، فهي في الموطن الأول تهدف إلى ما تهدف إليه في الموطن الثاني .

فقد جيء بها أولاً - الآية ١٣٤ - لتقرير حقيقة الدين الذي كان عليه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وهو دين الإسلام الذي جاء به محمد عليه السلام، وتدعوه اليهود - إن أرادوا أن يكون دينهم عند الله مقبولاً - أن يدخلوا في هذا الدين. وجيء بها في الموطن الثاني - الآية ١٤١ - لتبطل مزاعم يهود وراثتهم لدين إبراهيم وذريته من أنبياءبني إسرائيل عليه السلام، وتقرر ليهود أن الوراثة المعتبرة ليست وراثة الدم والنسب، وإنما وراثة الدين والإيمان. والله أعلم .

ومن المفيد أن نشير في هذا المقام إلى أن الآيات التي تتحدث عن وراثة الدين والعلم والكتاب والإيمان كلها وردت في سياق خاص، وهو الحديث عن أنبياءبني إسرائيل، والإشارة إلى بعض حلقات قصةبني إسرائيل أو رفض مزاعمهم، ولعلنا نعود إلى هذه النقطة فيما بعد .

(١) البقرة: ١٣٤ و ١٤١ .

زعمهم وراثة الأرض المباركة

ومن مزاعم يهود التي ينشرونها على العالم في هذا العصر، زعمهم أنهم ورثة الأرض المباركة المقدسة، وهي بلاد الشام كلها: فلسطين والأردن وسوريا ولبنان وشرق مصر. على اعتبار أنها الأرض التي كتبها الله لجدهم إبراهيم عليه السلام وجعلها له ولذرته وهم بنو إسرائيل، وهي الأرض التي أخبر الله موسى عليه السلام أنه كتبها لبني إسرائيل، وأنهم عاشوا بها قرونًا من الزمان، وأن إخراجهم منها لقرون لاحقة لا يلغى حقهم فيها ولا يسقط وراثتهم لها، وأنهم الآن عندما يحتلون فلسطين، ويقطنون لاحتلال غيرها من البلاد المجاورة، ليسوا معذبين ولا باغين، وإنما هم على حق وصواب، لأنهم يصححون الأخطاء التاريخية ويعيدون الحق إلى نصابه.

ويصدقُ العالم هذه المزاعم، ويؤيدُ يهود في بغيهم وعدوانهم واحتلالهم ويعجز خصومهم من العرب في الرد على دعایات يهود ودحض مزاعمهم ونشر الحقيقة على الناس لأنهم لا ينطلقون من القرآن وتقريراته أولاً، ولأنهم أضعف وأذل من أن يسمع العالم لهم، ومتنى يسمع العالم الفاجر المادي لصياغ مغلوب عاجز مقهور؟!

أخبر القرآن أن الله بارك في هذه الأرض المباركة، وأنه أسكن فيها إبراهيم ولوطًا عليهما السلام ﴿ونجيناه ولوطًا إلى الأرض التي باركتنا فيها للعالمين﴾^(١).

(١) الأنبياء: ٧١.

كما أخبر القرآن أن الله أورثبني إسرائيل المؤمنين، الذين خرجوا مع موسى عليه السلام من مصر، والذين أغرق الله عدوهم فرعون وجنوده أورثهم الأرض التي بارك الله فيها، وجعلهم يتقلون بين مشارق هذه الأرض ومغاربها حيث شاءوا ﴿وَأُرْثَنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَعْصِفُونَ مِشَارِقَ الْأَرْضِ وَمِغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكَنَا فِيهَا، وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾^(١).

وطلب موسى عليه السلام من قومه دخول هذه الأرض المباركة التي كتبها الله لهم فنكصوا وجبنوا ورفضوا: ﴿يَا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ، وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقِلُوا خَاسِرِينَ﴾^(٢).

هذه الآيات الثلاث تعرض حقيقة قرآنية: وهي أن الله قد بارك في هذه الأرض، وأن الله كتبها لبني إسرائيل، وأورثهم إياها يتقلون في مشارقها ومغاربها.

ومن المفيد أن نشير إلى هذه اللطيفة من لطائف التعبير القرآني، وهي أن كلمة «باركنا» - وهي فعل ماضٍ مسند إلى نون العظمة - وردت في القرآن ست مرات، وهي في هذه المرات است في الحديث عن بنى إسرائيل وأنبيائهم، وفي الإشارة إلى الأرض المباركة - بلاد الشام وشرقي مصر - وفي سور كلها مكية: الأعراف، والإسراء، والأنبياء مرتان، وسبأ، والصفات. فلماذا؟ لعلنا نعود لهذا فيما بعد إن شاء الله.

لكن هل هذه الآيات تعطي لليهود حقاً عاماً دائماً مستمراً في هذه الأرض المباركة؟ وهل يجعلهم ورثتها وأصحابها إلى يوم القيمة؟
الجواب بالنفي.

يفنّد القرآن مزاعم اليهود حول وراثتهم للأرض المباركة، وكونها وراثة

(١) الأعراف: ١٣٧.

(٢) المائدة: ٢١.

مستمرة، فيورد حقائق قاطعة في هذا المجال:

من ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِنُ بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ، يُرِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْبِلِينَ﴾^(١).

ويلاحظ أن موسى عليه السلام قرر لبني إسرائيل هذه الحقيقة وهم ما زالوا في مصر تحت حكم فرعون وظلمه واضطهاده، وقبل أن يتوجهوا للأرض المباركة.

وبإمعان النظر في الآية نجد أنها تجعل لبني إسرائيل حقاً في وراثة الأرض المباركة بشروط، وتلغي هذا الحق عنهم إذا انتفت عنهم تلك الشروط: أن يستعينوا بالله، وأن يصبروا لحكم الله، وأن يخلصوا عبوديتهم لله وطاعتهم له، وأن يكونوا متقيين لله. فهل هذه الشروط متوفرة فيهم الآن؟ كلا. إذن لا حق لهم في وراثة الأرض المباركة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عَبَادِي الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لِبَلَاغًا لِقَوْمِ عَابِدِينَ﴾^(٢).

ما معنى أن يقرر الله هذه السنة الربانية في الزبور الذي أنزله الله على داود لبني إسرائيل؟ إنه من أجل أن يصحح لهم نظرتهم للأرض ووراثتها، ويوضح شروط كونها لهم، ويفند مزاعمهم حولها. إن الأرض يرثها عباد الله الصالحون، فهل يهود ما زالوا عباداً لله أم أصبحوا عبيداً للشيطان؟ وهل استمر هؤلاء في صلاحهم وإيمانهم، أم تحولوا إلى ضلال وفجور وكفر؟ إن الآية تقرر أن يهود لا حق لهم في فلسطين - وإن سكنوها فترة من الزمان - وأنهم لا يرثونها لأنهم لا يملكون مؤهلات الوراثة.

ومن المفيد أن نشير أيضاً إلى أن الآيات التي تتحدث عن وراثة الأرض في القرآن معظمها في سياق الحديث عن بنى إسرائيل وأنبيائهم، أو في

(١) الأعراف: ١٢٨.

(٢) الأنبياء: ١٠٦ - ١٠٥.

عرض تفنيد مزاعمهم ووصف أقوالهم، ولعنة نعود إلى هذا إن شاء الله .
وإذا كان يهود لا يملكون حقاً في الأرض المباركة، ولا يستحقون
وراثتها لفقدانهم شروط مؤهلات الوراثة فما هو حكم الله عليهم في هذا
الخصوص؟ أين يذهبون؟ وفي أية بقعة يسكنون؟ وأية أرض يرثون؟

القرآن يجيب على هذا جواباً وضحاً محدداً، وذلك في قوله تعالى :
﴿إِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لَيَعْشَنَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ، إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ. وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمَّاً: مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ، وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ، وَبَلُونَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لِعَلَيْهِمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

لقد كتب الله على يهود - جزاء كفرهم وبغيهم وحقدهم وإفسادهم - التشريد والشتات، والتفرق في البقاع المختلفة، وقطعهم في الأرض كلها أممأ ممزقة مشتتة. والتاريخ اليهودي كله شاهد لهذه الحقيقة، وهو تفسير عملي لوعد الله المحدد النافذ.

وإذا أراد الله أن يجمعهم في الأرض المباركة فليس من أجل التكريم والتفضيل والتوريث، وإنما من أجل الخزي والذلة والهزيمة والقتل ، قال تعالى : ﴿وَقَلَّنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ اسْكَنَنَا الْأَرْضَ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جَنَّنَا بَكُمْ لَفِيفاً﴾^(٢) أي تفرقوا في بقاع الأرض المختلفة وعندما يحين موعد إفسادكم الثاني في الأرض المباركة، جمعناكم من تلك المناطق إليها، وجئنا بكم لفيفاً ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْؤُلُوا وَجْهَهُمْ، وَلَيُدْخَلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوهُ أُولَى مَرَةٍ﴾^(٣).

وها هم يتجمعون الآن في فلسطين، ويقومون بالإفساد الثاني فيها،
ولا بد من وجود جند الله الذين يقضون عليهم فيها بإذن الله .

(١) الأعراف: ١٦٨ - ١٦٧ .

(٢) الإسراء: ١٠٤ .

(٣) الإسراء: ٧ .

عقيدة اليهود اليوم أنهم ليسوا على شيء

يهود ليسوا على عقيدة ربانية، ولا على دين مقبول، ولا على طريق صحيح مستقيم. أرسل لهم الله أنبياء فكذبواهم وقتلواهم، وأنزل لهم كتاباً سماوية فحرّفوها وبذلواها، وأعطواهم عهداً وميثاقاً فنقضوه ونكثوا به، وبدل أن يكونوا مؤمنين ربانيين تحولوا إلى كافرين ظالمين فاسقين مفسدين.

لم تعد لهم عقيدة ولا دين ولا رسالة ولا غاية إلا الكفر والشر والإفساد. وأصدق وصف لما عليه اليهود في ضلالهم عن الحق هو ما وصفهم به القرآن، وما أمر به الله رسوله ﷺ أن يواجه به يهود - ومعهم النصارى - بحسم وحزم ووضوح.

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعِلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصُمُكَ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ: لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَيَزِيدُنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طَغْيَانًا وَكُفْرًا، فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(١).

لستم على شيء ..

هذه هي العبارة الحازمة الجازمة القاطعة التي أمر الله رسوله عليه

(١) المائدة: ٦٧ - ٦٩.

السلام أن يعلنها في وجه يهود، ولقد بلّغها عليه السلام كما أمر الله سبحانه.

وهي العبارة نفسها التي طلب الله من كل مسلم أن يعرفها وأن يعتقد بها، وأن ينظر من خلالها إلى ما عليه اليهود والنصارى، ثم يواجه بها يهود زمانه بدون تلجلج ولا وجّل ولا لف ولا مواربة، ولكن بتحديد وحسم ويفقين.

لستم على شيء.

أصدقُ وصف لما عليه اليهود في كل شيء وأنهم في كل شيء ليسوا على شيء. لا في حياتهم السياسية، ولا الاقتصادية، ولا الاجتماعية، ولا الدينية ولا الحضارية.

ليسوا على شيء: لا في العقيدة، ولا الإيمان، ولا محبة الله، ولا طريقه المستقيم. ليسوا على شيء: في التصور، والتفكير، والعلم، والتاريخ، والفضائل، والقيم والحضارة. ليسوا على شيء: إلا أن ينفذوا التوراة الربانية والإنجيل الذي أنزله الله. وعندما يفعلون ذلك سيدخلون في دين الإسلام الذي جاء به خاتم المرسلين عليه السلام. ليسوا على شيء، إلا إذا صاروا مسلمين حقاً، عابدين منفذين لأحكام الله. ولا أدرى كيف يغفل مسلمون معاصرؤن عن هذه الآيات وأمثالها فيما تكشفه من حقيقة يهود، فيظنون أنهم على شيء، بل إنهم عندهم كل شيء، فيخدعون فيهم، ويوالونهم، ويسيرون معهم، ويحسنون الظن بما عندهم.

إذا كانوا - هم والنصارى وكل الكافرين - ليسوا على شيء، فإن من يوالوهم وينصرهم يكون مثلهم، بل يكون أصلّ منهم، لأنّه سيتعب كثيراً وهو يفتش عندهم على شيء، ولكنه لن يعثر على أي شيء، لأنّهم ليسوا على شيء، وعندها يكون هو لا شيء، وليس من الله في شيء.

وصدق الله: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين،

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ^(١).

لستم على شيء:

شعار نرفعه في مواجهة اليهود، ويقين نعتقده ونوقنه عنهم، ومنظار قرآنی
کاشف صادق لحقيقة ما هم عليه، فنتظر من خالله للیهود أینما كانوا، وما
أبلغ القرآن، وما أعني نصوصه بالمعانی والدلالات، وما أصدق انطباقها على
واقع الأمة المسلمة في مواجهة الأعداء.

(١) آل عمران: ٢٨.

يهود استحفظوا التوراة فضيugoها

أوكل الله إلى اليهود - وإلى أخبارهم ب خاصة - التوراة وحفظها، طالبهم بالمحافظة عليها، واستحفظتهم إياها بجعلها أمانة في أيديهم، ونهام عن تحريفها وتزويرها وتضييعها.

وفي هذا يقول القرآن: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التُّورَةَ فِيهَا هُدًىٰ وَنُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا، وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهِداءً، فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَاخْشُونُوهُنَّ، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِنَا قَلِيلًا﴾^(١).

استحفظ الله الربانيين والأحبار التوراة، أي طلب منهم حفظها - والهمزة والسين والتاء تفيد الطلب في لغة العرب - ولكن ماذا فعلوا؟

لقد حرفوا التوراة وغيروها وبدلوها وحرفوها، وأضافوا لها الكثير من ضلالاتهم وتصوراتهم وأنكارهم، وجعلوا هذا المزيج كلام الله!!.

وقد يتساءل بعض الناس عن الحكمة من طلب الله من يهود حفظ التوراة، وهو يعلم أنهم سيحررونها وغيرونها.

ولعل الجواب - والله أعلم - من وجوه:

منها: أن الله يريد أن يقيم الحجة على يهود، وأن يظهر فيهم علمه

(١) المائدة: ٤٤.

الجازم، وأن يعرض على الناس حقيقة ما هم عليه من العقيدة والإيمان وحفظ العهد والأمانة.

ومنها: أن الله يريد أن يُعرف المخدوعين من الناس علىخلق اليهودي العام والطبيعة اليهودية الثابتة، فطالما لم يحفظوا كتاب الله وعهده إليهم، فكيف سيحافظون على عهودهم ومواثيقهم مع الآخرين، الذين يعتبرون نقضها معهم عبادة ربانية؟!

ومنها: أن الله يعلم أن التوراة - وإنجيل - موقوتة، ولها زمن محدود، فلا ضرر على الإنسانية من تحريفها، وإنما الضرر - على الأحبار الكفار الذين حرّفوها - لأن الله سينزل للإنسانية كتاباً ربانياً معجزاً خالداً، فوق التحريف والتغيير والتبدل. وهذا من رحمة الله بالأمة المسلمة حيث توّلى بذاته حفظ كتابها الخالد ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ، وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١).

(١) الحجر: ٩.

يهود حرفوا التوراة

سجلت آيات القرآن حقيقة قاطعة، وهي أن يهود الكافرين قسّوا القلوب، قد تجرأوا على كتاب الله لهم «التوراة» فحرّفوه وغيرّوه، وأضافوا له الكثير من كلامهم ومزاعمهم، ونسبوا هذا لله. كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا: هذا كلام الله، وشرعوا الشرائع من عندهم ثم قالوا: هذا شرع الله!!.

قال تعالى: ﴿أَفَتُطْعِمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ؟ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ، ثُمَّ يَحْرُفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقْلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(١).

يسمعون كلام الله، ويعقلونه، ويعلمون أنه كلام الله، ثم يتجرأون عليه بالتحريف والتبديل. إنها طبيعة لازمة لليهود!!.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ يَقُولُونَ: هَذَا مِنْ عِنْدَ اللَّهِ، لَيَشْتَرِوْا بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لِّهِمْ مَا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ، وَوَيْلٌ لَّهُمْ مَمَّا يَكْسِبُونَ﴾^(٢).

ولا يُقدم على هذه الجريمة الشنعاء إلا رجل لا قلب له ولا إيمان عنده، فكيف إذا كان يزعم أنه حافظ لدين الله أمين على شرعه ناشر لرسالته؟!.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَسْتَهْمَمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسِبُوهُ مِنْ

.٧٥ البقرة: (١)

.٧٩ البقرة: (٢)

الكتاب، وما هو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله،
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ^(١).

هذه سِمة يهود: يلعون أسلتهم بالكتاب ليوهموا الناس أنهم على حق
وينشرون على الناس ضلالاتهم وينسبونها إلى الله، ويقولون هو من عند الله،
ويكذبون على الله، وهم يعلمون أنهم كاذبون.

وماذا يتبقى من إنسان تجراً على الكذب على الله، وهو يعلم أنه
يکذب؟ وهل ترجو من هذا الإنسان خيراً أو نفعاً؟ إن كل يهود هذه الأيام بهذه
الطبيعة وهذه الصفة وهذا الخلق الذميم !! .

(١) آل عمران: ٧٨.

يهود قرطسوا التوراة
فأمنوا ببعض وكفروا ببعض

وقد نتج عن تحريف يهود للتوراة فَرَطَسُتُهُمْ لَهَا، لأن الجريمتين خطيرتان، والفعلين قبيحان، ومن يحرّف الحق يتصرف فيه على مزاجه، ويأخذوا منه ما يحلو لهم. قال تعالى مسجلاً على اليهود هذا الفعل الشائن: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ! قَلَ: مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ، تَجْعَلُنَا فَرَاطِيسَ تُبَدِّلُنَا وَتَخْفُونَا كَثِيرًا، وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ؟ قُلِ اللَّهُ، ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي حُوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(١).

تححدث الآية عن العرب المشركين وتسجل كذبهم وإنكارهم للنبوات، فهولاء المشركون ما عظّموا الله حقّ تعظيمه عندما قالوا: ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ!! وحتى يبطل هذا الزعم يطلب الله منهم أن يسألوا اليهود عن النبوات - وقد كانوا جيراناً لهم - فيقول لهم: مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ^(٢) الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس؟ فالجواب أنه الله الذي يمنّ بنعمه الغامرة على جميع الأمم، ومن هذه النعم تعليم الله لهؤلاء العرب المشركين عن طريق النبي الكريم والكتاب الجديد: ﴿ وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آباؤُكُمْ ﴾. ويلاحظ أن الحديث عن اليهود في هذه الآية باعتبار كونهم شهوداً،

(١) الأنعام: ٩١.

(٢) أي التوراة.

جيء بهم ليشهدوا لرسول الله أنه رسول الله، وأن الله قد بعث قبله رسلاً لأقوامهم.

ولكن القرآن التفت لهؤلاء الشهدود ليسجّل عليهم جريمة شنيعة، إنها قرطسة كتاب الله لهم ﴿ يجعلونه قرطاسين تبدونها وتختفون كثيراً ﴾.

القرطاس: جمع قرطاس. والقرطاس هو الورق الذي يكتب فيه، فيهود أعادوا كتابة التوراة وأضافوا لها كلام أحبارهم، وسجلوها في أوراق وكتب، ثم تصرفوا في هذه الكتب والأوراق تصرفًا مزاجياً، فأخذوا ما وافق مزاجهم، وأظهروه على الناس واعتبروه شرع الله ودينه، وأخْفُوا ما لم يوافق مزاجهم وتركوه وهو كثير ﴿ تبدونها وتختفون كثيراً ﴾.

ونشير هنا إلى لطيفة قرآنية وهي أن كلمة «قرطاس» وكلمة «قرطاسين» لم ترد إلا في سورة واحدة هي سورة الأنعام، سورة العقيدة والحجفة.

قال تعالى عن عناد الكفار: ﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ﴾^(١).

وقد تحدثت الآية التي نحن بصددها عن قرطسة اليهود للتوراة ﴿ يجعلونه قرطاسين ﴾ والعجيب أن هذا الخلق اليهودي الذميم والنصرف اليهودي الخبيث، قد سرى إلى بعض مسلمي هذه الأيام، الذين تصرفوا مع الإسلام بهوى ومزاجية، فأقدموا على قرطسة الإسلام، أخذوا منه ما وافق مزاجهم - وهو قليل -، ورفضوا ما لم يوافق مزاجهم - وهو كثير -، وزعموا أنهم ما زالوا على دين الله!!.

اليهود الملعونون يُقرطسون التوراة، وينتقون منها بمزاجية بغية، وقد نتج عن هذه القرطسة أن آمنوا ببعض كتاب الله لهم وكفروا ببعض، وأخذوا بعض حكم الله وتركوا البعض الآخر، والتزموا ببعضه وأهملوا البعض الآخر.

.٧) البقرة:

وقد خاطب القرآن يهود وسجل عليهم هذا الكفر بقوله: ﴿إِذْ أَخْذَنَا مِياثَاقَكُمْ: لَا تَسْفِكُونَ دمَاءَكُمْ، وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشَهِّدُونَ. ثُمَّ أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تَقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ، وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْ دِيَارِهِمْ، تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ، إِنْ يَأْتُوكُمْ أَسَارَى تُفَادُوهُمْ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ، أَفَتُؤْمِنُونَ بِعَصْبَانِ الْكِتَابِ وَتَكْفِرُونَ بِعَصْبَانِ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَرْزٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرَدُّونَ إِلَى أَشَدِ العَذَابِ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(١).

ما جزاءَ مَنْ يَفْعُلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خَرْزٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا. وَصَدِقَ اللَّهُ، فَهَذِهِ سُنَّةٌ رِبَانِيَّةٌ لَا تَتَخَلَّفُ فِي حَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ، كُلُّ مَنْ آمَنَ بِعَصْبَانِ كِتَابِ اللَّهِ وَكَفَرَ بِعَصْبَانِ يَحْلِّ بِهِ هَذَا الْمَصِيرِ، وَيَقْعُدُ فِي هَذَا الْخَرْزِ، مَهْمَا كَانَ: يَهُودِيًّا، أَوْ نَصْرَانِيًّا، أَوْ مُسْلِمًا مُنْحَرِفًا. وَحُكَّامُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذَا، وَرَفَضُوا حُكْمَ اللَّهِ أَصْدِقُ نَمْوَذْجِ مُعاَصِرِ لَهُذِهِ السُّنَّةِ، فَهُمْ مَا بَيْنَ قَتْلٍ وَخَلْيَعٍ، وَطَرِيدٍ، وَمُحاكِمٍ، وَمُتَهَمِّمٍ، وَمُفْضُوحٍ، وَمُدَانٍ!!.

(١) البقرة: ٨٤ - ٨٥.

اليهود كافرون

اليهود كافرون ما في ذلك شك. فما يمكن أن يفعل إنسان ما فعلوا، ويعتقد ما اعتقدوا، ثم يبقى مؤمناً بالله مقبولاً عنده. وما يمكن أن يرتكب قوم ما ارتكبوا ثم يزعمون أنهم مؤمنون متبعون لدين الله.

اليهود كافرون. لأنهم استحفظوا التوراة فضيئوها.

اليهود كافرون. لأنهم حرّفوا هذه التوراة وأضافوا لها كلام أighbors لهم.

اليهود كافرون. لأنهم قرطسوا التوراة وأمنوا ببعضها وكفروا بالكثير منها.

اليهود كافرون. لأنهم زعموا أنهم أبناء الله والعزيز ابن الله.

اليهود كافرون. لأنهم وصفوا الله بصفات قبيحة.

اليهود كافرون. لأنهم كذبوا بالحق الذي جاءهم على يد أنبيائهم.

اليهود كافرون. لأنهم قتلوا أنبياء الله، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام.

اليهود كافرون. لأنهم كذبوا محمداً ﷺ وأنكروا رسالته ورفضوا دينه، وحاولوا قتله أيضاً.

اليهود كافرون. لأنهم حاربوا القرآن والإسلام بكل ما يملكون، وما زالوا له محاربين.

اليهود كافرون. لأنهم تحولوا إلى رسول الشر، وحملة الباطل، وجنود

الشيطان، وعيid المال، وعوامل الهدم والإفساد، وأعداء الحق والفضيلة والخير. ورددت آيات كثيرة صريحة في تقرير هذه الحقيقة القاطعة، وبيان حقيقة كفر يهود، ومن هذه الآيات:

﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ ، وَلَا تَكُونُوا أُولَئِكَ كُفَّارٌ بِهِ ، وَلَا
تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثُمَّاً قَلِيلًا ، وَإِلَيَّ أَفْتَقُونَ ﴾^(١).

﴿ وَقَالُوا قَلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ، فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ . وَلِمَا
جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ مُّصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ - وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى
الَّذِينَ كَفَرُوا - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ .
بِشَّامَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، فَبَاعُوا بِغَضْبٍ عَلَى غَضْبٍ ، وَلِلْكَافِرِ عَذَابٌ مَّهِينٌ .
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا ، وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ
وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ ، قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كَتَمْ
مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).

ونلاحظ أن هذه الآيات الأربع قد سجلت على يهود الكفر ست مرات، وذكر هذه الحقيقة ست مرات في أربع آيات دليل على أهمية تقرير عقيدة يهود، وأنهم كافرون.

ومن هذه الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿ مَا يُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٣) والمقصود بهم
هنا يهود.

وقوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
تَشْهُدُونَ ﴾^(٤)

(١) البقرة: ٤١.

(٢) البقرة: ٩١ - ٨٨.

(٣) البقرة: ١٠٥.

(٤) آل عمران: ٧٠.

وقوله تعالى : ﴿ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتَلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بغير حق ﴾^(١).

وقوله تعالى : ﴿ فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ، وَكَفَرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَقَتَلُهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بغير حق ، وَقَوْلُهُمْ قَلُوبُنَا غُلْفٌ، بِلَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكَفَرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا . وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرِيمَ بِهَتَانًا عَظِيمًا ﴾^(٢).

وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْرُثُنَّكَ الَّذِينَ يَسَّارُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ﴾^(٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنَا بِمَا قَالُوا، بِلَ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفَقُ كِيفَ يَشَاءُ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طَغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾^(٤).

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقْيِيمُوا التُّورَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طَغْيَانًا وَكُفْرًا، فَلَا تَأْسُ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(٥).

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾^(٦).

فهذه عشر آيات صريحة في تقرير أن اليهود كافرون بالله ورسله وكتبه ،
خالدون في جهنم .

(١) آل عمران: ١١٢ .

(٢) النساء: ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) المائدة: ٤١ .

(٤) المائدة: ٦٤ .

(٥) المائدة: ٦٨ .

(٦) الحشر: ١١ .

اليهود كتابيون كفار

أمام تقريرات القرآن القاطعة عن كفر يهود قد يخطئ بعض المسلمين
النظر فيها، فينفي عن يهود أن يكونوا من أهل الكتاب، أو يطلق عليهم وصفاً
آخر وهو الشرك، فيعتبرهم مشركين، ويساوينهم في هذا الوصف - وفيما يترتب
عليه من أحكام فقهية - مع مشركي العرب عبادة الأصنام والأوثان!! . وهذا
خطأ في الفهم والنظر والاستدلال والاستنباط.

إن القرآن يفرق بين المشركين والكتابيين، وإن كان يعتبر الفريقين من
أصناف الكافرين، ويقرنهما معاً في الخلود في نار جهنم يوم القيمة.

أمامنا مصطلحات قرآنية في هذا الأمر: الكفار. أهل الكتاب.
المشكرون. المنافقون. الملحدون.

أهل الكتاب: مصطلح قرآنی أطلق على صنفين من أصحاب الكتب
السماوية السابقة وهما: اليهود والنصارى، ولا يشمل أحداً غيرهم.

والمسشكرون: مصطلح قرآنی أطلق على العرب الذين اعترفوا بوجود
الله، ولكن أشركوا به آلهة أخرى من الأصنام والأوثان: ﴿ولَنَّ سَائِلَهُمْ مَنْ
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١). ويعملون عبادة الأصنام والأوثان

(١) الزمر: ٣٨

بأنها تقربهم إليه ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَقْرُبُونَا إِلَى اللَّهِ رُلْفِي ﴾^(١).

والمنافقون: مصطلح يطلق على من أظهر الإسلام نفاقاً ورياءً، وأخفى في قلبه الكفر عقيدة ومبادئ، وهم خالدون في جهنم ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ أَسْفَلُ مِنَ النَّارِ، وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾^(٢).

والملحدون: مصطلح يطلق على من أنكر وجود الله أصلاً، ونسب الخلق والتقدير إلى الطبيعة والدهر: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْهِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ﴾^(٣) وهم الذين يقولون: ﴿ مَا هِيَ إِلَّا حِيَاةُ الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا يُلْهِلُنَا إِلَى الدَّهْرِ ﴾^(٤).

وطالما أن القرآن دقيق في إطلاق مصطلحاته، وفي وصف أناس معينين بها، فلا بد أن تتبع هذا التحديد والضبط القرآني عند إطلاق هذه المصطلحات، ووصف الموصوفين بها، ويجب أن لا يحدث عندنا تداخل أو تلليس أو خلط في استعمالها، كأن نطلق بعضها على ما لم تتطبق عليه، أو يجعلها كلها متراافة تتحدث عن مجموعة واحدة من الناس.

أمام هذا التحديد القرآني نقرر أن يهود كتابيون كفار، ولا يطلق عليهم «مشركون» أو «منافقون» أو «ملحدون».

إن هذه الأصناف الأربع: أهل الكتاب، والمشركون، والمنافقون، والملحدون، يجمع بينها أمر واحد، وتظهر فيها صفة واحدة وهي «الكفر». فهم نماذج وأمثلة للكافرين، نقول: كتابيون كفار، ومشركون كفار، ومنافقون كفار، وملحدون كفار.

وهذه الأصناف كلها كافرة لأنها كفرت بالله - على اختلاف في سبب

(١) الزمر: ٣.

(٢) النساء: ١٤٥.

(٣) فصلت: ٤٠.

(٤) الجاثية: ٢٤.

هذا الكفر، ولكنه كفر على كل حال - ويدو كفراها في عدم اتباعها لرسول الله محمد ﷺ، وعدم الدخول في دين الإسلام، وكل دين غير الإسلام غير مقبول من صاحبه عند الله: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْهُ عِرْضَةً إِلَّا فَلَدَاهُ دِينٌ﴾^(١). وهذه الأصناف كافرة طالما لم تؤمن بالله ورسوله ودينه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا: آمَنُوا بِاللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ، وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنزِلَ مِنْ قَبْلِهِ، وَمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكِتَابِهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدِ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا، ثُمَّ ازدادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سِبِيلًا﴾^(٢).

لقد قسم القرآن الكافرين إلى أصناف منها: الكتابيون والمرجعون في عدة آيات، منها قوله تعالى: ﴿مَا يُودُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فِيهَا﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿لِيَعْذِبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾^(٧).

وال مهم في الأمر أن هذه الأصناف الأربع متحدة في مصيرها يوم القيمة وهو الخلود في نار جهنم.

(١) آل عمران: ٨٥.

(٢) النساء: ١٣٦ - ١٣٧.

(٣) البقرة: ١٠٥.

(٤) الحشر: ١١.

(٥) البينة: ١.

(٦) البينة: ٦.

(٧) الأحزاب: ٧٣.

استثناءات الكتابيين في أحكام فقهية

هناك وجوه اتفاق بين الكتابيين - يهوداً كانوا أو نصارى - وبين المشركين والملحدين. وهناك وجوه اختلاف واستثناء للكتابيين في بعض الأحكام الفقهية.

من وجوه الاتفاق بين الكتابيين والمشركين:

- ١ - وجود صفة جامدة لهم في الدنيا وهي الكفر بالله سبحانه والخروج من هذا الدين.
- ٢ - اتحادهم في المصير يوم القيمة وهو الخلود في نار جهنم.
- ٣ - حرمة محبتهم ومودّتهم ومؤاخذتهم، ووجوب بغضهم ومعاداتهم ومصالحتهم.
- ٤ - حرمة موالاتهم والتحالف معهم والارتباط بهم ونصرتهم، ومن فعل ذلك فإنه منهم.
- ٥ - اتفاقهم فيما بينهم وتحالفهم على حرب الإسلام والمسلمين، وتکفير أهله.
- ٦ - كونهم جميعاً شياطين من شياطين الإنس، ومن جنود إبليس في نشر رسالته الفاسدة.

أما وجود استثناء الكتابيين عن إخوانهم المشركين وغيرهم فإنها خاصة في بعض الأحكام الفقهية التفصيلية والخاصة في المعاملات.

١ - جواز أكل طعامهم - المباح في ديننا - وأكل ذبائحهم التي يذبحونها - المباحة في ديننا - ولو لم يسمُوا الله عليها. كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمُ الطَّيَّابُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أَوْتَاهُمُ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ، وَطَعَامَكُمْ حِلٌّ لَهُم﴾^(١).

٢ - جواز الزواج بنسائهم الكتابيات. كما قال تعالى: ﴿وَالْمَحْصُنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمَحْصُنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أَوْتَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ، إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْوَرَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مَسَافِحِينَ، وَلَا مُتَخَذِّلِينَ﴾^(٢).

٣ -أخذ الجزية منهم في الحرب - بخلاف المشركين والملحدين - كما قال تعالى: ﴿قَاتَلُوكُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يُحِرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أَوْتَاهُمُ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوُا الْجُزِيَّةَ عَنْ يَدِهِمْ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣).

وهذه الأحكام الثلاثة تطبق على اليهود والنصارى في أيّ زمان ومكان، ولعلّ الحكمة في هذه الاستثناءات الجزئية هي وجود أصل كتاب سماوي لديهم - وإن كان محرّفاً منسوخاً - يمكن أن يحاكموا إليه، وهذا يميزهم قليلاً عن الكافرين الآخرين، وإن انفقوا معهم بصفة الكفر كما قلنا.

. (١) المائدة: ٥.

. (٢) المائدة: ٥.

. (٣) التوبه: ٢٩.

حَدِيثُ الْيَهُودِ عَنِ اللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ حَدِيثُ الْيَهُودِ عَنِ اللَّهِ

حديث يهود عن الله يتصرف بالكفر، وهم في هذا الحديث لا يتصفون بأدب ولا خلق ولا وقار. إنهم يسيئون أدبهم مع الله سبحانه، ويتوقفون في الأخبار عنه أو وصفه، وعندما يجرؤ إنسان على أن يتوقع وسيء أدبه مع الله، فإنه يكون قد فقد كل معاني الخبر في نفسه، وماذا ترجو له بعد ذلك أو ترجو منه؟ ! .

طليهم رؤية الله جهرة

لقد طلب اليهود من نبيهم موسى عليه السلام أن يُرِيَهم ربهم أمام أعينهم، وأن يحضر ربهم إليهم مواجهة وعياناً حتى يكونوا قربين منه بأجسادهم، وحتى يروه بعيونهم التي في رؤوسهم !! وقد أنكر عليهم موسى عليه السلام هذا الطلب اليهودي ، وعاقبهم الله سبحانه على ذلك بأن أرسل عليهم الصاعقة .

وقد أشار القرآن إلى طلب اليهود بقوله: ﴿وَإِذْ قَلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَنَّكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهَرًا، فَأَخَذْتُمُوهُمُ الصَّاعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظَرُونَ﴾^(١).
ويقوله تعالى : ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابَ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ، فَقَدْ سَأَلُوكَ مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالُوكَ: أَرِنَا اللَّهَ جَهَرًا، فَأَخَذْتُهُمُ الصَّاعِقَةَ بِظُلْمِهِم﴾^(٢).

وقد حذر القرآن المسلمين من أن يقتدوا بيهود في هذا الخلق الذميم ، أو أن يسألوا محمداً ﷺ مثل أسئلة يهود لموسى عليه السلام ، أو أن يطلبوا منه مثل ما طلب يهود: ﴿أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلِهِ؟ وَمَنْ يَتَبَدَّلُ الْكُفَّارُ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءُ السَّبِيل﴾^(٣).

وهذا الطلب اليهودي يكشف عن طبيعة اليهود الجاحدة المتكبرة ، ويدلل على خلق اليهود الشائن القبيح ، ويبين خطأ نظرتهم إلى الله ، وعدم تقديرهم له ، وسوء أدبهم معه ، كما يشير إلى سخريتهم بالله وإيزائهم لموسى عليه السلام ، وهذه القبائح موجودة عند يهود في كل زمان ومكان .

(٣) البقرة: ١٠٨.

(٤) النساء: ١٥٣.

.٥٥.

قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء

أشار القرآن إلى هذا القول اليهودي الفاجر الكافر في قوله تعالى :
﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، سَنَكْتُبُ مَا
قَالُوا، وَقَتْلَاهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(۱).

وبسبب نزول هذه الآية كما أخرج ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : (دخل أبو بكر رضي الله عنه بيت المدرس ، فوجد يهود قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له : «فُنْخَاص» وكان من علمائهم وأحبارهم ، فقال أبو بكر : ويلك يا فُنْخَاص ، اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة ، فقال فُنْخَاص : والله يا أبو بكر ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإنما عنه لأغنياء ، ولو كان غنياً عنا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطينا ، ولو كان غنياً ما أعطانا الربا !! فغضب أبو بكر فضرب وجه فُنْخَاص ضربة شديدة ، وقال : والذي نفسي بيده لو لا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله^(۲).

وما «فُنْخَاص» إلا نموذج يهودي شائي كريه ، وكل اليهود الكافرين هم مثله في عقيدته الزائفة وكفره القبيح .

(۱) آل عمران : ۱۸۱ .

(۲) الدر المثمر للسيوطى ۲ : ۲۹۶ .

والعجب أن الذي حمل اليهود على هذا الفجور في الحديث عن الله، هو سوء فهمهم لآيات القرآن، وتحريفهم لها، وسخريتهم بمعناها. فقد حث الله المسلمين على الصدقة والإإنفاق في سبيل الله، ورغمهم على هذا باعتباره إرضاءً لله سبحانه، وليس هذا الإقراض على حقيقته من حاجة وفقر المستقرض لمال المقرض، فالله هو الغني سبحانه والبشر إليه فقراء، وإنما هو عرض لهذا الموضوع بهذه الصورة الحية المؤثرة، ولكنها طبيعة يهود في تحريف الكلم عن مواضعه والاستهزاء والسخرية بالحق وأهله.

وطبيعة يهود تبدو من خلال هذه القولة الفاجرة باعتزازهم بعنادهم، ومكرهم، ووسائلهم المحرمة في جمع المال، وتهالكهم وجشعهم في جمعه وتخزينه.

قولهم يد الله مغلولة

سجل عليهم القرآن هذا القول واعتبرهم بسببه كفراً ملعونين، وقد رد على هذا الكفر بقوله: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلّت أيديهم ولعنوا بما قالوا، بل يداه مبسوطتان يُنفق كيف يشاء، ولَيَزِيدُنَّ كثيراً منهم ما أُنزَلَ إِلَيْكُمْ من ربكم طغياناً وكفراً﴾^(١).

وقصد هؤلاء الملعونين بكون يد الله مغلولة أنه سبحانه بخيلاً لا ينفق، ولا يرزق الناس، وهذا كفر يهودي قبيح.

وقد ذمّهم الله بسبب هذا القول، وكتب عليهم لعنته وغضبه وسخطه، وبين القرآن أنهم هم البخلاء الذين لا ينفقون، وأن أيديهم هي المغلولة المحبوسة عن إنفاق المال ﴿غلّت أيديهم﴾ ويحتمل أن يكون هذا الكلام دعاء عليهم بغلّ أيديهم وحبسها عن كل نفقة طيبة وخير عميم، فاليهود البخلاء يتهمون الله الرزاق سبحانه بالبخل!

وقد قرر القرآن بخل اليهود بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلْكِ إِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾^(٢) والنمير هو النقرة الصغيرة التي في ظهر نواة التمر.

وقرر القرآن تقتير الإنسان وسعة ملك الله وغناه بقوله: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) النساء: ٥٣.

تملكون خزائن رحمة ربّي إذاً لامسّكم خشية الإنفاق، وكان الإنسان
قوراً ^(١).

الله غنيٌ حميد، وهو الجود الكريم، ويداه مبسوطتان، يفيض منها
الرزق والعطاء على العباد، وكل المخلوقات مغمورة بعطایا الله ونعمه ورزقه
ورحمته، وهو ينفق كيف يشاء، عطاوئه لا ينفد، ونعمه تتجدد.

ولكن أين اليهود الكافرون الجاحدون البخلاء من هذا التصور النظيف
الكريم للألوهية، وهذا الوصف الطيب لرب العالمين؟

(١) الإسراء: ١٠٠.

نظرتهم لجبريل وافتراوهم عليه

لم يسلم أحد من كذب اليهود وكفرهم وتحريفهم وضلالهم، وقد نال الملائكة الأطهار الكرام من هذا الميراث اليهودي ما نالهم.

وقد أشار القرآن إلى كذب يهود على جبريل وعداوتهم له بقوله: ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُواً لِجَبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ، وَهُدًى وَشُرُّى لِلْمُؤْمِنِينَ . مَنْ كَانَ عَدُواً لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرَسُولِهِ وَجَبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌ لِلْكَافِرِينَ ﴾^(١) .

ونزلت هذه الآية تردّ على افتراء اليهود على جبريل، وقد ذكر علماء التفسير بالتأثير عدة روايات في سبب نزول هذه الآية متفقة على تقرير هذه الحقيقة. منها ما رواه ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عصابة من اليهود حضرت عند رسول الله ﷺ، فسألوه أسئلة لا يعلم الجواب عليها إلانبي: أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة؟ وكيف ماء الرجل وماء المرأة؟ وكيف يكون الذكر منه والأئشى؟ وكيف ينام النبي؟ ومن هو ولدُه من الملائكة؟

وب قبل أن يجيئهم عليه السلام عن أسئلتهم أخذ عليهم العهد والميثاق لئن أجابهم ليدخلن في الإسلام، فأقرّوا بذلك، فأجابهم عليه السلام على تلك الأسئلة، وأخيراً قالوا له: أنت الآن، فحدثنا من ولدك من الملائكة؟

(١) البقرة: ٩٧ - ٩٨ .

فعندها تتابعك أو نفارقك قال: فإن ولئي جبريل، ولم يبعث الله نبياً قط إلا وهو ولئي، قالوا: إذن نفارقك، لو كان ولئي سواه من الملائكة تابعناك وصدقناك!! قال: فما يمنعكم أن تصدقوه؟ قالوا: إنه عدونا. وفي رواية قالوا: جبريل عدونا يطلع محمداً على سرنا، وإذا جاء، جاء بالحرب والسنّة - القر والقطط والجذب - ولكن صاحبنا ميكائيل إذا جاء، جاء بالخصب والسلم^(١).. فنزلت الآية.

وكلام اليهود عن جبريل عليه السلام كذب وافتراء، وقد ساقوا لجبريل هذا الاتهام ليتهربوا من العهد ويخلفو الوعد، وقد اعتبر القرآن اليهود أعداء للله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل، وأنهم كفروا بهذه العداوة، فكيف نوالى أعداء الله؟ ولماذا لا نعادي من يعادى الحق والله؟! .

(١) تفسير الطبرى ٢ : ٣٧٧ - ٣٧٨ .

افتراوهم على هاروت وماروت

افترى يهود على الملَكين اللذين أنزلهما الله ببابل: هاروت وماروت، افتروا عليهما في مهمتهما في بابل ماذا كانت؟ وافتراوا عليهما في نسبة المعاشي والكبائر والجرائم إليهما. وقد أشار القرآن إلى هذين الملَكين، وإلى مهمتهما في بابل بإيجاز، فقال عن اليهود: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَنْتَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سَلِيمَانَ، وَمَا كَفَرُ سَلِيمَانُ، وَلَكُنَ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السُّحْرَ، وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلِ هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا يَعْلَمُانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ، فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْرَقُونَ بَهْ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ، وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بَهْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيَعْلَمُونَ مَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾^(١).

وقد وردت القصة في كتب الأخبار والتاريخ وكتب التفسير بالتأثير عند المسلمين، وخلاصتها أن الله أنزل الملَكين هاروت وماروت ببابل في مهمة محددة، وهي أن يعلّما الناس السحر، وأن ينشراه بين الناس، ويدعواهم إلى إتقانه وضبطه والعمل به ونشره. وقد نسبوا لهذين الملَكين فواحش وكبائر ومعاصي، وأوردوا قصة اختلقها خيالهم الماجن العاهر الكافر عن اجتماع الملَكين بأمرأة وطلبهما منها الفاحشة، وعدم موافقتها لهما إلا بعدما شربا الخمر وقتلا الرجل، ثم علمها اسم الله الأعظم، فصعدت به للسماء،

. ١٠٢ (١) البقرة:

فمسخها اللَّهُ بين السماء والأرض، وهي كوكب الزهرة المعروف الآن، ثم خير اللَّهِ المَلَكَين بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا، فهما معلقان من شعورهما بين السماء والأرض فوق بابل.

وهذا ضلال وهراء وكذب وافتراء، يbedo عليه أثر الاختلاق اليهودي البغيض، وتبعث منه رائحة الأغالط اليهودية المتننة، وهو يتعارض مع ما يقرره القرآن بصراحة ووضوح عن عصمة الملائكة كلهم من المعاصي والذنوب، فهم ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يَؤْمِرُونَ ﴾^(١) فكيف يقع ملكان في هذه الكبائر؟ وكيف راجت هذه الأكاذيب اليهودية على علماء مسلمين سابقين؟ .

(١) التحرير: ٦

نظرة اليهود للأنبياء

نظرة اليهود للأنبياء مزاجية، يحكمها هواهم المريض ومزاجهم المنحرف، لا يتبعون منهم إلا من وافق مزاجهم، ولا يصدقون ما جاءهم به الأنبياء إلا ما كان لهم فيه هوئ وشهوة ومصلحة، وما سواه مرفوض باطل ولو كان هو الحق الأصيل.

وقد أخبرنا القرآن عن هذه المزاجية اليهودية في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخْذَنَا مِثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأُسْلَنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا، كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهُوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتَلُونَ﴾^(١).

وأنكر القرآن على اليهود هذا الموقف الباطل والنظرية الظالمة فقال لهم:
﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهُوَى أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرُتُمْ، فَفَرِيقًا كَذَبُتمْ، وَفَرِيقًا تَقْتَلُونَ﴾^(٢).

وامتلاً تاريخ يهود مع أنبيائهم بالنماذج التي تفسّر هذه النظرة المزاجية، كم آذوا موسى عليه السلام - وهو منتقدهم -، وكم اتهموه في نفسه وجسمه واستقامته، وكم افتروا عليه ورفضوا أوامره وتوجيهاته، وكم عنفهم موسى عليه السلام، وأغلظ لهم القول، وأنكر عليهم هذا الإيمان المزاجي !؟ .

ولقد كانت صلتهم بهارون عليه السلام محكومة بهذه النظرة، حيث

(١) المائدة: ٧٠.

(٢) البقرة: ٨٧.

رفضوا أوامره بعدم عبادة العجل ، وافتروا عليه زاعمين أنه هو الذي أمرهم بذلك ، وأنه عبد العجل معهم - من دون الله - وهو رسول الله عليه السلام !! .

وماذا فعلوا مع نبيهم - الذي لم يحدد القرآن اسمه - عندما أخبرهم أن الله اختار طالوت ملكاً؟ وعندما قادهم طالوت للجهاد، ماذا فعلوا معه؟ وكيف انسحبوا من جيشه تباعاً وجبوا عن الجهاد؟ .

وكذلك داود وابنه سليمان عليهما السلام ما سلما من الإيذاء اليهودي والهوى المتقلب ، وقل مثل هذا في زكريا وابنه يحيى عليهما السلام حيث رفض يهود ما قدّما لهم من تعليمات وشرائع ، وقيل إنهم قتلوا هذين النبيين عليهما السلام .

هذا موقفهم من أنبيائهم ، قبول ما وافق الهوى ، وإلا فالقتل ، وإن لم يكن فالتكذيب .

حرب يهود لعيسى عليه السلام

بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام رسولاً إلى بني إسرائيل، وقدم عيسى نفسه إليهم، وحدّد لهم رسالته ومعجزاته بقوله: ﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل ، أني قد جئتكم بآية من ربكم : أني أخلُّ لكم من الطين كهيئة الطير ، فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرئ الأكماء والأبرص ، وأحي الموتى بإذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تَدْخِرون في بيوتكم ، إنَّ في ذلك لَاية لكم إن كتم مؤمنين . ومصدقاً لما بين يديَّ من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذي حُرم عليكم ، وجئتكم بآية ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون ﴾^(١) .

وقدم لهم عيسى عليه السلام الآيات على نبوته، ووضح لهم رسالته، لكنه لم يوافق هواهم ومزاجهم، فوقفوا منه نفس الموقف الثابت من كل من كان كذلك.

وقد أشار القرآن إلى موقفهم من عيسى عليه السلام وحربيهم له بقوله: ﴿ ويُكَفِّرُهُمْ وَقُولُهُمْ عَلَى مَرِيمَ بِهَتَانًا عَظِيمًا . وَقُولُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى بْنَ مَرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا قَتَلُوهُ ، وَمَا صَلَبُوهُ ، وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ، مَا لَهُمْ بِهِ مِّنْ عِلْمٍ إِلَّا اتَّبَاعُ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيْنًا بِلَ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾^(٢) .

(١) آل عمران: ٤٩ - ٥٠ .

(٢) النساء: ١٥٦ - ١٥٨ .

وتلاحظ التبجح والكيد الخبيث في حربهم لعيسى عليه السلام وأمه .
أما أمه فقد اتهموها بالبهتان العظيم ، ونسبوا لها الفاحشة - حاشاها رضي الله
عنها -، وهذه خطة يهودية دائمة في حربهم لمن يخالفونهم ، أول ما يوجهون
لها المخالف الاتهام في عرضه وفي شرفه وفي طهره وفي خلقه .

أما عيسى عليه السلام فقد أرادوا قتله ، ورسموا الخطة لذلك
وأحكموها ، وبدأوا بتنفيذها ، وقطعوا مراحل عملية في التنفيذ ، وأوشكوا أن
يلقوا القبض عليه ليصلبوه ويقتلوه؛ لو لا أن الله نصره وأنقذه وعصمه من
كيدهم وبطشهم ، وألقى شبهه على يهودي منهم «يهودا الأسخريوطى» الذي
أخذوه وصلبوه وقتلوه على أنه عيسى ، ولم يصدقوا أنه غير عيسى لتغيير
لامحه ، وإلقاء الله ملامح عيسى عليه السلام كلها عليه .

إن اليهود محاربون لعيسى ، مخططون لقتله ، مؤاخذون ومدانون
ومعذبون وكافرون لمحاولة قتله ، وما حال بينهم وبين التنفيذ إلا نصرة الله
سبحانه له ، وإنقاذه منهم في آخر لحظة .

وحربهم لمحمد ﷺ

ولم يكن موقف يهود من محمد عليه الصلاة والسلام مختلفاً عن موقفهم المحدد من الأنبياء الذين لا يوافقون هواهم ومزاجهم.

فقد بشرهم به أنبياؤهم، كما قال لهم عيسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ يَا بْنَ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، مُّصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا: هَذَا سُحْرٌ مُّبِينٌ، وَمَنْ أَظْلَمُ مِمْنَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى إِلَيْهِ الْإِسْلَامِ﴾^(١).

كان اليهود يتوقعون قرب مبعث خاتم النبيين عليه السلام، ويستفتحون بذلك على العرب المشركين، فلما بعثه الله كانوا أول كافر به ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ بِكِتَابٍ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ لَمَّا تَرَوُهُ كَفَرُوا بِهِ وَأَخْفَجُوا بِشَارَاتِ أَنْبِيَائِهِمْ بِهِ فِي التُّورَةِ وَالزُّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٢). ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم، وأخفاوا بشارات أنبيائهم به في التوراة والزبور والإنجيل ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ لَمَّا تَرَوُهُ كَفَرُوا بِهِ وَأَخْفَجُوا بِشَارَاتِ أَنْبِيَائِهِمْ بِهِ فِي التُّورَةِ وَالزُّبُورِ وَالْإِنْجِيلِ﴾^(٣).

(١) الصدق: ٦ - ٧.

(٢) البقرة: ٨٩.

(٣) البقرة: ١٠١.

ويقرّر القرآن أن اليهود - والنصارى كذلك - يعرفون أن محمداً عليه الصلاة والسلام رسول الله معرفة يقينية جازمة قاطعة، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وهي أوثق وأدق أنواع المعارف، ومع ذلك كفروا به وحاربوا ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحقّ وهم يعلمون. الحقُّ من ربكم فلا تكوننَّ من المُمْتَرِين﴾^(١).

وقد اعترف عبد الله بن سلام رضي الله عنه - وكان من أحبّار اليهود قبل أن يسلم - بهذه الحقيقة: روى ابن عباس رضي الله عنّهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لعبد الله بن سلام رضي الله عنه: قد أنزل الله على نبيه ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾، فكيف يا عبد الله هذه المعرفة؟ فقال عبد الله بن سلام: يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني إذا لقيته مع الصبيان، وأنا أشد معرفة بمحمد ﷺ مني بابني !! فقال عمر: كيف ذلك؟ قال: إنه رسول الله ﷺ حق من الله، وقد نَعَّثَه الله في كتابنا: ولا أدرى ما تصنع النساء^(٢).

وقد روى الصحابي الجليل عبد الله بن سلام رضي الله عنه رواية عجيبة في قصة إسلامه وفي موقف يهود من نبوة رسول الله ﷺ. قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: لما سمعت برسول الله ﷺ وعرفت صفتـه وأسمـه وهـيـته وزـمانـه الـذـي كـنـا نـتوـكـفـ له (نتـظـره)، فـكـنـتـ بـقـيـاءـ مـسـرـاـ بـذـلـكـ صـامـتاـ عـلـيـهـ، حـتـىـ قـدـمـ رسولـ اللهـ ﷺـ الـمـدـيـنـةـ، فـلـمـ قـدـمـ نـزـلـ بـقـيـاءـ فـيـ بـنـيـ عـوـفـ، فـأـقـبـلـ رـجـلـ حـتـىـ أـخـبـرـ بـقـدـومـهـ، وـأـنـاـ فـيـ رـأـسـ نـخـلـةـ لـيـ أـعـمـلـ فـيـهاـ، وـعـمـتـيـ خـالـدـةـ بـنـتـ الـحـارـثـ تـحـتـيـ جـالـسـةـ، فـلـمـ سـمـعـتـ الـخـبـرـ بـقـدـومـ رـسـولـ اللهـ ﷺـ كـبـرـتـ. فـقـالـتـ عـمـتـيـ لـمـاـ سـمـعـتـ تـكـبـيرـيـ: لـوـ كـنـتـ سـمـعـتـ بـمـوسـىـ بـنـ عـمـرـانـ مـاـ زـدـتـ. قـالـ: قـلـتـ لـهـاـ: أـيـ عـمـةـ وـالـلـهـ هـوـ أـخـوـ مـوسـىـ بـنـ عـمـرـانـ عـلـىـ دـيـنـهـ: بـعـثـ بـمـاـ بـعـثـ بـهـ، فـقـالـتـ لـهـ: يـاـ اـبـنـ أـخـيـ: أـهـوـ الـذـي كـنـاـ نـخـبـرـ أـنـهـ يـبـعـثـ

(١) البقرة: ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) الدر المنشور للسيوطى ١ : ٣٥٧.

مع نفس الساعة؟ قلت لها: نعم، قالت: فذاك إذن.

ثم جاء رسول الله ﷺ فقال له: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلّهم عنّي قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن علّمـوا أني أسلمت قالوا في ما ليس فيـ.

فأرسل النبي ﷺ إلى يهود، فدخلوا عليه، فقال لهم: «يا معاشر يهود ويلكم، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمونَ أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق فأسلموا». قالوا: ما نعلمه، قالوا ذلك للنبي ﷺ وقالـها ثـلـاثـ مـرـارـ!! قال: فـأـيـ رـجـلـ فـيـكـمـ عبدـ اللهـ بنـ سـلـامـ؟ قالـواـ: ذـاكـ سـيـدـناـ وـابـنـ سـيـدـناـ وـأـعـلـمـناـ وـابـنـ أـعـلـمـناـ. قالـ: أـفـأـيـتـمـ أـنـ أـسـلـمـ؟ قالـواـ: حـاشـىـ لـلـهـ مـاـ كـانـ لـيـسـلـمـ.

قال: يا ابن سلام اخرج عليهم، فخرج فقال: يا معاشر يهود اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمونَ أنه رسول الله وأنه جاء بالحق، فقالـواـ: كـذـبـتـ.

وقالـواـ: شـرـنـاـ وـابـنـ شـرـنـاـ، وـتـنـقـصـوـهـ، فـقـالـ ابنـ سـلـامـ: يـاـ رـسـولـ اللهـ: هـذـاـ الـذـيـ كـنـتـ أـخـافـ^(١).

وهذه الحادثة قاطعة الدلالة على معرفة يهود الجازمة أن محمداً عليه السلام رسول الله، فإنها مثل معرفتهم بأبناءهم أو آكد، وأنهم مع ذلك كفروا به وحاربوه وكذبوا من أسلم منهم، وكتموا شهادة الله عندما طلبـتـ منهمـ، وأنكروا أن يكونـ هوـ الرـسـولـ المـبـشـرـ بهـ فيـ كـتـبـهمـ.

وقد روت كتب السيرة والتاريخ رواية أخرى عن صفية بنت حبيبي - زوج رسول الله ﷺ - ذات دلالات بالغة في معرفة يهود اليقينية برسول الله عليه

(١) البداية والنهاية لابن كثير، فصل إسلام عبد الله بن سلام: ٣: ٢١٠ - ٢١١.

السلام، ومعاداته ومحاربته بعد ذلك. قالت صفية: (لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني، لم أقهرهما في ولد لهما قطْ أهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مُفلسين، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس. فجاءنا فاترينا كسلاتين ساقطين يمشيان الهوينا، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلى واحد منهمما.

فسمعت عَمِي أبا ياسر يقول لأبي: أهُوَ هُو؟ قال: نعم والله! قال:
تعرفه بنته وصفته؟ قال: نعم والله! قال: فماذا في نفسك منه؟ قال:
عداوه والله ما بقيت^(١).

عادى يهود رسول الله ﷺ بعد تأكدهم من نبوته ورسالته، وعادوا دينه
بعد معرفتهم أنه الحق، وحاربوا رسول الله ﷺ أشد ما تكون الحرب،
وحاالفوا الكافرين عليه، وحاربوا دينه وأولياءه حرّاً عنفية.

ولقد حاولوا قتل رسول الله ﷺ عندما همّوا بإلقاء الحجر عليه ﷺ فأنجاه الله منهم، ودست له يهودية من خبير السم في الذراع المشوي فأخبره الله بذلك. «عداوه ما حيت» هذا شعار كل يهودي حتى قيام الساعة، ضد رسول الله ودينه وأمته.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣: ٢١٢

موقفهم من الحق: هم أول كافر به

عرف اليهود أن محمداً ﷺ هو رسول الله فكانوا أول كافر به.

وعرفوا أن دينه هو من عند الله فكانوا أول كافر به.

وعرفوا أن الحق فقط فيما جاء به رسول الله ﷺ فكانوا أول كافر به.

إن تاريخ اليهود كله يقوم على هذه القاعدة: رفضهم للحق، وكراهيتهم له، وحربهم له، وكونهم أول كافر به.

وما رأينا في التاريخ قوماً يكرهون الحق كما يكرهه اليهود، ولا قوماً يحاربونه كما يحاربه اليهود، ولا قوماً يحرّفونه كما يحرّفه اليهود، ولا قوماً يلبسونه بالباطل كما يلبسه به يهود، ولا قوماً يؤذون أولياءه وجنوده كما يفعل يهود.

نهاهم الله عن الكفر بالحق، وحذّرهم من أن يكونوا أول كافر به، فخالفوا النهي وارتكبوا المحظور. قال تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أُنزِلْتُ مَصْدِقًا لِّمَا مَعَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ﴾^(١) فأنكروا هذا الحق و كانوا أول كافر به.

ونهاهم عن الاتّجار بالحق والاعتداء عليه بالتحريف والتزوير، وعن الشراء بآيات الله، ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثُمنًا قَلِيلًا وَإِيَّاهُ فَاتَّقُونَ﴾^(٢)، فخالفوا وحرّفوا وتاجروا.

(١) البقرة: ٤١.

(٢) البقرة: ٤١.

ونهادهم عن خلط الحق بالباطل، ولبس الحق بالباطل، وزَعْمَ أن الباطل هو الحق وأن الحق هو الباطل، ونهادهم عن كتمان الشهادة وهم عندهم علم ومعرفة بما يشهدون عليه، ﴿وَلَا تَلِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١) ففعلاً كل ما نهادهم الله عنه.

ولذلك عندما دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإيمان به وهم يعلمون أنه الحق، رفضوا وكفروا بهذا الحق، ﴿وَإِذَا قيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا، وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَهُمْ، قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وما أشد رغبة اليهود في التحرير والتبديل والتغيير والكتمان ولبس الحق بالباطل، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهُدُونَ. يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ تَلِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣).

(١) البقرة: ٤٢.

(٢) البقرة: ٩١.

(٣) آل عمران: ٧٠ - ٧١.

أخلاق يهودية خطوط مستقرة في النفسية اليهودية

اتصف اليهود بصفات أخلاقية عجيبة، حيث توفرت لهم مجموعة من الرذائل الأخلاقية والمفاسد السلوكية بصورة عجيبة لعلها لم تتوفر مثلها لأمة أخرى من الأمم، ورسخت في نفوسهم رسوحاً ثابتاً لعلها لم ترسخ مثله في أمم أخرى، واتخذت هذه الرذائل والمفاسد والقبائح والنقائص والأمراض والآفات خطوطاً ثابتة، وعلامات بارزة، ومسارات مستقرة في النفسية اليهودية العجيبة المعقدة، فنمت في أطوانها، وتغلغلت في أغوارها، وهناك تفاعلت ونمت وترعرعت وسارت في كافة جوانب هذه النفس و مجالاتها ونوازعها.

ثم أرسلت فروعها وظلالها إلى الحياة العملية، والممارسات السلوكية، والارتباطات الخارجية للشخصية اليهودية في حركتها الظاهرة وصلاتها الحياتية، فكانت هذه الشخصية الممزقة المنحرفة تصدر عن هذه الرذائل والانحرافات الأخلاقية، وصارت انعكاساً خارجياً لها، بصورة مجسمة لمعانيها وأبعادها، ونموذجًا إنسانياً مشوهاً شائهاً يعتبر «مجمع نقائض» و«مجموعة رذائل» و«تجمّع قبائح ومفاسد».

والعجب في هذا الموضوع أن هذه الآفات والأمراض الأخلاقية لم تتمثل في جيل يهودي واحد، ولا في مجموعة يهودية معينة !! إذن لهأن الأمر. ولكنها تحفقت في الإنسان اليهودي المشوه أينما كان، فكل يهودي - باستثناء الأنبياء والمؤمنين الصالحين منبني إسرائيل - هو نموذج إنساني مجسم مشاهد لهذه الأخلاق، ولا يسلم من هذا ذلك اليهودي الذليل زمان فرعون،

ولا اليهودي المحرر الذي أقام في الأرض المقدسة، ولا اليهودي الذي خرج من فلسطين وتنقل في بقاع الأرض وخالط الآخرين، ولا اليهودي المعاصر في القرن العشرين الذي يزعم تفوقه وتفرده في عالم الحضارة والرقي والمدنية، ولا اليهودي الذي يقيم الآن في فلسطين ويزعم ممارسته للتوراة وتطبيقه للدين اليهودي.

إن المفاسد الأخلاقية اليهودية سمات عامة ليهود كل اليهود، وإنها «جينات» وراثية ثابتة لكل يهودي في كل زمان ومكان.

وإن اليهودي يمكن أن يتخلّى عن كل شيء إلا عن مفاسده الأخلاقية، وإن اليهودي يمكن أن يتنازل عن أي شيء إلا عن رذائله الأخلاقية، ويمكن أن يستغني عن أي شيء إلا عن قبائحه ومكره وغدره وكذبه ولؤمه وحقده.

إذا أردت أن تعرف اليهودي على حقيقته فاستحضر في ذهنك طائفة من الأخلاقيات الذميمة فإنها تمثل بمجموعها اليهودي قائماً أمام عينيك.

وإذا كنت في شك من هذا فتزود بصيرة نافذة، وتحليل صائب، ومنظار قرآنٍ صادق، وتوجه بهذه الأدوات إلى أي يهودي تشاء، واعمل على تحليل نفسيته وملاحظة مسلكياته وممارساته، وتغلغل بنظراتك الصادقة إلى أطواء نفسه، فإنك تجده «مجموعة» متحركة من هذه الأخلاق الذميمة.

وكم لاحظنا هذه الأخلاق المرذولة عند يهود معاصرین، مختلفين في مواقعهم ومستوياتهم الثقافية والعملية والوظيفية، عندما سمعنا عن ممارساتهم وتصريحتهم وأعمالهم وصلاتهم وارتباطاتهم، وعندما أخبرنا رجال صادقون عاملوا اليهود أو لاحظوا ما نقوله فيهم.

إن الأخلاق المرذولة المنطبقة على كل يهودي، تذكرني بقول الشاعر المصور الساخر ابن الرومي يهجو رجلاً اسمه «عمرو»:

وجهك يا عمرو فيه طول وفي وجوه الكلاب طول
قبائح الكلب فيك طراً يزول عنها ولا تزول

وقد حللت نصوص القرآن الكريم النفسية اليهودية المعقدة، وكشفت لنا عن الرذائل الأخلاقية فيها، وقدّمت لنا نماذج لممارسات يهودية تمثل تلك الرذائل، وبذلك كان القرآن العظيم **المعجز** حريصاً على تحليل النفسية اليهودية، وتحذير الناس من الخطر اليهودي الماحق، والخلق اليهودي الشيطاني.

اليهود كاذبون

الكذب خلق ذميم وانحراف مدمّر ومرض خطير، وإذا تعمّق هذا الكذب في نفس شخص وصار له خلقاً دائماً نضبت معاني الخير في نفسه، وتمكن هذا المرض منه واستعصى على العلاج.

وتمثل هذا الكذب في اليهود أينما كانوا، ومارسوا الكذب والافتراء في كل المجالات: كذبوا على الله سبحانه، وكذبوا على أنبيائهم، وكذبوا على صالحهم، وكذبوا على الأمم الأخرى.

والعجب أنهم جعلوا هذا الكذب ديناً وعقيدة وعبادة وقربى، تقربوا به لربهم، وطبقوا فيه دينهم، وحاربوا بهذا الكذب الحق والخير والصدق والرسل والدعاة والمصلحين.

وشمل هذا الكذب حياة اليهودي في كل مراقبها، وسرى في كل مجالاتها.

اليهود كاذبون في حياتهم الدينية وعبادتهم ونظرتهم إلى الله.

اليهود كاذبون في حياتهم السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والأخلاقية، والعلمية، والنفسية.

اليهود كاذبون على الأعداء وعلى الأصدقاء، وعلى المحالفين والمحاربين والمعارضين ..

وقد أشار القرآن إلى مجموعة من أكاذيب يهود نشير إلى بعضها فيما يلي :

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِقُنْطَارٍ يُؤْدَهُ إِلَيْكُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمُنْهُ بِدِينِهِ لَا يُؤْدَهُ إِلَيْكُ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمَمِ سَبِيلٌ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَسْتِهْنَمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسِبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ كُلُّ الطَّعَامَ كَانَ حِلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التُّورَةُ ، قَلْ فَأَتَوْا بِالْتُّورَةِ فَاتَّلُوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . قُلْ : صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣) .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَا نُؤْمِنَ لِرَسُولِهِ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكِلَهُ النَّارُ ، قَلْ : قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قَلْتُمْ ، فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . إِنَّ كُذُوبَكُمْ فَقَدْ كُذَّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءُوكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالرُّبُّرُ وَالْكِتَابُ الْمُنِيرُ ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكِّونَ أَنفُسَهُمْ ، بَلَّ اللَّهُ يَرِكُّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلِمُونَ فَتِيَّلًا . انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذْبَ ، وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا . أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالْطَّاغُوتِ ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾^(٥) .

(١) آل عمران: ٧٥.

(٢) آل عمران: ٧٨.

(٣) آل عمران: ٩٣ - ٩٥.

(٤) آل عمران: ١٨٣ - ١٨٤.

(٥) النساء: ٤٩ - ٥١.

وقال تعالى : ﴿ سَمَّاعُونَ لِكَذْبِهِ ، أَكَالُونَ لِسُسْعَتِهِ ﴾^(١).

تقرر هذه الآيات بوضوح وتحديد أن يهود قوم كاذبون، وأنهم قد استمروا هذا الكذب ورثوه لهم خلقاً وديناً وسلوكاً وحياة، وأنهم شملوا بكل منهم كل شيء، ووجهوه إلى كل شيء.

ولذلك وصفهم القرآن بأنهم ﴿ سَمَّاعُونَ لِكَذْبِهِ ﴾ وهذه تشير إلى تمكّن الكذب منهم وسيطرته عليهم، فهم ليسوا كاذبين فقط، ولا سامعين للكاذبين فقط، ولكنهم «سمّاعون» لهذا الكذب - وهي صفة مبالغة من سامع - يستلذون الكذب، ويحرضون على أن يكونوا مع الكذب وأصحابه، وأن يبحثوا عن الكذب وأصحابه، ويسمعونهم وهم يمارسونه، ويشاركونهم فيه بكل حماسة واندفاع.

(١) المائدة: ٤٢.

اليهود محرّفون

تاریخ اليهود كله مظهر عملي لتحریفهـم للحقائق. وقد حـوی نماذج وأمثلة عديدة لهذا التحریف والتزویر، بحيث يمكن أن نقول إن يهود هـم أكثر شعوب العالم تحریفاً للحقائق وتزویراً لها، وإلباـساً للحق بالباطل، وكتمان الحق وإنفائه.

وقد اعتبر اليهود هذا التحریف والتزویر دیناً وتقرباً إلى ربـهم، ورَغبُهـم فيهـ أخبارـهم وربـانـیـهـم.

وقد كشف لنا القرآن عن هذا الخلق اليهودي الذميم قال تعالى : «أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فِرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرُفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقْلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ؟ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، إِذَا خَلَأُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتَحَدُثُونَنَّهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيَحاجُوكُمْ بِهِ عَنْ دِرَبِكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟» (١).

إن اليهود محرّفون لکلام الله، وما يجرؤ ذو قلب حي على تحریف کلام الله، لكن متى يحرّفونه؟ يحرّفونه بعد سماعه وتدبره وفهمه من بعد ما عقلـوه إن عقولـهم المريضة بـدلـ أنـ تقـاد لـحـکـمـ اللهـ وـتـؤـمـنـ بـکـلامـ اللهـ بعدـ سمـاعـهـ، تـعـتـدـيـ عـلـيـهـ بـالـتـحـرـیـفـ وـالتـزوـیرـ، وـهـمـ يـعـلـمـونـ، يـعـلـمـونـ أـنـهـمـ مـحـرـفـونـ لـکـلامـ اللهـ، وـعـلـمـهـمـ دـفـعـهـمـ لـهـ، لـقـدـ اـشـتـرـكـ فـيـ التـحـرـیـفـ: آذـانـهـمـ

(١) البقرة: ٧٥ - ٧٦.

التي تسمع ، وعقولهم التي تعقل ، ونفوسهم التي تعلم.

وقال تعالى : ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوْضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعَ، وَرَاعَنَا، لَيَّا بِالسَّتْهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا، وَاسْمَعْ وَانْظَرْنَا، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^(١).

إن اليهود يحرّفون الكلم بعد وضعه وتبثّته وإقراره ، إن الكلام الواضح المقرر يحرّفه اليهود تحريفاً لفظياً أو تحريفاً معنوياً ، وإذا عرف المسلمون الحق وقالوا سمعنا وأطعنا ، فإن اليهود يقولون : سمعنا وعصينا .

وإذا قال الصحابة لرسول الله ﷺ : يا رسول الله راعنا ، أي ارعنـا سمعك وأمهلنا وانظرنا ، فإنـهم يقصدون تكريم الرسول عليه السلام واحترامـه .

لكن اليهود المحرّفين يجعلون لهذه الكلمة معنى آخر مرذول ، يقولون : يا محمد راعنا : من الرعونة والخفة والطيش ، وينسبون هذه الصفات إليه عليه السلام ، يقولونها ﴿لَيَّا بِالسَّتْهِمْ﴾ بقصد التحريف ، و﴿طَعْنَا فِي الدِّينِ﴾ وهم لا دين عندـهم .

وأبطل القرآن هذا الكيد المريض والتحريف الجبان بأن منع الصحابة من قول هذه اللفظة ، وأعطـاهـم بدليلاً عنها لفظة أخرى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تقولوا راعـنا ، وقولـوا انـظـرـنا ، واسـمـعـوا ، ولـلـكـافـرـينـ عـذـابـ أـلـيمـ﴾^(٢).

وقال تعالى يسجل على يهود تحريفـهم : ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِثَاقُهُمْ لَعَنَّا هُمْ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوْضِعِهِ﴾^(٣).

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفَّرِ، مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا، سَمَاعُونَ لِلْكَذْبِ، سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوْضِعِهِ،

(١) النساء : ٤٦ .

(٢) البقرة : ١٠٤ .

(٣) المائدة : ١٣ .

يقولون إن أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحذِرُوا، وَمَن يُرِدُ اللَّهُ فَقْتَلَهُ فَلَن
تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدُ اللَّهُ أَن يَطْهَرَ قُلُوبَهُمْ ﴿١﴾.

إن اليهود - وهم يمارسون تحريف الكلم - يعرضون ما يسمعونه من الدين الجديد على توراتهم التي حرفوها وغيروها، فما وافق ما عندهم أحذوه، وما خالفه رفضوه وتركوه ﴿إِن أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ، وَإِن لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحذِرُوا﴾.

وتبخرنا الآيات أن التحريف العجب سببه قسوة قلوبهم ونجاستها وتلوثها.

قال الإمام الراغب في المفردات: (تحريف الشيء إما لته كتحريف القلم. وتحريف الكلم أن يجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين) ^(٢)

والعجب أن القرآن يجعل التحريف بضاعة يهودية خاصة وخلفاً يهودياً خاصة، حيث لم يرد الفعل «يحرفون» إلا أربع مرات في القرآن، وهي التي أوردناها، وكلها تتحدث عن هذا الخلق اليهودي.

(١) المائدة: ٤١.

(٢) المفردات: ١١٤.

يهود حاسدون

والحسد مرض خطير، وانحراف لثيم، وخلق ذميم. وهو دليل على تشوّه في النفس، وتعقيد في الشخصية والكيان الإنساني.

لا يمكن أن يحسد إنسان سويّ، مستقيم في تصوره وإيمانه وأخلاقه سلوكه وحياته. إنه لا يحسد إلا الأناني المزاجي الطماع الجبان المريض المنحرف.

وبما أن يهود «مجمع نقائص» و«مجموعة رذائل» فلا بد أن يكون داء الحسد متمكنًا فيهم، مسيطرًا على نفوسهم، موجهاً لحركاتهم، وأن يكون مرضًا يهودياً فتاكاً وخلفاً يهودياً ذمياً، يسري فيهم للآخرين المشوهين من أمثالهم.

وقد كان هذا الحسد اليهودي هو الذي يحكم نظرتهم للآخرين الذين أنعم الله عليهم، فلا يريدون أن ينعم الله على أحد غيرهم.

وهذا الحسد البغيض هو الذي حمل يهود على معاداة ومحاربة رسول الله ﷺ، ورفض رسالته، مع علمهم بأنه رسول الله.

إنهم يحسدون محمداً ﷺ على رسالته ونبوته لأنه ليس يهودياً، ولذلك حاربوه.

ولأنهم يحسدون المسلمين لأن الله أنعم عليهم بالإسلام، ولذلك حاربواهم.

وإنهم يحسدون المسلمين لأن الله جعلهم خلفاء في الأرض، وشهداء على الناس، وأمناءه على دينه ورسالته، وأساتذة الإنسانية، وهو ليسوا يهوداً، ولذلك وقعا في وجوههم. وصدق الله القائل: ﴿ إِنَّمَا تَرَىٰ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالظَّاغُوتِ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا . أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعِنَهُمُ اللَّهُ، وَمَن يَلْعَنَ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا . أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا . أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىِ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴾^(١).

وتقدم لنا هذه الآيات السبب في كل التحالفات السياسية التي يعقدها يهود مع المشركين ضد المسلمين، حيث نزلت بمناسبة تحالف يهود مع قريش في غزوة الأحزاب، إن السبب هو حسد اليهود المريض وحقدتهم الأعمى وكرههم البغيض للحق وأهله.

وما زال هذا الحسد هو الذي يحكم علاقات يهود بالمسلمين، وكذلك يهود المعاصرین بذراري المسلمين. إنهم يحسدونهم على إسلامهم ونعمته الله عليهم، ولذلك يتحالفون مع النصارى والشيوخين والملحدين، وكل تحالفاتهم المعاصرة لا تخرج عن هذا التعليل السياسي القرآني الصادق.

ونلاحظ من باب الإشارة إلى بعض لطائف القرآن البيانية ودلاليتها الواقعية أن كلمة «أم» ذكرت مررتين في الآيات السابقة وبمعนدين مختلفين: أم الأولى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلْكِ؟ ﴾ هي استفهامية بمعنى: هل.

وأم الثانية: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ ﴾ حرف إضمار وانتقال بمعنى: بل.

وبهذا المعنى عرفنا بعد السياسي الواقعي المستمر لأم الثانية، حيث

(١) النساء: ٥١ - ٥٤.

تفسر هي وما بعدها سر تحالفات يهود مع الآخرين حتى قيام الساعة.

وقد كشفت لنا آية أخرى عن حسد يهود لل المسلمين بقولها: ﴿ وَدُّ كثِيرٌ
مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرْدُنُكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا، حَسَدًا مِّنْ عَنْدِ أَنفُسِهِمْ،
مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾^(١).

إن حسد اليهود للمؤمنين تم بعد ما تبين لهم أن المؤمنين على حق، وهذا الحسد تحول إلى حرص وتصميم دائم ليردوا المؤمنين - من بعد إيمانهم - كفاراً بالله، وسلكوا الوسائل المختلفة لتحقيق هذه الغاية الشيطانية الملعونة. وقد عبر القرآن عن هذه الغاية وهذه الوسيلة وهذه الأسلحة اليهودية بالورد ﴿ وَدُّ كثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴾ والورد عملية قلبية ورغبة داخلية، والورد لا يكون إلا في القلب، والورد لا يكون - أصلاً عند الإنسان - إلا في الأشياء الخيرة النافعة الفاضلة، أما أن يتحول الورد إلى نشر الكفر، وفتنة المسلمين، وردوهم عن دينهم، فإنه لا يكون إلا عند يهود الحاسدين ﴿ مَا يُودُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكُونَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكُمْ ﴾^(٢).

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) البقرة: ١٠٥.

اليهود متحايلون

اليهود متحايلون. يستخدمون التحايل في كل صلاتهم مع الآخرين، حتى إنهم ليستخدمون التحايل على الأحكام الشرعية والتوجيهات الربانية والأوامر الصادرة لهم من الله، وبالحيل اليهودية الملتوية يحرمون الحلال، ويحللون الحرام، ويقصرون في الواجب ويرتكبون المحظور.

وقد أشار القرآن إلى هذا الخلق اليهودي الذميم، وسجل نماذج لمحايلهم على أحكام الله وتحريفهم لها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حِلْثَ شَتَّمْ رَغْدَأْ، وادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدَأْ، وقولُوا حِلْثَ تَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وسُتْرِيدْ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(١).

أمرهم الله أن يدخلوا الأرضي المقدسة ساجدين مستغفرين يقولون: ربنا حُطّ عننا ذنبنا، فتحايلوا على هذا الأمر الرباني، ودخلوا يزحفون على أستاههم ويقولون: حَبَّةٌ في شعيرة. كما بين ذلك رسول الله ﷺ.

وحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى يَهُودِ بَعْضَ الطَّيَّبَاتِ عَقْوَبَةً لَهُمْ مِثْلُ شَحُومِ الْأَنْعَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ، وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمَنَا

(١) البقرة: ٥٨ - ٥٩

عليهم شحومهما، إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظام، ذلك جَزِيناهُم بِيَغْيِيمٍ وَإِنَا لِصَادِقُونَ ﴿١﴾.

فتحايلت يهود على هذا الأمر الرباني، وأخذوا الشحوم المحرمة وأذابوها ثم باعوها وأخذوا ثمنها، فلعنهم الله بسبب ذلك كما بين ذلك رسول الله ﷺ، حيث روى البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لعن الله اليهود؛ حُرِّمت عليهم الشحوم، فباعوها وأكلوا أثمانها».

أما قصة أصحاب القرية الواقعة على شاطئ البحر، وتحايلهم على أحكام الله، واعتدائهم على حرمة السبت، فإنها مثال فاضح للتحايل اليهودي اللعين.

قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً بِالْبَحْرِ، إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانٌ هُمْ يَسْبِّهُمْ شُرُّعاً، وَيَوْمَ لَا يَسْتَيْتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَبْلُوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسِقُونَ. وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لَمْ تَعْظِمُنَّ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا، قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلِعِلْمِهِ يَتَّقُونَ. فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السَّوْءِ، وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَشِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسِقُونَ. فَلَمَّا عَنَوا عَنْ مَا نَهَوْنَا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قَرْدَةً خَاسِئِينَ﴾^(٢).

حرّم الله على أهل تلك القرية من يهود العمل في يوم السبت، وصيّد الحيتان في يوم السبت، وزيادة في الابتلاء والامتحان لهم كانت الحيتان تأتيهم يوم السبت «شُرُّعاً» تسبح على وجه الماء وتکاد تغطي الماء، بينما تختفي في الأيام الأخرى فيبحثون عنها ولا يکادون يجدونها.

وهنا تفتقّت أفكار يهود الشيطانية عن حيلة ماكرة، يتحايلون بها على أمر

(١) الأنعام: ١٤٦.

(٢) الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦.

الله، ودهاهم شيطانهم إلى أن يحفروا الخنادق على جانب الماء، ثم يذهبون إلى بيوتهم، فإذا زاد ماء البحر عن طريق المد وصل إلى تلك الخنادق والبرك والأحواض فملأها، وطبعاً كانت الحيتان تسقط في الشرابك التي نصبتها حيلة يهود والحرف التي حفرتها، وفي الأيام التالية التي يباح فيها الصيد يذهبون إلى ما أعدوه واحتلوا له فيأخذون تلك الحيتان الحبيسة.

ونهاهم صالحوهم عن هذه الحيلة الماكرة، ولكنهم لم يستجيبوا أو يتنهوا، وهنا أنجى الله الصالحين الدعاة العاملين فيهم، وأوقع عذابه على المتهايلين الماكرين فمسخهم قردة وخنازير، كما قال تعالى : ﴿ولقد علمنا الذين اعتقدوا منكم في السبت، فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين. فجعلناها نكالاً لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين﴾^(١).

(١) البقرة: ٦٥ - ٦٦.

اليهود مراوغون

اليهود يتحايلون أولاً على أوامر الله، فإن عجزوا عن التحايل والزموا بالالتزام والتنفيذ، وأحرجوها على الانصياع والأداء، فإنهم يستخدمون مع هذه الأوامر أسلوباً آخر، ويعاملون معها بخلق آخر، ليس أقل سوءاً من التحايل. إنها المراوغة والتلاؤ، إنهم يراوغون ويتكلّؤون ويتناقلون ويتآخرون، وقصة بقرة بنى إسرائيل أصدق مثال لها..

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوْ بَقْرَةً. قَالُوا: أَتَتْخِدُنَا هُرُّواً؟﴾.

قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

قالوا: ادع لنا ربكم يبيّن لنا ما هي؟.

قال: إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، فافعلوا ما تؤمرتون.

قالوا: ادع لنا ربكم يبيّن لنا ما لونها؟.

قال: إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين.

قالوا: ادع لنا ربكم يبيّن لنا ما هي، إن البقر تشبه علينا وإنما إن شاء الله لمهتدون.

قال: إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض، ولا تسقي الحرش، مسلمة لا شيء فيها.

قالوا: الآن جئت بالحق، فذبحوها وما كادوا يفعلون.

وإذ قتلت نفساً فادارتم فيها، والله مخرج ما كتم تكتمون. فقلنا أضربوه ببعضها، كذلك يحيى الله الموتى، ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴿١﴾.

كم مرة راوغ اليهود مع موسى عليه السلام، وكم أعادوا له القول، ثم نفذوا الأمر أخيراً ملزمين.

أول مراوغة قالوا لنيبهم موسى عليه السلام: هل أنت تستهزء بنا عندما تطلب هذا الطلب، وهونبي يبلغهم أمر الله، ويرشدهم إلى طريقة ربانية لمعرفة القاتل المجهول.

وثاني مراوغة طلبوا منه أن يبين البقرة المطلوبة ما هي؟.

وأحسن موسى عليه السلام بمراوغتهم وتلکئهم، فأصدر لهم أمره القاطع: فافعلوا ما تؤمرون.

وثالث مراوغة: طلبوا بيان اللون المطلوب، فبيّنه لهم عليه السلام.

ورابع مراوغة: طلبوا تحديداً أكثر للبقرة المطلوبة، لأن البقر تشبه عليهم بعد كل هذا التحديد والتقييد، فحدّدتها لهم عليه السلام.

وبعد هذه المراوغات ﴿ذبحوها وما كادوا يفعلون﴾ ولاحظ دقة هذا التعبير القرآني، أي أنهم أوشكوا أن لا يفعلوا، وكادوا أن لا يذبحوها، ولم يذبحوها إلا مرغمين.

قال الإمام الراغب في مفرداته: (ووضع كاد لمقاربة الفعل. يقال كاد يفعل إذا لم يكن قد فعل، وإذا كان معه حرف نفي يكون لما قد وقع، ويكون قريباً من أن لا يكون)﴾^(٢).

مع أنهم لو كانوا جادين في تنفيذ الأمر الصادر لهم من الله عن طريق

(١) البقرة: ٦٧ - ٦٨.

(٢) المفردات: ٤٤٣.

نبיהם موسى عليه السلام، ولو كانوا ينون الالتزام والتنفيذ فوراً لما راوغوا هذه المراوغات، ولما قاموا بهذه المجادلات وهذه الاستيضاحات، لقد كان بإمكانهم أن يتناولوا آية بقرة ويدبحوها، ويضربوا القتيل ببعضها فيحييه الله ويقول عن قاتله.

إن قصة بقرةبني إسرائيل في سورة البقرة مثال واضح لمراوغة يهود، ودليل بارز على تمكّن هذا الخلق اليهودي البغيض في نفوسهم وحياتهم، وما هي أول مراوغة يقومون بها وليس الأخيرة، فحياتهم حتى عصرنا تقوم على هذه المراوغة وتصطیغ بها.

اليهود مزاجيون

تعامل اليهود مع وحي الله وشرعه، وصلتهم بآنباء الله ورسله،
وموقفهم من جنود الله ورجاله، يقوم على المزاجية والهوى.

إنهم لا يلتزمون بالحق لأنه حق بل لأنه وافق مزاجهم وهوأهم، فإذا
خالفه نبذوه، ولا يؤمنون بالحكم لأنه من عند الله، بل لأنه وافق مزاجهم
وهوأهم، فإذا خالقه كفروا به.

ولا يصدقون النبي لأنه من عند الله، بل لأنه وافق مزاجهم وهوأهم،
وإلا كذبوا أو قتلوا. ولا يسرون مع الصالحين لصلاحهم، بل لأنهم وافقوا
مزاجهم وهوأهم، إلا كذبواهم وأذوهם.

وقد أشارت آيات من كتاب الله إلى هذه المزاجية البغيضة والهوى
اليهودي الشيطاني.

منها قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أُولَئِنَاءُ كَافِرٌ بِهِ، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثُمَّاً قَلِيلًا، وَإِيَّاهُ فَاتَّقُونَ﴾^(١).

وقو تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرَّسُلِ، وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرِيمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقَدْسِ، أَنْكَلَمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهُوِي أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرُتُمْ: فَفَرِيقًا كَذَبْتُمْ، وَفَرِيقًا قَتَلْتُمْ﴾^(٢).

(١) البقرة: ٤١.

(٢) البقرة: ٨٧.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبْعَدُوا قَبْلَكَ،
وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قَبْلَهُمْ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قَبْلَهُ بَعْضٌ، وَلَئِنْ أَتَبْعَدْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ،
وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يُفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخْدَنَا مِثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولاً: كُلُّمَا
جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهُوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتَلُونَ ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى
لِلنَّاسِ، تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفِيُونَ كَثِيرًا ﴾^(٤).

(١) البقرة: ١٤٥.

(٢) المائدة: ٤٩.

(٣) المائدة: ٧٠.

(٤) الأنعام: ٩١.

اليهود مستهزئون

ومن أخلاق اليهود المرذولة: السخرية والاستهزاء، السخرية بالرسول الذي لا يوافق مزاجهم، والسخرية بالصالحين من غير يهود، والاستهزاء بالحق الذي جاءهم به الأنبياء.

ولقد كانوا يستهزئون بالإسلام وقيمه وشعائره، ويستهزئون بال المسلمين وهم يؤدون هذه الشعائر. وقد حذرنا الله من موالة يهود الساخرين المستهزئين بنا وبديننا وشعائرنا وعباداتنا، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوا وَلَعِبَا مِنَ الَّذِينَ أَوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارُ أُولَئِكَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . إِذَا نَادَيْتُمُ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوا وَلَعِبَا، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

إن اليهود اتخذوا دين المسلمين هزواً ولعباً، وجعلوا منه مجالاً للتندر والفكاهة، ولا يفعل هذا إلا إنسان جفت في نفسه معاني الخير والفضيلة، إذ كيف يكون الدين الرباني الحق - الذي يعلم يهود أنه حق من عند الله - موضوعاً للهزء واللعبة والسخرية والاستهزاء؟.

كما اتخاذ اليهود من شعيرة الصلاة وشعيرة الأذان للصلاحة مجالاً للسخرية والاستهزاء، فعندما يسمعون المؤذن ينادي للصلاة تنطلق ألسنتهم الملوثة بالاستهزاء والتندر، وتنطلق حركاتهم المريضة باللعبة والسخرية.

(١) المائدة: ٥٧ - ٥٨.

فكيف يقوم بين مسلم يغار على دينه وبين هؤلاء المستهزئين به نوع من الولاء أو التحالف أو التناصر؟ إن من يفعل هذا من المسلمين يكون قد فقد الحياة والحيوية والإيمان.

هذا وقد غرس اليهود هذا الخلق المرذول في عملائهم من المنافقين - في كل زمان ومكان - فصاروا يستهزئون بال المسلمين في دعوى الإسلام:
﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ، وَيَمْلأُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يُعْمَلُهُون﴾^(١).

(١) البقرة: ١٤ - ١٥.

اليهود خائنوں

الخيانة مرتبطة بالكفر والانحراف، واليهود كافرون منحرفون، بدون خلق أو فضيلة، والخيانة مرتبطة باليهود، متأصلة فيهم، عميقه في أطواء نفوسهم، وهم رسل الخيانة وحملاتها وناشروها بين الناس.

وقد أخبرنا القرآن عن خيانة اليهود وتتجددتها فيهم بقوله: ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّثْلَهُمْ لَعَنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً، يَحْرُفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًا مَا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تزالُ تُطْلَعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًاٰ مِّنْهُمْ﴾^(۱).

ويامعان النظر في الآية نرى فيها ما يلي :

۱ - تدلنا على سبب تأصل الخيانة فيهم المشار إليه بباء السبيبة ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِّثْلَهُمْ لَعَنَاهُمْ﴾ فنقضهم لميثاقهم مع الله هو السبب في الأخلاق المرذولة والجرائم الشنيعة والخيانات المتكررة، وهذه حقيقة فإن الوفاء بالعهد والميثاق مع الله هو صمام الأمان من الانحرافات والآفات، وإن من تجرأ على الله فنقض عهده معه يهون عليه أن يخون البشر وينقض عهده معهم.

۲ - تطلعنا الآية على سلسلة من رذائل يهود، وهي سلسلة متصلة بالحلقات : نقض العهد، وتحريف الكلم، ووقوع الخيانات . وهذا يدل على سلاسل العيوب والرذائل ، وأنها تتولد عن بعضها البعض .

(۱) المائدة: ۱۳.

٣ - تخبرنا الآية عن تحقق عقوبة الله على يهود بسبب عيوبهم ورذائلهم ، وهذه هي سنة الله في حياة الإنسان ، إن من باع نفسه للشيطان ووقع في المفاسد والعيوب ، يوقع الله به ما يرتبه على ذلك من العذاب والعقاب . فاليهود لمن وقعوا في معااصيهم عاقبهم الله بآن لعنهم وطردهم من رحمته ، ثم ألمت هذه اللعنة قسوة غليظة لقلوبهم .

٤ - تخبرنا الآية بأن خيانات يهود متكررة متجلدة مستمرة ﴿ ولا تزال تطلع ﴾ والخطاب فيها لرسول الله ﷺ الذي كان يطلع في كل وقت على خيانات يهود: بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريطة، ويهود خمير وفذك وتيماء، والخطاب موجه لكل مسلم أينما كان يدعوه لينظر في حياة اليهود بعينين مفتوحتين ليطلع منها على خياناتهم المتكررة المستمرة ، والخطاب موجه كذلك لكل ناظر في التاريخ ودارس لأحداثه ووقائعه ليطلع ويلحظ خيانات يهود المتكررة .

٥ - ونأخذ من الآية أن خيانات يهود شاملة لكل النواحي والجوانب والأشكال وال المجالات ، مثلما هي مستمرة في الزمان والمكان ، ونأخذ هذا من كلمة «خائنة» وتطبيق قاعدة هامة عليها .

إن القاعدة تقول: حذف المعمول يفيد العموم . وهنا معمول خائنة محذوف حتى يذهب الذهن والخيال فيه كل مذهب .

هم خائنون مع أنبيائهم ، وهم خائنون مع المسلمين ، وهم خائنون مع حلفائهم ، وهم خائنون مع عملائهم ، وهم خائنون مع أعدائهم .

وأنت تطلع في كل وقت على خائنة منهم: خائنة في أقوالهم ، وخائنة في حركاتهم ، وخائنة في أعمالهم ، وخائنة في عهودهم ومواثيقهم ، وخائنة في ارتباطاتهم وتحالفاتهم ، وخائنة في معادادتهم ومفاوضاتهم .

٦ - وصدق الله العظيم فإن الآية تطبق على واقعنا المعاصر تماماً ، فإن يهود هم شياطين الخيانة ، وأنهم يقومون بكل لحظة بخيانة بل خيانات ، وإن

الناظر يعجب من استمرارية مفهوم الآية ﴿وَلَا ترَالْتَهُ﴾ ومن توجيهها
النظر لكل من يمكنه النظر أينما كان.

وبعد هذا يخدع بعض السُّلْجُون من العرب والمسلمين بعهود يهود
ومواطيقهم، ويظن الساذج منهم أن يهود قد استقاموا وتخلوا عن خياناتهم،
ولكن الآية تطالبه بفتح عينيه وتقول له: ﴿وَلَا ترَالْتَهُ﴾.

اليهود ضالون مضللون

يخبرنا القرآن أن يهود قد ضلوا عن الصراط المستقيم، ثم حرصوا على أن يضلوا الآخرين ليشاركونهم ضلالهم وضياعهم.

قال تعالى: ﴿ وَدُّت طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَضْلُّنَّكُمْ، وَمَا يَضْلُّنَّ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾^(١).

ويقرر القرآن أن يهود ضالون ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفَّارًا لَّنْ تَقْبِلْ تَوْبَتِهِمْ، وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِّونَ ﴾^(٢).

وبين القرآن ما ترتب على ضلال يهود من إضلالهم للآخرين بقوله: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلِبُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَا تَبْعِدُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلَّلُوا مِنْ قَبْلِكُمْ، وَأَضْلَلُوا كَثِيرًا، وَضَلَّلُوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾^(٣).

إن يهود ضالون، فهم قد ضلوا وأمعنوا في الضلال واستمروا فيه، وتحول هذا إلى خلق دائم وفعل مستمر، لاحظ القصر والتحديد والتوكيد في قوله: ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِّونَ ﴾.

أما السبب في ضلالهم فهو أنهم كفروا بعد إيمانهم، وأمعنوا في الكفر حتى ازدادوا منه كفراً.

(١) آل عمران: ٦٩.

(٢) آل عمران: ٩٠.

(٣) المائدة: ٧٧.

وإن يهود في ضلالهم متبعون لضالّين سابقين، موافقون لهم في أهوائهم، فالهوى هو الذي جمع بينهم وبين السابقين الضالّين، إن من يقتدي بالضال يقع في الضلال، وإن من يتبع الضال يكون مثله ضالاً، ويتحوال الضلال عنده إلى خلق دائم.

وإن يهود لم يكتفوا بضلالهم - وهو جريمة شنيعة - وإنما انتقلوا منه إلى خلق أرذل وجريمة أشنع، فحرصوا على إضلال المهددين المؤمنين، وإبعادهم عن الحق الذي هم عليه، ليشاركوا يهود في حياتهم ومصيرهم، ويستووا معهم في ضلالهم.

إن قوله تعالى: «قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً» يكشف لنا عن طبيعة الضالّين وثمرة ضلالهم، حيث يريدون أن يكون الجميع مثلهم، ولهذا يفسدونهم ويضللونهم.

إن يهود ضالّون، وإن الضلال خلق يهودي دائم، وإن الإضلال هو رسالة يهود في العالم، وهي أبرز ما تكون في هذا العصر.

اليهود تُجَار فُجَار

اليهود تُجَار في كل أنواع التجارة الباطلة الحرام. إنهم يتاجرون بالعقائد والأديان، ويتجرون بالقيم والمبادئ، ويتجرون بالحق والخير، ويتجرون بالأعراض والفضائل، ويتجرون بالناس والبلدان، ويتجرون بالعهود والمواثيق.

وقد بَيِّن لنا القرآن هذا الخلق اليهودي التجاري في كثير من آياته، وأرشدنا إلى أبشع ألوان تجارتهم وأشنعها.

إنهم يتاجرون بآيات الله، ويساومون عليها ويدلّون، ويشترون بها ثمناً قليلاً. ويحرّفونها لمن يريد، و يجعلون من الحرام حلالاً ومن الحلال حراماً، وقد حذّرهم القرآن من هذه التجارة المرذولة بقوله: ﴿وَلَا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً، وإيابي فاتقون﴾^(١).

ومَنْ هو الذي يتاجر بآيات الله، ويجرؤ على أن يبيعها مقابل ثمن قليل إلا اليهود.. كل ثمن يقبضه الناجر الملعون مقابل آيات الله فهو قليل، وإن كان آلاف الدنانير أو ملايينها، بل لو كانت الدنيا كلها.

وقد أنكر القرآن على يهود هذا التلاعب بآيات الله وتحريفها والمتجارة بها: ﴿فَوَيْلٌ للذين يكتبون الكتاب بآيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾

(١) البقرة: ٤٠.

لِيَشْتَرُوا بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا، فَوَيْلٌ لَهُمْ مَا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مَا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾.

وقد أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يكونوا دائمًا مع الله، داعين إليه، مبينين لحكمه ودينه، وحذرهم من النقض والكتمان، ونهاهم عن المتاجرة بكتابه وبيعه بشمن بخس. لكن اليهود تجأر في كل شيء حتى في عهد الله: «وَإِذْ أَخْذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسَ وَلَا تَكْتُمُوهُنَّ فَبِنْدُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرُوا بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا، فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ» ^(٢).

ومتي فعل اليهود هذا؟ ومتي أقدم أحبارهم على هذا؟ إنه بعد تحذير الله لهم من المتاجرة بعهده «فَلَا تَخْشُوا النَّاسَ وَالْخَوْنَ، وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثُمَّاً قَلِيلًا» ^(٣).

ويعتقد يهود أنهم بهذه المتاجرة بعهد الله وشرعه يحسنون صنعاً، وأنهم يتصرفون بالفطنة والحكمة وحسن التدبير وبعد النظر. لكن القرآن يقرر عكس ذلك عنهم، إنهم عندما باعوا الحق وقبضوا ثمنه إنما باعوا أنفسهم للباطل والكفر والشيطان. «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَهُ مَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقِهِ، وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» ^(٤)، ومعنى شروا به أنفسهم: باعواها عندما باعوا الحق والهدى وقبضوا ثمنها سحتاً قليلاً، وليس لهم في الآخرة من نصيب.

ومن هو ذلك التجار المغفل الذي ينسى نفسه في غمرة البيع واللهفة على المال والربح فيجعلها ضمن السلعة المباعة، ويقدمها للبائع عربون الصفقة؟ وهذا البائع هو الشيطان الملعون الغادر؟ من يفعل ذلك إلا أن يكون تاجراً يهودياً جشعًا، أو مقتبساً لهذا الخلق البغيض من يهود التجار الجشعين.

(١) البقرة: ٧٩.

(٢) آل عمران: ١٨٧.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) البقرة: ١٠٢.

ويغضضنا القرآن بهذه الصفة اليهودية التجارية البغيضة، ويدعونا إلى أن تتعجب من صنيعهم العجيب حقاً ﴿بَشَّمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِغَيْرِ أَن يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، فَبَاعُوا بِغَضْبٍ عَلَى غَضْبٍ، وَلِلْكَافِرِ عَذَابٌ مَهِينٌ﴾^(١).

ما هو الذي قبضوه ثمناً لأنفسهم التي باعواها، وما هو الذي اشتروه؟ إنه الكفر ﴿أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِغَيْرِ أَنْ يُنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. وهل يشقى الإنسان ويتعجب وينصب لبيع نفسه في آخر الأمر مقابل الكفر؟ وهل للकفر قيمة شرائية؟ وهل يستحق أن يدفع فيه فلساً واحداً، وأيّ عاقل يقبل أن يشتريه بهذا الفلس؟ إن اليهود لم يشتروه بفلس ولا دينار ولا ألف؟ إنما اشتروه بأنفسهم التي من أغلى ما يملكون!! ولتعجب البشرية من هذه الصفة اليهودية الباطلة، والتجارة اليهودية الخاسرة!!.

إن اليهود يتاجرون بالحق والخير، ويبيعون عهد الله وميثاقه وشرعه، فماذا لهم يوم القيمة؟ يجيبنا القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعِهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ ثُمَّاً قَلِيلًاً أُولَئِكَ لَا خَلَقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَكُلُّهُمُ اللَّهُ، وَلَا يُنْظَرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكَّيْهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢).

باعوا أنفسهم للشيطان فلا نصيّب لهم من الخير والرحمة يوم القيمة، فطالما اشتروا الكفر في الدنيا فسيأخذون يوم القيمة غضب الله ولعنته وعذابه، والجزاء من جنس العمل، وكما تدين تدان!!.

اليهود بهذه التجارة الخاسرة البغيضة عبيد دنيا، اشتروا الدنيا بما فيها من فجور وحرام وشهوات، مقابل الآخرة والجنة بما فيها من لذة ونعم ورضوان. باعوا الآخرة الدائمة الباقي مقابل لحظة في هذه الدنيا الفانية، وعمر الدنيا كلها لا يساوي شيئاً بالقياس إلى الآخرة، فكم يساوي عمر يهودي

(١) البقرة: ٩٠.

(٢) آل عمران: ٧٧.

خاسر لا يتجاوز عشرات السنين؟ ﴿أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا
بالآخرة، فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينتصرون﴾^(١).

هؤلاء هم اليهود، وهذه هي تجارة اليهود، وهذا هو خلق اليهود: إنهم تجار يتاجرون بالهدى والإيمان والحق والشرع، وهم أول من جعل هذه الحقائق والقيم الثمينة العزيزة النفيسة - التي لا تقدر بثمن، والتي لا تصلح الدنيا وما فيها ثمناً لها - سلعة تجارية وعرضوها للبيع، وساوموا عليها وباعوها، وحصلوا ثمناً لها الكفر والضلاله والشقاء، وغضب الله وعذابه وناره.

واقتدى تجار آخرون باليهود، وصاروا يتاجرون بالدين والهدى، وباعوه بثمن بخس قليل، وأخذوا هذا الثمن عذاباً وشقاء.

ولقد حذرنا القرآن من هذا الخلق التجاري، بأن بين لنا هؤلاء التجار الخاسرين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكِلُونَ فِي بَطْوَنِهِمْ إِلَّا النَّارُ، وَلَا يَكْلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَزْكُّهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُ الْضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ، فَمَا أَصْبَرُهُمْ عَلَى النَّارِ﴾^(٢).

ما أكثر غباءهم وما أبلغ خسارتهم، وبالبس تجارتهم، وبالطول صبرهم على النار وعذابها الدائم !!.

(١) البقرة: ٨٦.

(٢) البقرة: ١٧٤ - ١٧٥.

اليهود سفهاء

يخدع اليهود البشرية، فيوهمونها أنهم حكماء عقلاً، وأنهم أساتذة العلم، وصنّاع الحضارة، وحماة المعرفة، وحرّاس الحق والدين، ورسل الخير والعدالة، إلى غير ذلك. وتنطلي الحيلة على بعض السُّلْجُون من الناس، ويخدعون بهذه الإشاعات والأغاليط اليهودية، ويظنون أنهم كذلك.

لكن الحقيقة هي عكس ذلك تماماً. إن اليهود سفهاء وليسوا حكماء، وإنهم أغبياء وليسوا عقلاً، فالحكيم الذي يعرف كيف يسعد نفسه ويقيها العذاب، والعاقل الذي يسعى لصلاح دنياه وأخرته، والمُهود ليسوا كذلك.

وقد اعتبرهم القرآن سفهاء، فلماذا لا نعتبرهم نحن كذلك؟ وقد سحب عليهم هذا الخلق المرذول وبين تمكّنه من نفوسهم وحياتهم، ولا أصدق من القرآن في هذا التحليل.

قال الإمام الراغب في معنى السفة: (السَّفَهَ خَفَّةٌ فِي الْبَدْنِ. وَاسْتَعْمَلَ فِي خَفَّةِ النَّفْسِ لِنَقْصَانِ الْعُقْلِ، وَفِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْأُخْرَوِيَّةِ) ^(١).

يهود سفهاء لأنهم رغبوا عن ملة إبراهيم عليه السلام الذي يزعمون انتسابهم الديني له ووراثتهم الدينية لرسالته، وهم كاذبون في هذا الزعم، إن من لوازم هذه الوراثة قبول ملة إبراهيم عليه السلام، والدخول في دينه وهو الإسلام خاتم الأديان والرسالات، واتباع محمد ﷺ، فهو دعوة إبراهيم عليه

(١) المفردات: ٢٣٤.

السلام، فَمَنْ كَذَبَ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدْ رَغَبَ عَنْ مِلَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَفَضَهَا، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ السَّفِيهُ.. قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبَ عَنْ مِلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ ﴾^(١).

ويهود سفهاء لأنهم يرفضون الإسلام، ويثيرون الشبهات والإشاعات ضد تعاليمه وشعائره وأحكامه: ﴿ سِيَقُولُ الْسَّفَهَاءُ مَا لَأَهْمَنْ عَنْ قَبْلِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا؟ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾^(٢).

وقد انطلق يهود في إشاعاتهم وشبهاتهم بعدما حُوِّلت قبلة المسلمين في المدينة من بيت القدس إلى الكعبة، وصاروا يشكّبون المسلمين في دينهم، فنزلت هذه الآية تنكر عليهم فعلتهم وتسجل عليهم هذا السفة والخفة والطيش. ولا يقول السفيه إلا سفهاً، ولا يتصرف إلا بسفه.

(١) البقرة: ١٣٠.

(٢) البقرة: ١٤٢.

اليهود أذلاء

الذلة ملزمة لليهود طيلة حياتهم، فهم أذلاء عندما كانوا في مصر، وعندما وصلوا فلسطين، وعندما أخرجوا من فلسطين، وعندما تفرقوا في بقاع الأرض.

ويهمنا هنا - في معرض حديثنا عن أخلاق يهود - أن نشير إلى هذه الذلة باعتبارها خلقاً يهودياً مستقرأً، وانحرافاً يهودياً مدمرأً. أما الذلة كسمة من سمات تاريخهم، وصفة من صفات وجودهم، وقاعدة من قواعد حياتهم، فنرجىء الحديث عنها إلى حينه إن شاء الله.

لقد اكتسب يهود هذا الخلق - الذلة - من ملابسات حياتهم، ومن ما وقع عليهم من تعذيب واضطهاد وتشريد.

كانوا في مصر يعيشون أذلاء تحت حكم فرعون، وما أصدق وصف القرآن لإذلال فرعون لهم: ﴿إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فَرْعَوْنَ يَسْوِمُونَكُمْ سَوْءَ الْعَذَابِ، يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ، وَيَسْتَحِيُونَ نِسَاءَكُمْ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾^(١).

ومن أسباب ذلكم التي لازمتهم عصيانهم لأوامر ربهم، وكفرهم به، وعبادتهم العجل من دون الله، كما قال القرآن عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا

(١) البقرة: ٤٩.

العجل سينالهم غصبٌ من ربهم وذلةٌ في الحياة الدنيا ﴿١﴾.

ومن مظاهر ذلّتهم رفضهم للعزّة والكرامة، واستبعادهم للطعام والشراب والملذات: «إِذْ قَلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجُ لَنَا مَا تَبَتَّ أَرْضُ مِنْ بَقْلَهَا وَقِنَائِهَا وَفَوْمَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصْلَهَا، قَالَ أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالذِّي هُوَ خَيْرٌ، اهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَبَاعُوا بَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢﴾.

هم أذلاء لأنهم كفروا بالله، وقتلوا أنبياءه، وعصوا رسليه، واعتدوا على حرماته، وهكذا كل ذليل. وهم أذلاء، لذلك طلبوا الشهوات والملذات وأصبحوا عبيداً لها، وهكذا كل ذليل.

(١) الأعراف: ١٥٢.

(٢) البقرة: ٦١.

اليهود جبناء

والجبن ملازم للذل، فكل ذل يتبع جبناً، وكل ذليل هو بالضرورة جبان، فلو لم يكن ذليلاً لما خاف وجبن.

واليهود الذين عاشوا عمرهم أذلاء جنوا ثمار هذا الذل المرّة: جبناً، وخوفاً، ورعباً، وكان الجبن سمة بارزة من سماتهم، وخلقها مرتداً متأصلاً فيهم وقاعدة عامة دائمة لحياتهم في كل تاريخهم.

ونشير إلى ثلاثة مواطن من تاريخهم وضح فيها جبنتهم بصورة خارجية عملية، وذلك من باب الاستشهاد والتلميذ لما نقول وليس من باب الحصر بكل تاريخهم جبن.

جبنتهم عن دخول الأرض المقدسة:

الموطن الأول: جبنتهم أمام تكليف موسى عليه السلام لهم بدخول الأرض المقدسة، حين قال لهم: «يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين». قالوا: يا موسى إنَّ فيها قوماً جبارين، وإنَّا لن ندخلها حتى يخرجوا منها، فإنَّ يخرجوا منها فإنَّا دخلون، قال رجلان مِنَ الذين يخافون أنْعَمَ اللهُ عليهمَا: ادخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه فإنَّكم غالبون، وعلى الله فتوكلوا إنْ كنتم مؤمنين». قالوا

يا موسى إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبْدًا مَا دَامُوا فِيهَا، فَادْهُبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا هَا هَا
قَاعِدُونَ ﴿١﴾.

أَخْبَرْهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ اللَّهَ كَتَبَ لَهُمُ الْأَرْضَ الْمَقْدِسَةَ - إِلَى
حِينَ - وَضَمَّنَ لَهُمُ الْإِنْتِصَارَ عَلَى الْكَافِرِينَ فِيهَا، وَحَذَّرَهُمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ
وَالْخُوفِ وَالْجُنُبِ، وَرَسَّمَ لَهُمْ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّجَاعَانَ الطَّرِيقَةَ الْمُضْمُونَةَ
لِلْإِنْتِصَارِ: ادْخُلُوهُمُ الْبَابَ .. وَعَلَى اللَّهِ تَوْكِلُوا.

لَكُنَّ الْيَهُودَ جِبَنَاءَ خَائِفُونَ لَا يَجْرُؤُونَ خَوضُ مَعرِكَةٍ وَلَا تَنْفِذُ أَمْرُ اللَّهِ
بِالْجَهَادِ. وَهُنَا صَارُ جِبَنَاهُمْ يَتَكَلَّمُونَ، وَيَبُرُّونَ الْحَجَّاجَ وَالْأَعْذَارَ الْوَاهِيَّةَ، فَإِذَا أَخْرَجُ
وَلَمْ يَبْقَ لَهُ عَذْرٌ فَلَيَتَوَقَّعُوا وَلَيَشْتَمِّ التَّكْلِيفَ وَصَاحِبَهُ، وَمَا أَكْثَرُ وَقَاتِلَةَ الْجِبَانِ،
وَمَا أَسْلَطَ لِسَانَهُ بِالشَّتَائِمِ: إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ. إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا
مِنْهَا، إِنَّا لَن يَخْرُجُوا مِنْهَا إِنَّا دَاهِلُونَ. وَجِبَنَاهُمْ يَرِيدُونَ أَعْدَائِهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا هُم
مِنَ الْبَلَادِ لِيُسْلِمُوهُمْ لِيَهُودَ. وَلَا حَظَ الدَّقَّةِ وَالْحُكْمَةِ فِي إِسْنَادِ الْفَعْلِ إِلَيْهِمْ وَبِنَائِهِ
لِلْمَعْلُومِ «يَخْرُجُوا» بَدْلَ بَنَائِهِ لِلْمَجْهُولِ؟! مَنْ هُوَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَرْضِهِ وَبِلَادِهِ
رَاضِيًّا مُخْتَارًا بِدُونِ حَرْبٍ وَلَا قَتْلٍ وَلَا هَزِيمَةً لِيُسْلِمُهَا لِأَعْدَائِهِ؟ أَيْ عَاقِلٌ يَظْنُ
هَذَا أَوْ يَتَصَوَّرُ هَذَا؟ إِلَّا أَنْ يَكُونَ جِبَانًا، وَجِبَنَهُ يَدْعُوهُ إِلَى هَذَا الظُّنُنِ السَّاذِجِ
الْأَبْلَهِ؟! الْيَهُودَ الْجِبَنَاءَ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ هَذَا !! أَمَا فِي زَمَانِنَا إِنَّ الْعَرَبَ الْجِبَنَاءَ
- الَّذِينَ أَخْذُوا هَذَا الْجِبَانَ عَنِ الْيَهُودِ - يَتَوَقَّعُونَ هَذَا وَيَظْنُونَهُ، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّ
فَلَسْطِينَ أَوْ جَزْءًا مِنْهَا - جَزْءًا مِنَ الضَّفَةِ الْغَرْبِيَّةِ - سَتَعُودُ لِلْعَرَبِ عِنْدَمَا يَخْرُجُ
يَهُودُ مِنْهَا، يَخْرُجُونَ بِاِخْتِيَارِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ وَلَيْسَ بِقَاتَالِهِمْ وَهَزِيمَتِهِمْ !!.

وَلَمَّا ضَاقَتِ السُّبْلُ فِي وَجْهِ يَهُودِ الْجِبَنَاءِ تَوَقَّعُوا وَشَتَّمُوا، قَالُوا يَا مُوسَى
إِنَّا لَن نَدْخُلَهَا أَبْدًا مَا دَامُوا فِيهَا. وَلَا حَظَ الْمُؤْكَدَاتِ فِي قَوْلِهِمْ: لَنِ ..
وَأَبْدًا .. فَإِذَا كُنْتَ صَادِقًا فِي أَنَّ اللَّهَ كَتَبَهَا لَنَا، وَكُنْتَ جَادًا فِي إِدْخَالِنَا إِلَيْهَا،
فَادْهُبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، إِنَّا هَا هَا قَاعِدُونَ. قَاتِلَا عَنَّا وَنَحْنُ نَأْخُذُ الثَّمَنَ
وَنَدْخُلُهَا !!

(١) المائدة: ٢١ - ٢٤.

والحظ من هذه الجملة أمراً ملFTAً للنظر وذا دلالة خاصة على جبن يهود في الحروب، إنهم لا يريدون أن يحاربوا، ولا يحسنون الحرب، ومع ذلك هم حريصون على إشعال الحروب وإيقاد نارها في كل حين، لكن وقودها من غيرهم. إنهم يرسمون الحروب ويخططون لها بمكر شيطاني خبيث، ثم يوقعون الشعوب الأخرى فيها، فتدفع هي تكاليفها، وتقدم لها الوقود الكافي من الأموال والأسلحة والرجال والدماء والضحايا والآلام، وعندما تنتهي هذه الحرب يتقدم يهود المتفرجون الجبناء لقطف الثمرة وجنى الربح والاستحواذ على مكاسبها ومقانعها. الآخرون يحاربون ويدفعون الثمن ويهود يجذون الأرباح والتائج!!.

وهكذا معظم الحروب، إن وراءها مكر اليهود وتخطيطهم، واليهود هم أكثر المستفيدين منها وأوفرهم ربحاً، وما الحربان العالميتان عنّا ببعيدتين، ولقد بين المؤرخون الثقات طرفاً من المكر اليهودي فيهما والجني اليهودي منها.

والعجب هنا كذلك أن بعض العرب المعاصرین أخذوا هذا الجبن من يهود، وصاروا يطالبون المسلمين بحرب يهود وحدهم وإخراجهم من فلسطين، ولسان حالهم يقول: اذهبوا أنتم وربكم فقاتلوا، إننا هاهنا قاعدون.

جبنهم عن القتال مع طالوت:
ويعرض لنا القرآن حادثة أخرى من تاريخبني إسرائيل يتجلّى فيها جبنهم بأوضح صورة، إنها قصتهم مع ملكهم طالوت.

وقد عرضت سورة البقرة موجزاً لهذه القصة، وأشارت فيها إلى سمات بارزة من أخلاق يهود^(١).

وسبق أن أشرنا إلى موجز هذه القصة فيما سبق^(٢)، ويهمنا هنا أن

(١) البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١.

(٢) انظر صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب.

نسجل ملامح جبن يهود كما تبدو منها.

جَهَّزَ طالوت جيشه من المتحمسين الراغبين في الجهاد، الحر يصين على دحر الأعداء والانتصار عليهم، المتشوقين للقتال والاستشهاد، وسار به لمواجهة جيش عدوه «جالوت»، وأراد طالوت أن يمتحن عزيمة وقوة قومه، وأن يربّيهم على الصبر والتحمل والمجاهدة، فلما توجهوا إلى النهر أمرهم أن لا يشربوا منه شيئاً وافراً بالغاً، وأجاز لكل منهم أن يغترف منه غرفة بيده، وقال لهم: ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَسْتَهِنَّ بِهِ وَمَنْ لَمْ يُطْعَمْ فَإِنَّهُ مِنِّي، إِلَّا مَنْ أَغْرَى فَغُرْفَةً بِيَدِهِ﴾.

ولكن ماذا سيفعل يهود؟ هل يتزمون بأوامر وتوجيهات ملكهم الصادق؟ كلا. إن المخالفة وارتكاب المحظور سمة بارزة من سمات يهود ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ... إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾.

وسار طالوت بالقلائل الذين انتصروا على نفوسهم ولم يشربوا من النهر إلا غرفة، وأصبح هؤلاء أمام جيش طالوت.

ولما رأوا جيش طالوت الضخم الكبير برز الجبن الكامن في نفوسهم - باعتباره خلقاً يهودياً دائماً - على ملامحهم، وأوقع بهم الضعف واليأس والهلع والهزيمة، وتكلم جبنهم على أستتهم فقالوا لقائهم طالوت: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا يَوْمَ بِجَالُوتٍ وَجَنُودِهِ﴾.

هم الذين ملأوا دنياهم صيحاً وهتافاً للجهاد وحماساً له، وصرفوا من العهود والمواثيق للثبات فيه، وهم الذين يعلمون قوة عدوهم وعدده، وهم أبطال شجعان في الأمانات والأحلام ووعود الكلام، ولكنهم في الواقع والميدان جبناء عن المواجهة.

ولولا بقية من إيمان ورجولة وثبات عند بعض اليهود زمن طالوت، ولو لا هؤلاء الذين يظنون أنهم ملائكة الله لُهُزِمَ جيش طالوت وانتصر خصمه جالوت. لكن القلة القليلة المؤمنة من بنى إسرائيل في الجيش هي التي

أنقذت الموقف - والقلة المؤمنة دائمًا هي التي تنفذ الموقف وترفع الراية وتقود للنصر - فتوكلوا على الله وقالوا: ﴿رَبُّنَا أَفْرَغَ عَلَيْنَا صِرَاطًا، وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ .

ولما علم الله صدق القلة المؤمنة وجهادها وثباتها منّ عليها بالنصر ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَقُتِلَ دَاؤُدُّ جَالُوتُ﴾ .

جين اليهود عن قتال الرسول وأصحابه:

أما الحادثة الثالثة التي عرضها القرآن عن جين يهود - من جملة حوادث كثيرة - فإنها مأخوذة من تاريخهم مع رسول الله ﷺ، ومحاربته لهم. إنها تلك المتعلقة بيهود بنى النضير وإجلاء الرسول عليه الصلاة والسلام لهم.

نقض يهود بنى النضير عهدهم مع رسول الله ﷺ - وهذا طبيعة ثابتة في أخلاق يهود - وجّهَ الرسول عليه السلام جيشاً لمحاصرتهم، واحتُمَّ اليهود داخل حصونهم، ورفضوا الاستسلام، واتصل بهم المنافقون من المدينة ووعدوهم النصرة والتأييد وطلبوها منهم الثبات حتى يأتياهم مدد المنافقين.

ولم يقدم لهم المنافقون شيئاً، واضطروا أن ينزلوا على حكم رسول الله عليه الصلاة والسلام، فحكم عليهم بالإخراج من بيوتهم وترك أراضيهم وبيوتهم للمسلمين، وشرط عليهم أن لا يحملوا معهم إلا ما حفظ حمله، وتم إجلاؤهم من المدينة وتفرقوا في خير وفلك وتيماء والشام.

ونزلت آيات من سورة الحشر تشير إلى هذه الحادثة، وتبّرّز فيها تأصل الجين في النفسية اليهودية، وتسجل العديد من الدروس والدلائل.

من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوْلَى الْحُشْرِ، مَا ظَنَّتُمُّ أَنْ يَخْرُجُوا، وَظَنَّوا أَنَّهُمْ مَا يَعْتَمِدُونَ حَصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حِيثِ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمْ

الرعب، يُخْرِبُونَ بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأ بصار﴾ (١).

وفي الآية لطائف وإشارات ودلالات عديدة، لن نعرض لها بالتفصيل - لأننا لا نتوسع في هذا البحث في تفسير القرآن خشية الخروج عن الموضوع - وإنما نشير إلى أبرزها:

١ - إن يهود ما كانوا يعتمدون على قوتهم الذاتية، ولا يرکنون إلى طبيعتهم الجهادية، فهم فقراء في الناحيتين، وإنما اعتمادهم على حصونهم المنيعة ورکونهم إلى ما فيها من حجارة وتراب، وهكذا يفعل الجناء، فهم عندما يفقدون القوة الذاتية يحاولون تعويضها بالظاهر المادية من حولهم، ولهذا وصف القرآن جنهم بقوله: ﴿وَظَنُوا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ حَصُونَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾. وظن يهود هذا ليس على ظاهره - الحدس والشك والتوقع - وإنما هو بمعنى اليقين الجازم القاطع، ومما يدل على هذا معمول «ظن» الذين هو الجملة الاسمية، حيث أكدت بمختلف المؤكّدات التي تدل على الاعتقاد الجازم اليقيني الثابت، والمؤكّدات هي: أن التوكيدية، وضمير الفصل «هم»، واسم الفاعل «مانعهم» الذي يفيد الثبات والاستقرار، وتقديمه على الحصون - والأصل أن يؤخر عنها «حصونهم مانعهم» - ورفعه للحصون وكونها عموماً له، لأن «حصونهم» في الآية فاعل لاسم الفاعل «مانعهم».

٢ - إن الله حarb يهود المحاصرين بوسيلة عجيبة، أبقى لهم حصونهم كما هي، وأناهم من حيث لم يحتسبوا ولم يظنوا ولم يتوقعوا، أتأهّم من قلوبهم وقدف فيها الرعب!! إن الله يعلم أهمية الإرادة والإيمان والثبات عند المقاتلين، وإن مناعة القلوب في المعركة أولى وأهم من مناعة الحصون ومتنانة الأسلحة، ويعلم أن يهود جبناء لا تصمد قلوبهم على المواجهة، فقدف فيها الرعب.

(١) الحشر: ٢.

٣ - من اللطائف العجيبة في «وقذف في قلوبهم الرعب» أنها توحى لنا بالقذائف الصاروخية الموجهة من الجو إلى القلوب، وهذا يناسب السياق، حيث يهود يحتمون بحصونهم فلا تخترقها الأسلحة العادبة، ولهذا لا بد من قذائف من فوق الحصون لتدخل القلوب وكأني بهذه القذائف تدخل قلوب يهود فتتفجر فيها وتتششر وتشطر وتمتد حتى تملأ هذه القلوب، وهذا من معاني الرعب في اللغة حيث يفيد الامتلاء.

٤ - وماذا حصل للحصون المنيعة بعد أن امتلأت قلوبهم بقذائف الرعب، إنها لم تعد حصوناً منيعة، وإنما تحولت إلى بيوت، مجرد بيوت لا تحمي أصحابها: «يُخْرِبُونَ بيوthem بأيديهم وأيدي المؤمنين». لماذا عدل القرآن عن كلمة «حصون» إلى كلمة «بيوت»؟ وما الذي تغير في هذه الحصون حتى صارت بيوتاً؟ إنها هي هي لم يتغير شيء في حجارتها ولا بنيانها، ولكن التي تغيرت هي إرادة وعزيمة وثبات الذين بداخلها، إن نظرة اليهود لحصونهم هي التي تغيرت، نتيجة الرعب الذي ملا قلوبهم، لقد سيطر الجن عليهم وتمكن من قلوبهم، فما عادوا يعتمدون على حصونهم ولا يرکون إليها، إنها الآن نتيجة للجن والرعب ليست إلا بيوتاً عادية.

٥ - ونسجل لفتة لطيفة من قوله «يُخْرِبُونَ» هذا الفعل المضارع المخفف، إنه لم يقل «يُخْرِبُونَ» بالتشديد لأنه لا يناسب الوضع الجديد للحصون - أعني البيوت - إنما المناسب لها هو هذا الفعل بدون تشديد. إن الحصون نتيجة الجن والخوف والرعب تحولت إلى مجرد بيوت، بيوت ضعيفة متهاوية توشك أن تسقط وتخرب، ولهذا لا تحتاج إلى جهد في تخربيها، ولا حركة مضاعفة في نقضها، ولا شدة في هدمها، إنها أضعف وأهون من هذه الحركات الشديدة، ولهذا جاء الفعل عادياً مخففاً لخفة هذه البيوت وهوانها على أصحابها.

أما عن جن يهود الدائم، وجن أعواهم وعملائهم من منافقي المدينة عن نجدتهم ونصرتهم فقد أخبرنا القرآن قائلاً: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا

يقولون لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : لَئِنْ أَخْرَجْتُمُ لِنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ،
وَلَا نُطْبِعُ فِيهِمْ أَحَدًا أَبْدًا ، وَإِنْ قُوْتَلْتُمْ لِتُتَصْرِّنُكُمْ ، وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ .
لَئِنْ أَخْرَجْتُمُ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ ، وَلَئِنْ قُوْتَلُوا لَا يُنَصَّرُونَهُمْ ، وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ
لِيَوْلَنَّ الْأَدِبَارَ ثُمَّ لَا يُنَصَّرُونَ . لَأَنَّمَا أَشَدُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ، ذَلِكَ
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ . لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيَةٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءَ
جُدُرٍ ، بِأَسْهَمِ بَيْنِهِمْ شَدِيدٌ ، تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
يَعْقُلُونَ ﴿١﴾ .

ونوجز الإشارة إلى بعض لطائف الآيتين الأخيرتين من هذه المجموعة :
إنهم تعرضان جبن يهود وعملائهم من المنافقين ، وتسجلان مظاهر هذا
الجبن الخارجية ، وتعللان وجوده فيهم وتبينان أسباب تمكّنه منهم :

إنهم يَرْهَبُونَ الْمُؤْمِنِينَ أَكْثَرَ مِنْ رَهْبَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ ، وَتَمْتَلِئُ صُدُورُهُمْ
خُوفًا وَرَهْبَةً وَخُشْبَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَمْتَلِئُ رَهْبَةً وَخُشْبَةً وَخُوفًا مِنَ اللَّهِ !!
وَهَكَذَا كُلُّ الْجَبَنَاءِ ، لَا يَرْهَبُونَ اللَّهَ وَلَا يَسْتَحِيُونَ مِنْهُ وَلَا يَقْدِرُونَهُ حَتَّى قَدْرُهِ .

وَإِنَّ الْيَهُودَ وَالْمُنَافِقِينَ لَا يُقَاتِلُونَ الْمُسْلِمِينَ مَجَمِعَيْنَ ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ
جَمِيعًا ﴾ - وَجَمِيعًا حَالٌ ، وَصَاحِبُ الْحَالِ يُمْكِنُ أَنْ يَعُودَ عَلَى الْفَاعِلِ وَهُمْ
الْيَهُودُ ، أَوْ الْمُفْعُولُ بِهِ وَهُمُ الْمُسْلِمُونَ - فَهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَمَا يَكُونُونَ
الْمُسْلِمُونَ مَجَمِعَيْنَ ، لِأَنَّ الْجَبَنَاءَ يَرْهَبُ الْآخَرِينَ عِنْدَمَا يَجْتَمِعُونَ ، كَمَا أَنَّ
الْيَهُودَ لَا يَجْتَمِعُونَ عَلَى قَتْلِ الْمُسْلِمِينَ لِأَنَّهُمْ جَبَنَاءُ وَالْجَبَنَ يَفْرَقُ بَيْنَ مَنْ
أَصَبَّاهُ بِهِ ، وَهُوَ أَكْبَرُ عَامِلٍ مِنْ عِوَادِلَاتِ التَّفْرِقَةِ وَالْاِخْتِلَافِ .

وَتَدَلُّنَا إِلَيْهَا عَلَى الْوَسِيلَةِ وَالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَقْاتِلُ بِهَا يَهُودُ الْمُسْلِمِينَ ، وَالَّتِي
أُوحِيَ إِلَيْهِمْ بِهَا جَبَنَهُمْ وَهَلَعَهُمْ وَرَعَبَهُمْ ، لَا يُقَاتِلُونَهُمْ إِلَّا فِي قَرْيَةٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ
مِنْ وَرَاءَ جُدُرٍ . إِنَّهُمْ - وَكُلُّ الْجَبَنَاءِ هَكَذَا - لَيْسُوا رِجَالًا لِيَوْاجِهُوا الْمُسْلِمِينَ
مُوَاجِهَةً ، وَأَنَّ لَهُمْ أَنْ يَتَصَفَّوْا بِلَوَازِمِ الرَّجُولَةِ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالْجَرَأَةِ وَالثَّبَاتِ

ـ (١) الحشر: ١١ - ١٤ .

والتحدى والاستعلاء، إن قلوبهم امتلأت جبناً فلم يعد لها مكان لهذه المعاني الفاضلة، بل إن هذه المعاني الإيجابية الكريمة لا تقبل أن يشاركها الجن والرعب والهلع في الإقامة في القلوب والنفوس والمشاعر، فإذا أبى أصحابها إلا استقدام هذا المرض الخبيث والانحراف القاتل خرجمت هذه الفضائل منها وتركتها غير آسفة عليها !!

وإن جن يهود قادهم إلى الفرقة والاختلاف ﴿بأنهم بينهم شديد، تحسبُهم جميعاً وقلوبهم شتى﴾.

أما السبب في قبول يهود بالجبن ورضاهم به، وحرصهم عليه، فبئن ما خُتمت به الآياتان ﴿ذلك بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾ و﴿ذلك بأنهم قومٌ لا يعقلون﴾ إنه عدم الفقه وعدم العقل.

اليهود بخلاء

تمكّن البخل من يهود وسيطر على نفوسهم، وانعكس على جوارحهم، وترك لمساته على حياتهم وتاريخهم وصلاتهم بالآخرين.

إن يهود عبدة المال! لذا فهم يحرصون على جمعه وكنته وعبادته، ويضيّون أن يقدموه للمحتاجين، ويبخلون عن مواساة الآخرين بما أنعم الله عليهم منه.

وقد سجل لنا التاريخ **النَّهَم اليهودي** للمال، والجشع اليهودي في جمعه، والحرص اليهودي على الاستئثار به، وجعله وسيلة لاستعباد الآخرين وإذلالهم، ولنشر الفواحش والقبائح والرذائل، ومحاربة الحق والفضيلة والطهر والعفاف.

وقد أشار القرآن إلى نماذج من حرص يهود على المال وعبادتهم له، وبخالهم به قال تعالى: ﴿أُمٌ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلَكِ، فَإِذَاً لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾^(١).

إن هذه الآية تعلل بخل يهود وإمساكهم للمال، إنهم يعبدونه، وإنهم حريصون عليه، متلهفون على امتلاكه، ويخبر القرآن أنه لو كان لهم نصيب من الملك، بأن كان المال وتوزيعه، والرزق وتقسيمه لهم، فإنهم سيغسلون به، ولا يؤمنون الناس منه شيئاً فـ﴿فَإِذَاً لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ والنمير تصوير

(١) النساء: ٥٣.

لأيسر الأشياء وأقلها وأنفهها، وهو النقرة التي تكون على ظهر النواة، وهي مثال للصغر والقلة، ولا تساوي شيئاً، ومع ذلك يدخل بها اليهود ولا يقدمونها.

والعجب أن البخيل يدعى الكرم ويتهم الكريم بالبخل، ويستر مرضه وعييه ونقشه بالأدعاء، فكيف بهذا البخيل إذا توقع على ربه الكريم وأنهمه بالبخل والفقر؟ هذا ما فعله اليهود! قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبُنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلِلَّهِ مِيراثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب ما قالوا، وقتلهم الأنبياء بغير حق، ونقول ذوقوا عذاب العريق ﴿^(١)﴾.

والمقصود بالأية الأولى اليهود، فهم بخلاف يدخلون بما آتاهم الله من مال وفضل، ويعتبرون هذا حنكة وفطنة واقتصاداً وتحطيطاً، ولكن هذا البخل شر لهم في الدنيا وشر لهم يوم القيمة.

(١) آل عمران: ١٨٠ - ١٨١.

اليهود يحرضون على الحياة

وهذا خلق آخر ذميم عند اليهود، مرتبط بسلسلة رذائلهم وقبائحهم الأخلاقية الأخرى، وله صلة وثيقة بالجبن والذل والمسكنة، إنه الحرص على الحياة، والتهاك عليها، والرغبة فيها.

قال تعالى : ﴿ وَتَجَدُنَّهُمْ أَحْرَصُ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ - وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا - يَوْمٌ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعْمَرُ أَلْفَ سَنَةً، وَمَا هُوَ بِمُزَحْزَحٍ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعْمَرَ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾^(١).

يهود حرِضُونَ على الحياة، ولو كانت أية حياة، المهم أن يعيشوا حياتهم والسلام ، ولا يهمهم أن تكون حياة عزيزة أو حياة ذليلة، حياة رجال أو حياة أشباه الرجال، حياة بشر أو حياة حشرات وحيوانات . بل إنهم يفضلون الحياة الثانية - الممزوجة بالذل والجبن - على الحياة الأولى العزيزة الكريمة ، لأن حياة العزة والكرامة تحتاج إلى مواصفات خاصة لا توجد عند يهود ، وإلى رجال مخصوصين لا يكونون من بين يهود ، وإلى ضرورة باهظة يجبن عن دفعها يهود ، وإلى ثمن مرتفع يدخل عن بذله يهود !!

هم يكتفون من الحياة بظاهرها وقشورها ، أليسوا يأكلون ويشربون ؟ - مثل الأنعام - أليسوا يتفسرون ويتحركون ؟ - مثل الدواب - أليسوا ينامون ويستيقظون ؟ - مثل الحيوانات - أليسوا يمارسون حياتهم بحيوانية وشهوانية ؟

(١) البقرة : ٩٦

- مثل البهائم - إذن هم يعيشون الحياة المطلوبة، هم أسعد الناس في هذه الحياة.

إنها حياة بمقاييس يهود، وليس بمقاييس الرجال الأعزاء، وإنها حياة تليق بيهم ولا تليق بالرجال الأعزاء. وإنه لا يُعجب بهذه الحياة ولا يقبل بها ولا يحرص عليها إلا من كانت له مثل شخصية يهود ونفسيتهم وأخلاقهم.

هذه كلها بعض ما يوحى بها تنكير كلمة «حياة» في قوله: ﴿ولتجد نَفْسَهُمْ أَحَرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَاةٍ﴾ ذلك التنكير الذي يحوي الكثير من التهويين والتحقير.

وحياة يهود في تاريخهم كله لا تخرج عن هذا التنكير والتهويين والتحقير والإذلال.

يهود ينقضون العهود والمواثيق

لن تجد قوماً مثل يهود في الاستخفاف بالعهود والمواثيق، وفي عدم مراعاتها أو الالتزام بها، وفي جرأتهم عليها والقيام بنقضها وإبطالها وإلغائها. ويقتدي آخرون بيهود في هذا الخلق الذميم فيتجرأون على العهود وينقضونها، سواء ما كان بينهم وبين الله، أو بينهم وبين أنبيائهم، أو بينهم وبين الآخرين.

وقد أشار القرآن إلى نماذج من العهود والمواثيق التي أخذت على يهود، ومع ذلك نقضوها.

أما المواثيق بهذه نماذج منه:

١ - قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ، وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًاً وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، ثُمَّ تُولَّتِمُ إِلَّا قَلِيلًاٰ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مَعْرُضُونَ. وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دَمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ، ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشَهِّدُونَ، ثُمَّ أَنْتُمْ هُؤُلَاءِ تَقْتَلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًاٰ مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، تَظَاهِرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدُوانِ، وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أَسْارِيٌّ فَنُفَادُوهُمْ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ، أَفَتُؤْمِنُونَ بِعِصْمِ الْكِتَابِ وَتَكْفِرُونَ بِبَعْضِهِ﴾^(١).

(١) البقرة - ٨٣ - ٨٥.

٢ - وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الْطُورِ : خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لِعْلَكُمْ تَتَّقُونَ . ثُمَّ تُولَّتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُم مِنَ الْمَخَاسِرِ ﴾^(١) .

٣ - وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخْذَنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الْطُورِ : خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَاعُوا ، قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَبْنَا ، وَأَشْرَبْنَا فِي قُلُوبِهِمُ الْعَجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾^(٢) .

٤ - وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُوهُ ، فَنَبِذُوهُ وَرَاءَ ظَهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْهُ بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا ، فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾^(٣) .

٥ - وقال تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الْطُورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقَلَّنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ، وَقَلَّنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخْذَنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا عَلِيًّا . فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ ، وَكَفَرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَقَتَلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَقَوْلُهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ، بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يَؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٤) .

٦ - وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَبَعْثَانَا مِنْهُمْ اثْنَيْ عشرَ نَقِيبًا ، وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ، لَئِنْ أَقْمَتُمُ الصَّلَاةَ ، وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ، وَآمَّنْتُمْ بِرَسُولِيْ وَعَزَّرْتُمُوهُمْ ، وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، لَا كُفَّرُوا عَنْكُمْ سِيَّاشَاتِكُمْ وَلَا دَخْلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلُ . فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنْهُمْ ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَّةً ، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾^(٥) .

٧ - وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخْذَنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسْلًا ،

(١) البقرة: ٦٣ - ٦٤ .

(٢) البقرة: ٩٣ .

(٣) آل عمران: ١٨٧ .

(٤) البقرة: ١٥٤ - ١٥٥ .

(٥) المائدة: ١٢ - ١٣ .

كلما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون ﴿١﴾.

٨ - قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ، يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى، وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا، إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهِ يَأْخُذُوهُ، أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَلَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ، وَالْدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقَوْنَ﴾^(٢).

* * *

هذه ثمانية مجموعات من الآيات تتحدث عن ميثاق الله الذي أخذه على اليهود، وعن جرأة يهود عليه ونقضه، عرضناها كما هي أمام القارئ، ولم تتحدث عمّا فيها من دلالات ولطائف وحقائق، رغبة منا في الاختصار، وإحالة على ذهن القارئ وتدبره.

وكلمة «ميثاق» ومشتقاتها - موثق، موثقهم، وميثاقكم، ميثاقهم - ذكرت في القرآن ثمانية وعشرين مرة تتحدث عن ميثاق الله المأخوذ على اليهود وتسجل عليهم نقضهم له.

وهذه ظاهرة تلفت النظر، وتشير إلى تمكّن هذا الخلق العادر الجبان في اليهود.

أما ما أشار إليه القرآن عن العهد المأخوذ على اليهود فنكتفي منه بهذه الآيات: لقد ذكرهم الله بعهده عليهم في أول قصتهم وروداً في القرآن - على حسب ترتيب المصحف -، فقال تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نَعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ، وَأَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ، وَإِيَّاهُ فَارْهِبُوهُنَّ﴾^(٣).

ولكنهم لم يلتزموا بهذا الشرط، ولم يوفوا بعهد الله، وإنما نقضوه كما نقضوا كل المواثيق والعقود الأخرى.

(١) المائدة: ٧٠.

(٢) الأعراف: ١٦٩.

(٣) البقرة: ٤٠.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقُرْيَةَ فَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شَتَّمْ رَغْدًا، وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا، وَقُلُّوا حِجْةً نَفْرُ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسْتَرِيدُ الْمُحْسِنِينَ. فَبَدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ، فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾^(١).

وهناك آية عجيبة في القرآن تشير إلى تأصل هذا الخلق الذميم في النفسية اليهودية المريضة، وتمكنه من الشخصية اليهودية المحرفة، واستمراره طيلة المسيرة اليهودية الحاقدة الناقضة الناكثة للعهود والمواثيق.

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ، وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ، أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذُهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ مَصْدِقًا لِمَا مَعَهُمْ نَبَذُ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أَوْتَرُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

والذي يلفت النظر في الآية كلمة «كلما» وهي تدل على أن نقض العهد عملية متكررة عند يهود، فكل عهد يعقدونه يقومون بنقضه، مهما كان الطرف الآخر الذي عقدوه معه. لأن كلما حرف يفيد التكرار والاستمرار، ويدل على تحقق وتتوفر وجود جوابها عند وجود شرطها - كلما حرف شرط، وفعلها في الآية ﴿عاهدوا عهدا﴾ - فيتكرر وجود الجواب بتكرار وجود الفعل.

والعجب في الآية أنها تدلنا على خبث ومكر اليهود في نقض العهود، فعندما يعقدون عهدا لا يقومون جمياً بنقضه وإنما ينقضه فريق منهم، والآخرون قد يتبرأون من هذا الفريق الناقض وقد يعلنون معارضتهم لفعله، مع أنهم هم الذين ربوا الأدوار، وأوحوا للناقض بذلك. إنه مكر يهودي حاقد واضح في تاريخ يهود.

(١) البقرة: ٥٨ - ٥٩.

(٢) البقرة: ٩٩ - ١٠١.

اليهود يسارعون في الإثم والعدوان

من طبيعة اليهود التي لا تتغير، وسماتهم التي لا تختلف، وخلقهم الذي لا يتبدل، أنهم يسارعون في الكفر وفي الإثم والعدوان، وفي قول الإثم وأكل السحت، وفي القول الباطل والفعل الفاجر.

وقد أشارت آيات من القرآن إلى هذا:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يَسَارُونَ فِي الْكُفَّارِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّمَا بَأْفَوَاهُمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا، سَمَاعُونَ لِكَذْبِهِمْ، سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ، يَحْرُفُونَ الْكَلْمَ مِنْ بَعْدِ مَوْاضِعِهِ﴾^(١).

الذين يسارعون في الكفر فريقان: اليهود، وعملاؤهم من المنافقين الذين زعموا الإيمان. لقد اقتدى المنافقون باليهود في هذا الخلق الذميم، فصاروا مثلهم يسارعون في الكفر والباطل والإثم والعدوان.

وفعل «يسارعون» يدل على الحرص على الكفر والإثم والعدوان، والرغبة فيها، والاهتمام بها، والإقبال عليها، والإسراع للوصول إليها، والمسارعة في التحقق بها والحصول عليها. «يسارعون» أبلغ من «يسرعون» وأوضح منها في تصوير فعل اليهود في الإقبال على الكفر والباطل - لأن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى - والألف في يسارعون توحّي بهذه المعاني،

(١) المائدة: ٤١.

وتلقي هذه الظلال، وتقدم هذه الإيحاءات.

قال تعالى عن المسارعة اليهودية: ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَسْأَلُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدُوانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ، لِبَشَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَلَوْلَا يَنْهَا مُرْبَأَيُونَ وَالْأَجْيَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ، لِبَشَّ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾^(١).

المسارعة اليهودية هنا في الإثم والعدوان وأكل السحت، وهي ثلاث مراحل أو خطوات: فعندما يرتكبون المنكر والباطل يقعون في الإثم أولاً، ثم يعتدون على الآخرين ثانياً، ومن مظاهر هذا أكلهم السحت «وهو الحرام».

إن المسارعة اليهودية في هذا دليل على تغلغل الانحراف في قلوبهم وسيطرته على كيانهم، وتوجيهه لاختياراتهم وأعمالهم وخطواتهم وسيرهم وحركتهم.

الإنسان السوي المستقيم لا يحب الإثم والعدوان والباطل، ولا يفكر فيه، وإذا ورد على فكره أو خياله طرده وأبعده. والإنسان السوي لا يسير باختياراته ورغباته وقدميه إلى الباطل، وإذا زلّ ووقع فيه فإنما يسير إليه بقدمين متعرتين، وخطوات مترافق، وشعور متعب، وكيان متصارع، لا أن يسير إليه راغباً، ويسرع إليه إسراعاً، ويسارع فيه مسارعة.

والعجب أن أخبار يهود لم يحاولوا الوقوف في وجه يهود، وإيقاف مسارعتهم المجنونة، ولكنهم دعواهم إليها، وقدموا لهم التبريرات والحيل لمضاعفة الرغبة فيها، وسارعوا خطواتهم إليها، ومسارعتهم نحوها، لأن هؤلاء الأخبار المارقين كانوا أكثر انحرافاً من عامة يهود، وأشد منهم رغبة في المسارعة إليها.

إن الفساد والانحراف، والمسارعة في الكفر والإثم والعدوان، قد شملت كل يهود، ووصلت إلى كل فئاتهم وطبقاتهم، حتى الفتنة التي يظن فيها حماية الحق ونشر الرسالة ومواجهة الباطل وإصلاح الانحراف.

(١) المائدة: ٦٢ - ٦٣.

وهذه يهود في تاريخها كله، ومن كل فئاتها ورجالها، مسارعة في الكفر والكذب والإثم والعدوان.

ويهود قدوة لعملائهم في هذه المسارعة المجنونة، ولذلك يقدم هؤلاء العلماء والأذناب على يهود، ويسارعون فيهم وفي مواليهم ونصرتهم والتحالف معهم، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَسَارِعُونَ فِيهِمْ، يَقُولُونَ نَخْشِيُّ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾^(١).

وتدلنا الآية على سبب مسارعة العلماء في موالة يهود والتحالف معهم، فإنه المرض والانحراف الذي دخل قلوب هؤلاء فأخرج منها الإيمان والاستعلاء والرجولة والعزّة، وأحل فيها المسارعة في موالة يهود، والاقداء في مسارعتهم الباطلة في الكفر والإثم والعدوان، وهذا ما نلمحه في زماننا من أعران يهود وعملائهم، وما نراه في أشخاصهم وأعمالهم.

(١) البقرة: ٥٢.

اليهود يكتمون الشهادة والحق

إنهم أهل كتاب سابق، أخبرهم الله فيه برسالة محمد ﷺ، وبشرّهم بنبوته، وطالبهم بالإيمان به، وأخذ عليهم العهود والمواثيق، وجعلهم الله شهوداً على صدق نبوته ورسالته، وطالبهم بأداء هذه الشهادة عند الكافرين والمشركين لتكون هذه الشهادة إقناعاً لأولئك وسبباً في إسلامهم.

لكن ماذا فعل يهود عندما ظهر محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام؟
هل أدوا الشهادة التي استشهدهم الله عليها؟ وكيف كان أداؤهم لها؟ .

لقد استيقظ فيهم الشيطان اليهودي الملعون، وأفرز فيهم أخلاقاً شيطانية قبيحة، انطلقوا منها في نظرتهم للرسول الجديد، وموقفهم من دينه الجديد.

لقد كانوا أول كافر به، ولقد أعلنوا عليه الحرب، وواجهوه بالعداء منذ اليوم الأول لرسالته. لقد أنكروا تبشير أنبيائهم به، وأخفوا البشارات التي في التوراة عنه، ولقد كتموا الشهادة بأنه رسول الله ﷺ مع علمهم اليقيني بأنه رسول الله عليه الصلاة والسلام، وعندما استشهدهم المشركون على رسالته أنكروا أن يكون رسول الله، بل انتقلوا إلى مرحلة أسوأ وخطوة أوقع، عندما زعموا أن المشركين أقرب إلى الله من المسلمين، وأهدي من المسلمين، ويحبهم الله أكثر من المسلمين !! .

سجلت عليهم آيات من القرآن كتمانهم للشهادة التي طولبوا بأدائها.
منها قوله تعالى: ﴿أُمٌّ تقولونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

والأسباط كانوا هُوداً أو نصارى؟ قل أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ؟ وَمَنْ أَظْلَمُ مِنْ كَتَمْ
شَهادَةَ عَنْهُ مِنَ اللَّهِ؟^(١)

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ
تَعْلَمُونَ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرَفُونَهُ كَمَا يَعْرَفُونَ أَبْنَاءَهُمْ، وَإِنْ
فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذَ اللَّهُ مِثْقَلَ الَّذِينَ أَوْتَوْا الْكِتَابَ لِتُبَيَّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا
تَكْتُمُونَهُ، فَنَبِذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْهُ بِهِ ثُمَّاً قَلِيلًا، فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^(٤).

(١) البقرة: ١٤٠.

(٢) البقرة: ٤٢.

(٣) البقرة: ١٤٦.

(٤) آل عمران: ١٨٧.

اليهود يفسدون في الأرض

اليهود مفسدون في الأرض، كل الأرض، وهذه هي أبرز سمة من سمات تاريخهم كله، القديم منه والوسيط والمعاصر. هم أكثر أهل الأرض رغبة في الفساد وحرصاً عليه، وهم يسبقون باقي الأمم فيه، وهم قدرة للآخرين الراغبين فيه.

والفساد في الأرض ملازم لليهود منذ أيامهم الأولى مع نبيهم موسى عليه السلام، فها هو ذا قارون اليهودي الذي كان من قوم موسى، كان مفسداً في الأرض، استخدم ما منحه الله من المال ووهبه من العلم للإفساد، ونصحه الصالحون من قومه بعدم الإفساد والفساد فلم يتتصح: «إذ قال له قومه لا تُفْرَخْ إن الله لا يحبُّ الفَرَحِينَ. وابْتَغِ فِيمَا آتاكَ اللَّهُ الدَّارُ الْآخِرَةِ وَلَا تَنْسَ نَصِيبِكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ. قَالَ: إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عَنِّي»^(١).

وموسى عليه السلام يعلم - من خلال تجربته مع بني إسرائيل وخبرته فيهم - تمكّن الإفساد في قلوب يهود ورغبتهم فيه، ولهذا كان دائماً يحذرهم منه.

فلما استسقى لقومه وضرب بعصاه الحجر وانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وعلمت كل قبيلة منهم العين الخاصة بها التي يشربون منها، أمرهم موسى

(١) القصص: ٧٦ - ٧٨.

عليه السلام بالأكل والشرب ونهاهم عن الإفساد، فقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرِبُوا مِنْ رَزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١).

ولما توجه موسى عليه السلام إلى الطور لمناجاة الله، وجعل مكانه أخاه هارون عليه السلام لقيادة بني إسرائيل، نبهه إلى إفسادهم وتمكن هذا الخلق فيهم، ودعاه إلى ملاحظة ذلك، ونهاه عن اتباع المفسدين، فقال له: ﴿أَخْلُفُنِي فِي قَوْمٍ وَأَصْلِحْ، وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(٢).

وقد أطلتنا القرآن على تمكן الفساد في يهود، وعلى حرصهم على الإفساد في الأرض في آياتين من آياته:

الأولى قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْتَيْنِ، وَلَتَعْلُمُنَّ عُلُواً كَبِيرًا﴾^(٣).

وهاتان المرتان من باب التمثيل وليس من باب الحصر، وإنما فكل تاريخ يهود هو فساد وإفساد وقتل وتخريب وتدمير، وأولى المرتين: هي إفسادهم في المدينة وما حولها زمان رسول الله ﷺ، حيث قضى هو وصحابته - عليهم الرضوان - على هذا الإفساد، وثانيهما: هي إفساد يهود في الأرض المقدسة في هذا الزمان حيث يعلم إفسادهم كل إنسان، ويراهم كل ذي عينين.

الثانية هي قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أُوقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَلُهَا اللَّهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وهذه الآية تصلاح أن تكون عنواناً لتاريخ اليهود كلهم، وتحقق الإفساد فيه بكل ألوانه ونماذجه.

عند اليهود رغبة عميقه في الإفساد، وعندهم نهم بالغ للحروب التي تتحقق هذا الإفساد، وعندهم حرص ومكر ودهاء وخبث في التخطيط لها

(١) البقرة: ٦٠.

(٢) الأعراف: ١٤٢.

(٣) الإسراء: ٤.

وإشعالها وتهيئه وقودها - وهم غير يهود طبعاً -، وهذا كله نأخذه من «كلما» التي تفيد استمرار الرغبة، وتكرار المحاولة، وتجدد السعي والمكر والخبث والإيقاد للحرب، وهم الذين يسعون في الأرض، لكن لا يسعون فيها إصلاحاً وتعميراً وتزكية وتطهيراً، لأنهم لا يعرفون هذه المعاني، وإنما يسعون فيها فساداً وتخريباً وتدميراً.

وصدق الله العظيم، فمعظم الحروب في العالم - وبخاصة الحروب العظمى المعاصرة - خطط لها يهود، وأوقد لها يهود، وأشعلها اليهود، ليشرعوا الفساد في الأرض، ويحققوا أهدافهم على حطام البشرية وضحاياها وجماجمها وأشلائها ومشوهيها.

اليهود يقودون الحروب، ويشعلون نارها، والذي يقودها لا يحترق، وإنما يقدم لها الوقود فقط، وصدق الله فإن يهود لا يخسرون من الضحايا في الحروب ما يذكر، وإنما الخسارة للشعوب الساذجة، والوقود هم أبناء تلك الشعوب ومواردها وأموالها ووجودها.

اليهود يصدون عن سبيل الله

ترك اليهود سبيل الله المستقيم، وأثروا أن يسيراً في طريق الشيطان، وأن يكونوا جنده ورجاله وأولياءه.

ثم ارتكبوا جريمة أفظع حيث صاروا أعداء لسبيل الله محاربين لها، ومشوهين لمعالمها، ومنفرين من سلوكها، داعين الناس لتجنبها وتركها، فأصبحوا يصدون عن سبيل الله، ويستخدمون كل ما يملكون لهذا الصد.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَمْ تَكْفُرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ . قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابَ لَمْ تَصْدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبَغُونَهَا عِوْجَأً وَأَنْتُمْ شَهَادَاءُ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾⁽¹⁾ .

وتسجل الآيات هاتين الخطوتين المرتبتين تماماً، وترتبيماً ترتيباً مناسباً، فهم كفروا بآيات الله أولاً، ثم قاموا بالخطوة الثانية وهي الصد عن سبيل الله وصرف المسلمين عنها، وهذه من ثمار الكفر والانحراف.

أما قوله: ﴿ تَبَغُونَهَا عِوْجَأً ﴾ فهي تقرر رغبة يهود في اعوجاج طريق الله، وتلهُف نفوسهم الكافرة على تحقيق هذا، وابتغائهم لها - والابتغاء حالة نفسية ملحوظة - وأن هذه هي حالتهم، وهذا هو واقعهم، فهم يصدون عن سبيل الله وحالهم هو ابتغاء اعوجاجها، لأن ﴿ تَبَغُونَهَا عِوْجَأً ﴾ في محل نصب على الحال.

(1) آل عمران: ٩٨ - ٩٩

وهذا الصد عن سبيل الله ليس خاصاً بقوم من اليهود، ولكنه شامل لهم كلهم، ولم يسلم منه أighbors ورهبانهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصِدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

والأصل في الأخبار هو نصرة الحق لا خذلانه، والدعوة إلى الاستقامة لا الاعوجاج، وقيادة الآخرين في سبيل الله لا صدهم عنها، لكنهم أighbors اليهود. وهذه أخلاق اليهود.

وبذل اليهود كل ما في وسعهم لمحاربة الإسلام - باعتباره السبيل الوحيد لله - وما زالوا يبذلون، وصدوا عنه بكل ما يملكون وما زالوا يصدون، وحاربوا رجاله ودعاته وما زالوا يحاربون، وقد فشلوا في السابق في تحقيق آمالهم الشيطانية ويإذن الله سيفشلون.

(١) التوبة: ٣٤.

اليهود «مجمع نقائص»

عرضنا فيما سبق مجموعة من الأخلاق اليهودية المرذولة، وأشارنا إلى استقرارها في النفسية اليهودية المعقدة، وتمكنها من الشخصية اليهودية المشوّهة، وأشارنا إلى انطباقها على التاريخ اليهودي العام، وإلى تمثيلها في اليهود المعاصرين. وكان القرآن الكريم هو المصدر الوحيد الذي اعتمدنا عليه في تسجيل أخلاق اليهود، وقد كفانا وأغنانا فيما قدمه لنا عنهم، والحمد لله رب العالمين.

وقد استخرجنا من القرآن عشرين خلقاً من أخلاق يهود، فهم: كاذبون، محرّرون، حاسدون، متحايلون، مراوغون، مزاجيون، مستهزئون، خائنون، ضالّون، مضلّون، تجار، سفهاء، أذلاء، جبناء، بخلاء، يحرضون على حياة، ينقضون العهود والمواثيق، يسارعون في الإثم والعدوان، يكتمون الشهادة، يفسدون في الأرض، يصدّون عن سبيل الله.

ولأن الإنسان ليعجب عندما يرى الشخصية اليهودية متصفّة بهذه الأخلاق كلها، ويزداد عجبه عندما يرى أن هذه الرذائل قد توارثها يهود عن آجدادهم، وقد سرت إليهم عن هذه الوراثة وكأنها «جينات» لا تخرج عن كيانهم.

ولأن ملاحظة هذه القبائح عند يهود دليل على ما قلناه من قبل: إن الشخصية اليهودية «مجمع نقائص» و«مجموعة رذائل» و«تجمع شرور ومفاسد». ويتساءل الإنسان: ماذا بقي في النفسية اليهودية من خير وفضيلة،

بل ماذا بقي لها من المعاني الإنسانية والمشاعر والعواطف الكريمة وسط هذا الركام الثقيل من الآفات والأمراض؟ ولعل الإنسان يرى اليهودي التائه: شرّاً محضاً، وحقداً خالصاً ووباءً خطيراً، وشيطاناً لعيناً، وعدواً لكل ما هو إنساني في حياة البشرية.

ولا يسلم من هذه القبائح والرذائل إلا الأنبياء من بنى إسرائيل الذين اصطفاهم الله ورباهم على عينه سبحانه، فإن هؤلاء الأنبياء - مثل باقي الأنبياء - «مجمعُ فضائل» و«مجموعة حسنات» وقدوات عملية للخير والهدى.

كذلك يسلم من هذه الآفات اليهودية الصالحون من بنى إسرائيل، الذين اتبعوا أنبياءهم بإخلاص وجدية وصدق ووفاء، والذين اتبعوا الحق الذي جاء به محمد ﷺ فكانوا من جنوده ورجاله.

اليهود ملعونون

ولا يمكن أن يكون اليهود إلا ملعونين. كيف لا يكونون ملعونين وقد اتصفوا بالأخلاق الذميمة التي أشرنا إلى عشرين منها، لقد استحقوا اللعنة الأبدية بما اتصفوا به من الرذائل، وبما قاموا به من الشرور والمجاوزات.

واللعنة - كما قال الإمام الراغب - هي (الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره. وللعنة: الذي يُلْعَن كثيراً. وللعنة: الذي يُلْعَن كثيراً^(١)).

تحول اليهود إلى «ملعنة» تصب عليهم فيها اللعنات من الجميع، لقد لعنهم الله عز وجل، ولعنتهم الملائكة، ولعنتهم أنبياؤهم، ولعنتهم صالحوهم، ولعنتهم المسلمون، ولعنتهم الناس أجمعون.

واستحقوا بهذه اللعنات المتابعة الدائمة إلى يوم القيمة غضب الله وسخطه وعذابه، وبها طردوا من رحمة الله، وأبعدوا من خيره.

وقد وردت آيات كثيرة تقرر هذا الحكم الرباني على اليهود، وقضاءه عليهم باللعنة والغضب، والطرد من رحمته.

منها قوله تعالى: «فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقُهُمْ لَعْنَاهُمْ، وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ

(١) المفردات: ٤٥١

فاسية^(١). قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَوْبِدٍ عِنْدَ اللَّهِ: مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَادَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ، وَأُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾^(٢).

وقله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعَنْنَا بِمَا قَالُوا، بِلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾^(٣).

وقله تعالى: ﴿ لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسانِ دَاوِيدَ وَعِيسَى ابْنِ مُرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(٤).

وقله تعالى: ﴿ وَقَالُوا قَلُوبُنَا غُلْفٌ، بَلْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ أَنْفُسِهِمْ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ - وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(٥).

وقله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لِعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ ﴾^(٦).

وقله تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوْاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ، وَرَاعَنَا - لَيَأْتِيَ بِالسَّتْهِمِ وَطَعْنَةً فِي الدِّينِ - وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا، وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمُ. وَلَكِنْ لَعْنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وَجْهَهُمْ فَنَرَدَهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبِيلِ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا. إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ

(١) المائدة: ١٣.

(٢) المائدة: ٦٠.

(٣) المائدة: ٦٤.

(٤) المائدة: ٧٨.

(٥) البقرة: ٨٩ - ٨٨.

(٦) آل عمران: ٨٧.

يُشرك به ويفتر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يُشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً. ألم تر إلى الذين يُزكُون أنفسهم، بل الله يُزكي من يشاء، ولا يظلمون فتيلاً. انظر كيف يفتررون على الله الكذب، وكفى به إثماً مبيناً. ألم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجحْد والطاغوت، ويقولون للذين كفروا: هؤلاء أهداي من الدين آمنوا سبيلاً. أولئك الذين لعنهم الله، وَمَن يَلْعَنَ اللَّهُ فلن تجد له نصيراً^(١).

لعنة الله على اليهود هي دائمة ثابتة عليهم لا تفارقهم في تاريخهم كله، ولقد تكررت اللعنة - بمختلف تصريفاتها - في الآيات التي أوردنها اثنتا عشرة مرة، وهذا من أوضح الأدلة على اللعنة المنصبة على يهود الملعونين، وقد تحولوا بها إلى «ملعنة» في كل تاريخهم، الذي كفروا فيه بالله وحاربوا رس勒ه ودينه.

(١) النساء: ٤٦ - ٥٢.

رسالة اليهود في العالم: فساد ودمار

يغالط يهود في هذا الزمان - وفي كل زمان - ويموّهون على بني البشر، فيقدمون أنفسهم للناس على أنهم أصحاب رسالة خيرٍ، يقدمون الخير للناس، وينشرونه بينهم.

يزعم يهود أنهم حماة العلم والأخلاق والقيم والحضارة، وأنهم روادها وحملتها وناشروها، ويزعمون أنهم أقاموا دولتهم في فلسطين لتحقيق هذه الغاية، ونشر هذه الرسالة.

يخاطبون الشعوب الأخرى بأن دولة يهود الآن في فلسطين إنما قامت لحماية المبادئ والمثل والأخلاق والقيم، وللحفاظ على الحضارة والمدنية والتقدم والديمقراطية والعلم والمعرفة.

ويصدقّ مغفلون سُلْجُون بهذه المزاعم اليهودية، ويعتقدون أن هذه هي الرسالة اليهودية للعالم.

أما المسلمين الواقعون المبصرون فإنما يعرفون يهود على طبيعتهم، ويعرفون رسالتهم على حقيقتها، ويحدّدون دورهم في أدائها، ويأخذون في هذا عن القرآن الكريم في بيانه وتوضيحه، ويشكرُون الله على هذه النعمة والفضل في كشف نفسية عدوهم.

والآن.. نعتقد أن القارئ لهذا البحث - بعد أن اطلع على ما سبق أن أوردناه - سيعرف حقيقة رسالة يهود في العالم.

فقد تحدّثنا عن موقف يهود من أنبيائهم وإيزائهم لهم، ولاحظنا البداية الحاقدة عند أجدادهم - إخوة يوسف عليه السلام - وسجلنا أبرز أخلاقهم. ثم تحدّثنا عن مزاعم وأكاذيب وافتراءات يهودية تدلّ على حقيقة أخلاقهم ونفوسهم، وتشير إلى حقيقة رسالتهم في العالم. ثم حللنا العقيدة اليهودية في جزئياتها وجوانبها، ودللنا أنهم لا عقيدة لهم، وأن أصدق ما يوصيون به في العقيدة هو ما وصفهم به القرآن في قوله لهم: ﴿لستم على شيء﴾^(١). ثم وقفنا مطولاً أمام النفسية اليهودية في أخلاقها وتركيبتها ودخائلها، وسعدنا بالوقوف مع القرآن وهو يقدم تحليله الرائع الصادق لها، ويعرض لنا الأخلاق الذميمة الصادرة عنها، ويبين لنا مقدار ما تحويه هذه النفسية اليهودية من الانحرافات والشذوذ، مما يصح أن توصف معه بأنها «مجمع نفائص»، وسجلنا أهم الأخلاق اليهودية التي عرضها القرآن، وأشارنا إلى انتطبقاتها على النموذج اليهودي المشوه أينما كان.

وبعد هذا نستطيع أن نعرف حقيقة الرسالة اليهودية في العالم.

ماذا يمكن أن يقدم اليهود للعالم وهذا رصيدهم من القيم والمبادئ والأخلاق؟ مَاذا يمكن أن يقدم اليهود للعالم وهم بدون دين أو إيمان؟ وهم بدون عقيدة أو تصور؟ وهم لا يملكون إلا الكفر والمزاعم والأكاذيب والافتراءات والتحريفات؟ وهم بدون خلق أو فضيلة أو خير أو بُر؟ .

ماذا يمكن أن يقدم اليهود للعالم وهم لا يشعرون إلا بالحقد الأسود والحسد الفاجر؟ وهم يستثمرون هذا الحقد والحسد في محاربة الأخلاق والمبادئ والقيم، ونشر الفساد والشر والرذيلة . . .

إن عنوان رسالة اليهود في العالم في قوله تعالى: ﴿كُلُّمَا أُوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَاهَا اللَّهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾^(٢).

(١) المائدة: ٦٨.

(٢) المائدة: ٦٤.

حروب وفساد، ودمار ورذائل، هذه هي رسالة يهود الحضارية، وتحفthem الرائعة التي يقدمونها للآخرين.

يهود خطر ماحق يتهدد العالم، ووباء فتاك يخربه ويقضي عليه، وشيطان حاقد يمكر به، ورسالة اليهود هي: حقد وحسد، وكذب وافتراء، وكفر وضلال، وتخريب وشهوات ورذائل.. أين هذه الرسالة الشيطانية من رسالة المؤمن الهدية البارزة الخيرية، النافعة له ولبني البشر؟!

عقوبات الله ضد اليهود

من الطبيعي أن تحل باليهود نتائج أعمالهم، وثمرات انحرافاتهم، وأن تنطبق عليهم سنة الله لأنه لا محاباة عند الله.

وإنَّ ما اتصف به يهود من الصفات الأخلاقية الذميمة يجعلهم عرضةً لعقوبات رادعة يوقعها الله بهم، وإن ما قاموا به من أعمال شيطانية كافرة يجعلهم أهلاً لغضب الله ونقمته عليهم، ومجازاته لهم، والجزاء من جنس العمل، وما يظلم ربك أحداً.

وقد أشار القرآن إلى نماذج من عقوبات الله التي أوقعها بيهود نتيجة مخالفاتهم ومعاصيهم.

وكان القرآن - غالباً - يذكر السبب الذي جعلهم يستحقون تلك العقوبات بذكر «باء السبيبة» التي تعلل لغرض العقوبات، وتبين الحكمة من إيقاعها بهم.

من ذلك قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقُهُمْ وَكُفْرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَقْتِلُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَقُولُهُمْ قَلُوبُنَا غُلْفٌ - بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا - وَبِكُفْرِهِمْ وَقُولُهُمْ عَلَى مُرِيمَ بِهَتَانًا عَظِيمًا، وَقُولُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مُرِيمَ رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبَّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظُّنُونِ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَلْ رَفَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا، وَإِنْ مَنْ أَهْلَ الْكِتَابَ إِلَّا

لَيُؤْمِنُ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً.

فَبَطْلُمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ، وَبَصَدَّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا، وَأَخْذَهُمْ الرِّبَا وَقَدْ نَهَا عَنْهُ، وَأَكْلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ،
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^(١).

إِنَّ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةَ تَسْجُلُ مَجْمُوعَةً مِنْ جَرَائِمِ يَهُودِ التِّي اسْتَحْقَوْا بِهَا
غَضْبَ اللَّهِ وَعِقَابَهُ، وَالْجَرَائِمُ الْيَهُودِيَّةُ التِّي أُورِدَتْهَا إِحْدَى عَشَرَةِ جَرِيمَةٍ،
وَذُكِرَتْ بِأَيْمَانِ السَّبَبِيَّةِ فِيهَا أَرْبَعُ مَرَاتٍ.

(١) النَّسَاءُ: ١٥٥ - ١٦١.

قتلهم بعضهم بعضاً

أخبرنا القرآن بأن الله أوقع بيني إسرائيل أول عقوبة، وكانت زمن موسى عليه السلام، وذلك بأن الله أمرهم أن يقتلوها، وأن يقتل بعضهم بعضاً. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِالْخَدْرَكُمُ الْعِجْلَ، فَتُوبُوا إِلَيَّ بِارْبَكُمْ، فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِبَكُمْ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ﴾^(١).

عبد بنو إسرائيل - أو فريق منهم بصورة أدق - العجل الذي صنعه لهم «السامري» عندما غاب موسى عنهم وذهب لتکليم ربه، ورجع إلى قومه ووجدهم يعبدون العجل، فحرق العجل ونسفه في اليم نسفاً، وطرد السامری وجعله يهيم على وجهه في الصحراء حتى وافته منيته، وعاتب قومه أشد العتاب على جريتهم وكفرهم بالله .

وندم فريق من بنى إسرائيل على فعلتهم وأرادوا التوبة إلى الله، ودلّهم الله على طريق التوبة المقبولة، فأمرهم أن يقتلوا أنفسهم .. أمرهم أن يهجم الصالحون منهم - الذين لم يعبدوا العجل - على الكافرين الذين عبدوه، وأن يقاتلوهم ويقتلواهم.

ونفذوا الأمر، وحدثت مقتلة في بنى إسرائيل، وقتلت مجموعة منهم ،

(١) البقرة: ٥٤ .

وتاب الله عليهم ﴿ فتوبوا إلى ربكم فاقتلو أنفسكم ، ذلك خير لكم عند ربكم ، فتاب عليكم ﴾ .

وقد يستغرب بعض الناس هذه العقوبة الربانية ليهود، مع أنها لا غرابة فيها، فإن عنيف وبشاعة الجريمة التي ارتكبها - وهي عبادة العجل - هي التي أوحى بهذه العقوبة. إنهم قد كفروا بالله وارتدوا عن دينه عندما عبدوا العجل، ومعروف أن المرتد في الإسلام يستتاب وإلا يقتل بسبب ردهه وكفره، وما كان الذين عبدوا العجل إلا مرتدين كافرين مستحقين للقتل، إنها عقوبة تتناسب مع الجريمة، ولعلها من أوائل ما أوقع الله بهم من عقوبات.

الحكم عليهم بالتيم في سيناء

وهذه عقوبة ربانية أخرى ضد اليهود، وهي بسبب ذنب أو ذنوب حدثت منهم، فقد أمرهم نبيهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة، ووعدهم النصر على أعدائهم فيها. وانزوى إيمانهم في قلوبهم، وضاعت شجاعتهم ورجولتهم وسط جبنهم وذلهم، وبرز الجن والذل والخوف والملع ورفضوا آية محاولة لتشجيعهم وبث الحماسة في نفوسهم، وتكلم هذا على ألسنتهم، وأعلنوا عدم استعدادهم للمشاركة في القتال، وطلبو من موسى أن يذهب للقتال مع ربه: ﴿قالوا: يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها، فاذهب أنت وربك فقاتلوا، إنما هؤلاء قاعدون﴾^(١).

أمام هذا الموقف الجبان منهم وجد موسى عليه السلام نفسه وحيداً من البشر - إلا من أخيه هارون عليه السلام - فتوجه إلى ربه بهذا الدعاء: ﴿ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي، فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين ﴾^(٢) دعا ربه أن يفرق بينه وبين هذا الجيل اليهودي الجبان الذي لا يريد الحياة، واستجاب له ربه - لأن دعاء الأنبياء مستجاب عند الله - فأوحى إليه: ﴿ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة، يتبعون في الأرض، فلا تأس على القوم الفاسقين ﴾^(٣).

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) المائدة: ٢٥.

(٣) المائدة: ٢٦.

وتاه بنو إسرائيل في سيناء أربعين سنة، وحق عليهم حكم الله، ومات ذلك الجيل اليهودي الجبان الذي ولد على الذل والجبن وعاش عليه، ومات وسط الصحراء تائهاً، ونشأ من أولاده جيل جديد، جيل عاش على الشدة والقسوة وشظف العيش وقصوة الحياة، جيل آذته الصحراء بجذبها وقوتها، جيل ولد في بيئه كلها خشونة، أيقطت فيه الرجولة والهمة والتحمل والصبر والشجاعة والإقدام، جيل التحاج إلى الله وأخلص له، واستفاد مما نما فيه من سمات الرجال المجاهدين، وقاد موسى عليه السلام هذا الجيل الجديد نحو البلاد المقدسة، وفتح هذا الجيل تلك البلاد بعد وفاة موسى عليه السلام بقيادة يوشع بن نون، ونصره الله على أعدائه المشركين الوثنين.

تشديد الأحكام عليهم

يهود أصحاب تاريخ حافل بالتمرد على أحكام الله، وسجلهم مليء بالأمثلة والنماذج والحالات التي يتحايلون فيها على أحكام الله، ويتناولونها بالتحريف والتزوير و«المزاجية». وهم بهذا يظلمون أنفسهم ويعرضونها لغضب الله عليهم ولعنته لهم، وقد وقع بهم جزاء أعمالهم وتحايلهم وتحريفهم، فشدد الله عليهم الأحكام وحرّم عليهم طيبات كانت مباحة من قبل.

وقد سجل القرآن نماذج من الأحكام المشددة التي ما فرضها الله عليهم إلا عقوبة لهم على جرائمهم، قال تعالى: ﴿فَبَظْلَمُ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمَنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أَحْلَتْ لَهُمْ﴾^(١).

وأشارت سورة الأنعام إلى بعض هذه الطيبات التي حرمتها الله ﷺ وعلى الذين هادوا حرّمنا كلّ ذي ظُفر، ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما، إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اخالط بعظام، ذلك جزيئاً بيّن لهم، وإنما لصادقون ﴿٢﴾.

حرم الله عليهم كل ذي ظفر: أي كل حيوان لم تخرج قوائمه، وإنما هي متصلة الأصابع، وذلك مثل الجمل والنعامة والوز والبط.

(١) النساء: ١٦٠.

(٢) الأنعام: ١٤٦.

وحرّم اللّه عليهم شحوم الأنعام من البقر والغنم، واستثنى من هذه الشحوم المحرمة ما حملت ظهور البقر والغنم منها ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ كما أباحت لهم الشحوم التي على «الحوایا» وهي المباعر، وأبیع لهم الشحم الملتصق بالعظم مثل الشحم الذي على العصعص أو القواص والجنوب.

ويهمنا التعقیب الذي أوردته الآية على هذه المحرمات المشددة، حيث ذكرت فيه التعليل لذلك، والسبب الذي من أجله حرمتها عليهم: ﴿ذلك جزيناهم ببغיהם﴾. يعني أن هذه الأحكام المشددة إنما هي عقوبة عليهم، وجاء على بغائهم وظلمهم وفجورهم وتحايلهم.

لكن هل تأدب اليهود مع اللّه؟ وهل استقاموا على منهج اللّه؟ وهل التزموا أحكام اللّه؟ كلاً، إنهم قد نشأوا على البغي والظلم، والاعتداء على أحكام اللّه والتجايل عليها وتحريفها.

حرّم اللّه عليهم الشحم فلم يأكلوه مباشرة، وإنما أكلوه بطريقة يهودية ماكرة خبيثة.

روى البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن رسول اللّه ﷺ قال: «لعن اللّه اليهود، حُرمت عليهم الشحوم، فباعوها وأكلوا أثمانها» المهم أنهم أكلوها سواء أكلوها هي أم أكلوا أثمانها، فإن كل ما كان حراماً أكله كان حراماً بيعه والانتفاع بشمنه، ولهذا يحرم بيع الخمر والخنزير لحرمة شرب الخمر وأكل الخنزير، وطالما حرم اللّه على يهود أكل الشحم فقد حرم عليهم بيعه. ولكنهم اليهود في تمردهم على أوامر اللّه!!

الإصر الثقيل عليهم

أخبرنا القرآن أن الله قد وضع على يهود إصرًا ثقيلاً، وطالبهم بالالتزام به بدقة، ويتمثل هذا الإصر في الأحكام المشددة التي أوجبها الله عليهم، والطبيات التي حرمتها الله عليهم.

والإصر لم يستعمل في القرآن إلا ثلاثة مرات: مرتان منها في الحديث عن يهود، والثالثة في الإشارة إلى عهد الله الذي أخذه على أنبياءبني إسرائيل في الإيمان بمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

قال الله تعالى: «وَإِذْ أَخْذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لِمَا آتَيْتُكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْتَصِرُنَّ بِهِ.. قَالُوا: أَفَقُرْتُمْ وَأَخْذَتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي؟ قَالُوا: أَقْرَنَا، قَالَ: فَاشْهَدُوكُمْ وَأَنَا مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ»^(١).

والإصر هنا هو «العهد المؤكّد الذي يبطّن ناقضه عن الشواب والخيرات».

والمقصودون بالإصر هنا المأخوذ على الأنبياء هم أتباعهم، لأن الأنبياء يؤمنون أصلاً بمحمد عليه الصلاة والسلام، لكن أتباعهم قد لا يؤمنون بالنبي الخاتم عليه السلام، والسباق الذي وردت فيه الآية هو في الحديث عن أهل الكتاب اليهود والنصارى، لذلك كانوا هم المقصودين بالعهد المؤكّد فيها.

(١) آل عمران: ٨١.

أما الآياتان الأخريان فهما في الحديث عن اليهود والأحكام الشديدة التي أخذت عليهم.

قال تعالى: ﴿ لَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، رَبُّنَا لَا تُؤَاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَلْنَا، رَبُّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلَتْهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا. رَبُّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾^(١).

وحتى نعرف فضل الله على الأمة المسلمة ورحمته بها، واليسير في الأحكام والتشريع، والتزام الصحابة بالواجبات، وتسليمهم بما دلت عليه الآيات، ورضاهما بما أوجبه الله عليهم، نعيش في جو نزول تلك الآية.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَإِنْ تُبُدُّوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يَحْاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ، فَيغْفِرُ لَمَنْ يَشَاءُ، وَيَعْذِبُ مَنْ يَشَاءُ. وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(٢)، اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم برکوا على الرُّكْبَ، فقالوا: أي رسول الله: كُلفنا من الأعمال ما نُطِيقُ: الصلاة، والصيام، والجهاد، والصدقة، وقد أُنْزِلَتْ عليك هذه الآية، ولا نطيقها. قال رسول الله ﷺ: «أَتَرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قَوْلُوا: سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا، غَفَرَانَكَ رَبِّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» قالوا: سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا غَفَرَانَكَ رَبِّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. فلما اقتربَها القوم ذَلَّتْ بِهَا أَسْتَهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ، كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ، لَا نَفْرَقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ، وَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطْعَنَا غَفَرَانَكَ رَبِّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾^(٣) فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى، فأنزل الله عز وجل: ﴿ لَا يَكْلُفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، رَبُّنَا لَا تُؤَاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَلْنَا، رَبُّنَا وَلَا

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) البقرة: ٢٨٤.

(٣) البقرة: ٢٨٥.

تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عننا، واغفر لنا، وارحمنا. أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ^(١).

وفي رواية أخرى أوردها الإمام مسلم في صحيحه: **فأنزل الله: ﴿لَا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾**. قال: قد فعلت. **﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا﴾**. قال: قد فعلت. **﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به، واعف عننا، واغفر لنا، وارحمنا، أنت مولانا﴾**. قال: قد فعلت.

قد فعلت: استجبت لكم أيها المؤمنون، فلم أحمل عليكم إصراً وحملأ ثقيلاً كما حملته على الذين من قبلكم، وإنكم تختلفون عن اليهود والنصارى، كان اليهود متحايلين محرفين ظالمين معذبين فاستحقوا أن نحملهم إصراً عظيماً وحملأ ثقيلاً، أما أنتم فملتزمون منفذون راضيون ولهذا لم نحمل عليكم ذلك الإصر.

وقال تعالى في الآية الثالثة - والأخيرة - التي تشير إلى الإصر الذي أخذه الله على اليهود، وأنه لا يوضع عنهم إلا إذا آمنوا بمحمد عليه السلام ودخلوا في دينه وطبقوا شريعته: **﴿قال: عذابي أصيب به من أشاء، ورحمتي وسعت كل شيء، فسأكتبها للذين يتقوون ويقيمون الصلاة والذين هم بآياتنا يؤمنون.** الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم العبائث، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعززوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون. **قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميماً﴾^(٢).**

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) الأعراف: ١٥٦ - ١٥٨.

ويهمنا في هذه المجموعة من الآيات حديثها عن رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام، ومهما تهتم عند أهل الكتاب، وهي أنه يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، أي أنه يريد أن يخفف عنهم، وأن تنسخ رسالته بعض الأحكام المشددة في تحريم طيبات عليهم.

وهذا ما حصل فعلاً، وكل من قام بمقارنة سريعة بين بعض الأحكام في التوراة وهذه الأحكام في الإسلام يخرج بهذه النتيجة.

أشار الإمام الزمخشري في كشافه - أثناء تفسير الآية - إلى مجموعة من الأحكام الشديدة على اليهود والتي يبدو فيها الإصر الثقيل عليهم فقال: الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي يحبسه عن الحراك لثقله. وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته، نحو: اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، وكذلك الأغلال، مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة، نحو: بت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الديمة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وفرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق في اللحم، وتحريم السبت^(١).

الإصر الثقيل كان عقوبة من الله لليهود، وقد تمثل في الأحكام الشاقة القاسية التي طالبهم الله بها جزاء ظلمهم وعدوانهم وبغيهم وانحرافهم.

(١) الكشاف للزمخشري: ٢: ١٢٢.

إلقاء العداوة والبغضاء بينهم

أوقع الله سبحانه وتعالى على اليهود عقوبة أخرى، وهي عقوبة شديدة أليمة، لقد تحولت العلاقات بينهم من الألفة والمحبة إلى الكراهية والحدق، وحلت العداوة والبغضاء محل الأخوة والانسجام.

ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء، فصار أحدهم ينظر إلى أخيه بمنظارها، ويحدد صلاته به على أساسها. قال تعالى : ﴿وقالت اليهود يَدُ الله مغلولةٌ غُلِّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا، بَلْ يَدَاكُمْ مِبْسُوتَانِ يَنْفَقُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَلَيُزِيدُنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلْ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ طَغْيَانًا وَكُفْرًا، وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعِدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(١).

وكون العداوة والبغضاء هما القاعدة التي تحكم العلاقات بين أفراد المجتمع، والمنظار الذي ينظر منه كل إلى الآخر، وحلوها محل العلاقات والقيم الإنسانية، هذا كله عقوبة أليمة، وهي ضريبة دفعتها يهود بسبب افترائهم على الله، وحربيهم للحق الذي جاءهم منه وتحريفهم له وقتلهم لأهله، لقد تفكك المجتمع اليهودي من الداخل ولم يعد يربط أفراده أي معنى إنساني فاضل، فقد تحولوا إلى أفراد متشاكسين متقاتلين مفككين مختلفين.

وليس هذه العداوة والبغضاء التي ألقاها الله بينهم في فترة زمنية

(١) المائدة: ٦٤.

محددة، وإنما هي حالة دائمة تصبح تاريخهم كله، وسمة عامة لحياتهم كلها على توالي الأزمان والأجيال، ونأخذ هذا من سياق الآية الكريمة: ﴿وَلَقِنَا
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالبغضَاءَ إِلَى يَوْمِ القيَامَةِ﴾ .. إلى يوم القيمة . هذا حكم الله النافذ، وقدره الواقع ، وعقوبته الحقة.

ويقرر القرآن هذه العقوبة النافذة في موطن آخر حيث يقول: ﴿لَا
يَقَاتِلُوكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
جُدُرٍ، بِأَسْهَمِ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ، تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

(١) الحشر: ١٤.

مسخهم قردة وخنازير

وهذه عقوبة لم يوقعها الله على غير اليهود، وحالة عجيبة لم تحدث مع غيرهم من الأمم والشعوب، إنها تغيير حقيقي للشخصية اليهودية، وتحويل تمام لها من الحالة الإنسانية إلى الحالة الحيوانية، ومسخ واقعي تحولوا به من الساحة البشرية إلى قردة وخنازير حقيقة.

هذه العقوبة أوقعها الله باليهود أصحاب القرية.. أصحاب السبت الذين تحايلوا على أوامر الله وارتكبوا ما نهاهم الله عنه، واعتدوا في السبت، فمسخهم الله قردة وخنازير.

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقْلَنَا لَهُمْ كُوْنُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ، فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدِيهَا وَمَا خَلْفَهَا، وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ: مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ وَالخَنَازِيرَ، وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ، أَوْلَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَنْصَلٌ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾^(٢).

وهذه الآيات تشير إلى قصة يهود السبت أصحاب القرية، وقد وردت آيات من سورة الأعراف تشير إلى طرف منها بيايجاز.

(١) البقرة: ٦٥ - ٦٦.

(٢) المائدة: ٦٠.

قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً بِالْبَحْرِ، إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ، إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرُّعاً، وَيَوْمَ لَا يَسْبِطُونَ لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نُبَلُّوْهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لَمَّا تَعْظُّونَ قَوْمًا اللَّهَ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْذِلُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا، قَالُوا مَعْذِلَةً إِلَى رَبِّكُمْ، وَلَعْلَهُمْ يَتَفَوَّنُ . فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَبَنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السَّوْءِ، وَأَخْذَنَا الَّذِينَ ظَلَّمُوا بِعَذَابٍ بَيْسِنَ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهِوا عَنْهُ قَلَّنَا لَهُمْ كَوْنُوا قَرْدَةً خَاسِئَيْنَ ﴾^(١) .

إنها قرية من قرى يهود على ساحل البحر - لا يعنينا تحديد اسمها ومكانتها لأنها من مهامات القرآن التي لا نأخذ بيانها إلا من القرآن أو الحديث الصحيح فقط، وهما لم يتحذثا عن ذلك - أمرهم الله أن لا يصطادوا الأسماك والحيتان يوم السبت، ولكن أئمَّةَ اليهود الذين مردوا على المخالفه والعدوان أن يتزموا بأمر الله!! وزيادة في امتحانهم وابتلاتهم كانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم الذي لا يصيرون فيه على وجه الماء شرعاً، وكأنها سفينه أو شراع، وكأنها تدعوهم إلى صيدها وتغريهم بها، وتسثير نفهمهم إليها، وفي باقي أيام الأسبوع لا تأتيهم، ويبحثون عنها في البحر فلا يكادون يجدونها.

وهل تصرير اليهود المعتمدة على البلاء؟ وهل تصمد أمام الإغراء؟ إنها لا تملك المؤهلات لكل هذا.

لقد احتالوا على أمر الله بحيلة شيطانية أوحى بها العقلية اليهودية الماكرة، إن الله حرم علينا صيد الأسماك يوم السبت ونحن ملتزمون بأمره ولا نصيدها فيه، وكل ما في الأمر أنها نحفر خنادق على شاطئ البحر، فإذا جاءت أمواج البحر وزادت عن طريق المد ملأت هذه الخنادق، وتساقطت الحيتان القادمة يوم السبت في تلك الخنادق، وعجزت عن العودة إلى وسط البحر مع أمواجه، وفي اليوم التالي نأتي إلى هذه الحيتان الأسيبة في الخنادق فتصطادها، ونحن ملتزمون بأوامر الله.

^(١) الأعراف: ١٦٣ - ١٦٦ .

وكان هناك بقية صالحة من بنى إسرائيل تعيش في القرية، راعها هذا التحابيل اليهودي الماكر، فنهبوا عن المخالفه وحدّرّوهم عاقبتها وزجروهم عن الاستمرار فيها، وأدوا واجبهم الذي طالبهم الله به ..

لكن المعذين المتحابيلين لم يرتدعوا ولم يتزجروا بل استمرروا في عدوائهم، فأوقع الله بهم عقوبته وقال لهم: كونوا قردة خاسئين، فمسخوا قردة خاسئين، وصاروا يتحركون كما تتحرك القردة، وأنجى الله المؤمنين الذين كانوا ينهون عن العداون والسوء والفساد.

ويبدو أن أولئك القردة اليهود لم يتناسلوا بعد مسخهم، ولم يعشوا إلا فترة قصيرة بعده.

قصوة قلوبهم

عاقب الله اليهود عقوبة أخرى ضمن العقوبات التي أوقعها فيهم جراء بغيهم وكفرهم ومحاربتهم لدين الله وأوليائه، وهي عقوبة ذات أثر بالغ في نظرتهم إلى دينهم وصلتهم بربهم وعلاقاتهم مع الآخرين من حولهم، تلك هي القسوة التي أصابت قلوبهم، فتحكمت فيها وجعلتها كالحجارة أو أشد قسوة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسْتُ قُلُوبَكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحَجَرَةُ أَوْ أَشَدُ قَسْوَةً، وَإِنَّ مِنَ الْحَجَرَةِ لَمَا يَتَفَجَّرَ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَسْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(۱).

والعجب أن قسوة قلوبهم كانت بعد وضوح الحق لهم، وبعد ما رأوا بعيونهم آية من آيات الله، حيث أحيا الله قتيلاً منهم بعد ما تم ضربه بجزء من البقرة التي ذبحوها، فتكلّم القتيل الميت وأخبر عن قاتله، وهذا المشهد كفيل أن يلين أقسى القلوب إلا قلوب اليهود، وأن يرقق أكثر الأفئدة جفاء وصلادة إلا أفئدة اليهود.

والأية القرآنية تسجل غاية الصدق والحق والصواب عندما تقرر درجة القسوة القاتلة التي أصابت قلوب يهود، إنها أقسى من الحجارة، الحجارة الصلدة الصماء المعروفة في قسوتها وبيسها أقل من قلوب يهود في القسوة،

_____.
^(۱) البقرة: ۷۴.

وأكثر من قلوب يهود رقة وندارة وتأثيراً وخشوعاً واستجابة، فمن الحجارة ما تفجّر منها الأنهر والعيون على مشهد من يهود أنفسهم عندما استسقى موسى عليه السلام - لهم، فضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، ومن الحجارة ما يشقق فيخرج منه الماء، ومن الحجارة ما يهبط من خشية الله، كما دكَ الجبل الذي تجلَّى ربه عليه أمام موسى عليه السلام.

هذه الحجارة في رقتها وندواتها واستجابتها وتفاعلها وهي حجارة صماء. أما قلوب اليهود التي يزعمون أنها إنسانية وفيها مشاعر وعواطف ومعانٍ وسمات الإنسانية فإنها قاسية مجذبة صلدة.

وهذه القسوة القاتلة التي أصابت قلوبهم فجعلتها أقسى من الحجارة إنما كانت بسبب نقضهم ميثاقهم مع الله، وأي قلب يجرؤ أن ينقض عهده وميثاقه مع الله رب العالمين؟ إنَّ القلب يتبرج أن ينقض عهده مع أخيه الإنسان ويحسب لذلك كل حساب، ويخشى من ذلك العواقب، فكيف يستطيع هذا القلب أن ينقض عهده مع ربه؟ إنه لا يفعل ذلك إلا قلب أقسى من الحجارة كقلب يهود، أو من اقتدى بهم في نفائهم ورذائهم.

قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً، يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عنْ مَوْاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًا مَمَّا ذُكِرُوا بِهِ، وَلَا تَرَالْتَعْلُمُ عَلَى خَائِنَةِ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾^(١).

وتبيّن الآية سبب إيقاع اللعنة عليهم والقسوة على قلوبهم من خلال باء السببية ﴿فِيمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾.

ونأخذ من الآية قاعدة عامة تمثل سنة ربانية عامة لا تختلف، وهي إن كل من نقض عهده مع الله وتجرأ قلبه على هذه الجريمة فإن معاني الخير والرحمة والإنسانية تنضب من قلبه، والمشاعر والعواطف تجف في فؤاده، ويحل

(١) المائدة: ١٣.

مكانها القسوة والصلادة والغلظة، ونعود بالله من القلب القاسي، ومن كل ما يوصل القسوة إليه.

ولقد كانت اليهود تعرف هذه القسوة من قلوبهم، ومن ثم يدعون الآخرين إلى أن يأسوا منهم ومن إصلاحهم وهدايتهم، لما دعاهم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الإسلام بينوا له أنه لا فائدة ترجى منهم لأن قلوبهم غلف:

﴿وقالوا قلوبنا غُلَفٌ، بل لعنهم الله بکفرهم فقليلًا ما يؤمنون﴾^(١).

﴿وقولهم قلوبنا غلف، بل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفُرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قليلاً﴾^(٢).

قسوة قلوب يهود لازمتهم في كل تاريخهم، وهي بارزة يلحظها كل من تعامل معهم، وهي أبرز ما تكون عند يهود هذا الزمان.

(١) البقرة: ٨٨.

(٢) النساء: ١٥٥.

لعنة الله وغضبه عليهم

لعن الله اليهود لعنة دائمة، وغضب عليهم غضباً متجدداً مستمراً، وكان ذلك بسبب جرائمهم ومفاسدهم ورذائلهم، وسجل القرآن هذه اللعنة وهذا الغضب عقوبة ربانية ثابتة.

من آيات اللعنة هذه الآيات:

﴿لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مُرْيَمَ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ. كَانُوا لَا يَتَنَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ أَمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا عَلَيْنَا مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمَسَ وَجْهَهَا فَرَدَهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السُّبْتِ﴾^(٢).

﴿أَلْمَ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصِيباً مِنَ الْكِتَابِ، يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْرِ وَالْطَّاغِوتِ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنْهُمُ اللَّهُ، وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾^(٣).

﴿قُلْ هَلْ أَنْبَئُكُمْ بِشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ مُثْوِيَّةٍ عِنْدَ اللَّهِ؟ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضَبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقَرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبْدَ الطَّاغِوتِ﴾^(٤).

(١) المائدة: ٧٨ - ٧٩.

(٢) النساء: ٤٧.

(٣) النساء: ٥١ - ٥٢.

(٤) المائدة: ٦٠.

﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَشَهَدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ، وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لِعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ ﴾^(١).

وَمِنَ الْآيَاتِ الَّتِي تَقْرِيرُ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّنَالَهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾^(٢).

﴿ وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَبِأَوْرَادِهِمْ بِغَضَبِهِمْ مِّنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفِرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتَلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(٣).

﴿ فَبِأَوْرَادِهِمْ بِغَضَبِهِمْ عَلَى غَضَبٍ، وَلِلْكَافِرِ عِذَابٌ مُّهِينٌ ﴾^(٤).

(١) آل عمران: ٨٦ - ٨٧.

(٢) الأعراف: ١٥٢.

(٣) البقرة: ٦١.

(٤) البقرة: ٩٠.

ضرب الذلة والمسكنة عليهم

أخبرنا الله أنه قد ضرب على اليهود الذلة والمسكنة، وكان هذا عقوبة منه سبحانه أوقعها بهم، وكانت الذلة والمسكنة بسبب ما اقترفوا من جرائم وأثام، وما تعاملوا به مع دينهم من تحريف وعدوان وتبدل وافتراء، وما تعاملوا به مع أنبيائهم من مزاجية واعتداء.

قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجْلَ سَيِّنُوهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَكَذَّلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾^(۱).

إن اليهود قد استجلبوا غضب الله والذلة في الحياة الدنيا عندما عبدوا العجل، ومتي عبدوا العجل؟ عبده زمن موسى عليه السلام، وعندما ذهب لمناجاة ربه وترك بينهم النبي هارون عليه السلام.

لقد كفروا بالله بعبادتهم للعجل، والذي يكفر بالله إنما يستحق غضب الله، ومتي يرضي الله عن كافر به؟ والذي يكفر بالله إنما يكون ذليلاً طيلة حياته، وتكون الذلة ملازمته له، وكل أمة كفرت بالله تلازمها الذلة وتصاحبها، لأن الله أبى إلا الذلة لأعدائه، كما أبى إلا العزة لأوليائه، وهذه سنة ربانية لا تختلف عن حياة البشرية.

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَلْتَمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصِيرَ عَلَى طَعَامِ وَاحِدٍ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَخْرُجُ لَنَا مَا تَبْتَأْسُ أَرْضَنْ مِنْ بَقْلَاهَا وَقِثَائِهَا وَفُؤَمَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصْلَاهَا،

(۱) الأعراف: ۱۵۲.

قال أَتَسْبِدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، اهْبِطُوا مَصْرًا فَإِنْ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ، وَبِاؤُوا بِغُضْبٍ مِّنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفِرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١﴾.

والنظر في الآية يرى أن إخبارها بضرب الذلة والمسكنة على اليهود قد سبقته الإشارة إلى حادثة في تاريخهم زمن موسى عليه السلام لها ارتباط بالذلة والمسكنة، فقد أنعم الله عليهم في الصحراء بالمن والسلوى - والمن هو نبات طيب حلو الطعم، والسلوى هي طيور السمانى - ولكن اليهود عافت نفوسهم هذا الطعام اللذيد واشتاقت إلى الطعام الغليظ الحشن الذي تعودوا في مصر زمن ذلهم وعبوديتهم لفرعون، فقالوا لموسى : ﴿اُدْعُ لَنَا رَبِّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تَبْتَ في الْأَرْضِ مِنْ بَقْلَاهَا وَقَثَائِهَا وَفُؤَاهَا وَعَدْسَهَا وَبَصْلَاهَا﴾ فاستغرب موسى عليه السلام هذا الطلب الذي ينم عن تمكّن الذلة والعبودية في نفوس أصحابه فقال : ﴿أَتَسْبِدُلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ؟﴾ وأي حر كريم يرفض نعمة الله عليه بالطعام اللذيد ويستبدل به الذي هو أدنى من الطعام الحشن؟ أي إنسان يرفض اللحم المشوي ويختار بدله الفول والعدس والبصل؟ .

والملاحظ أن هذا الطلب اليهودي الغريب يدلّ على عبوديتهم لأصناف الطعام والشراب أكثر من عبوديتهم لرب العالمين ، وذلهم أمام أصناف الطعام بحيث يدفعون مقابلها أغلى شيء ، حتى ولو كان هذا الثمن هو حريتهم وحياتهم الإنسانية الكريمة ، ألم يفعلوا هذا عند فرعون؟ ويتنازلوا عن حريتهم وإنسانيتهم مقابل طعامهم وشرابهم؟ لو لا أن أنقذهم الله بموسى عليه السلام .

والتاريخ الواقع والتجارب تخبرنا عن ذلة وجبن ومسكنة من استعبدته أصناف الطعام والشراب وألوان المتعاب واللباس ، والرسول ﷺ يبيّن لنا مقدار

٦١) البقرة: ٦١ .

ذلة وتعasse من كان من هؤلاء بقوله: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انقش».

وتحبّرنا الآية عن سبب إحلال الذلة والمسكنة على يهود بقولها:
﴿وَصُرِبتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَيَاوِا بِغَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحِقْطَنِ، ذَلِكَ بِمَا عَصَمُوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

هذه هي مؤهلاتهم في حياتهم التي أهّلتهم للذلة والمسكنة: كفرهم بآيات الله، وقتلهم أنبياء الله، وعصيانهم لأوامر الله، واعتداؤهم على أحكام الله.. وماذا بقي لهم بعد كل هذه الجرائم؟ وماذا يرجى من أمة ارتكبت هذه القبائح؟ لقد كانت الذلة والمسكنة التي حلّت بهم جزاءً وفقاً لهذه الآثام.

تشريدهم في الأرض

وهذه عقوبة ربانية يراها ويلحظها ويدركها كل من نظر في تاريخ يهود، إن الله قد كتب عليهم التشريد في الأرض، والضياع بين الأمم والشعوب الأخرى.

يخبرنا القرآن عن هذا الحكم الرباني والعقوبة الإلهية بقوله: ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقروا إلا بحبل من الله وحبل من الناس، وبأذوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسكنة ﴾^(١)

الذلة ضربت عليهم وأوقعت بهم، أينما ثقروا ووجدوا وحلوا، في أي زمان ومكان. كل من ظفر بهم أذلهم، وكل من أدركهم أذلهم، وكل من أقاموا معه أذلهم، إنها الذلة مع التشريد، والمسكنة مع الضياع.

إنها رحلة، رحلة مضنية شاقة يقطعها يهود، رحلة تشريد وضياع بين الأمم، رحلة ممزوجة بالذلة والمسكنة، وفي نهاية رحلتهم المريرة يعودون وقد جنوا منها ما جنوا من الذلة والمسكنة، ولكن الألم من هذا هو أوبتهم وعدوهم بغضب من الله ﴿ وبأذوا بغضب من الله ﴾.

ويشاء الله أن يرفع عنهم هذه العقوبة والذلة أحياناً، عن طريق بعض الناس الذين يمدون ليهود حبلاً من التمكين والقوة والمدد والمساعدة ﴿ إلا بحبل من الله وحبل من الناس ﴾.

(١) آل عمران: ١١٢.

وتخبرنا سورة الأعراف في آيتين صريحتين عن التشريد الذي حلّ بيهود ولازمه في كل تاريخهم: ﴿وَإِذْ نَذَرَ رَبُّكَ لِيَعِشُّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ . إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ . وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّاً، مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ، وَبَلَوَنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لِعَلِيهِمْ يَرْجِعُونَ﴾^(۱).

هذا حكم الله عليهم، وإن الله فيهم، ليعيشُ عليهم إلى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب، إن الله هو الذي يسلط على يهود من يذبهم، وإن هذا التسلط والبعث والإرسال مستمر إلى يوم القيمة، يعني أن التشريد والعذاب مستمران عليهم إلى قيام الساعة طيلة تاريخهم كله.

أما الآية الثانية فتخبرنا أن الله قد شتّتهم وفرقهم: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّاً﴾ أي فرقناهم في بقاع الأرض، ومزقناهم شر ممزق، وأوقعنا بهم هذا التشريد والضياع، فتحول اليهود من أمة واحدة إلى أمم كثيرة.

والتاريخ يخبرنا عن هذه الحقيقة القرآنية: فبعدما ارتكب يهود ما ارتكبوا من الكفر والفسق والعصيان، أخرجوا من الأرض المقدسة وتفرقوا في بقاع الأرض، وبعث الله عليهم في كل حين من يسومهم سوء العذاب، وشتووا في البلاد وتفرقوا بين الأمم والشعوب، وراحوا يجترون الآلام والمصائب، ويعيشون على العذاب والذلة، وانزروا داخل «الجيتو» اليهودي في كل بقعة، وانكمشا على أنفسهم، وتمكن منهم الحقد والبغض والعداء للإنسانية، وضمير المعاني الإنسانية في نفوسهم ونفوس أبنائهم، وصاروا ينشئون الأبناء والأحفاد على معاني الكره والحقن والبغضاء، فيخرجون نسخة طبق الأصل من الطبيعة اليهودية المشوهة الخالية من المعاني الإنسانية.

وهذا المعنى تقرره سورة الإسراء: ﴿وَقَلَّا مِنْ بَعْدِهِ لِبْنَي إِسْرَائِيلَ اسْكَنُوا الْأَرْضَ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ، جَثَّنَا بَكُمْ لَفِيفًا﴾^(۲).

(۱) الأعراف: ۱۶۷ - ۱۶۸.

(۲) الإسراء: ۱۰۴.

اسكنا الأرض: أي تفرقوا في الأرض، وتشتوا في بقاعها، فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً، أي إذا جاء وعد الإفساد الثاني لكم - الذي ذكر في أول سورة الإسراء - جمعناكم من كل بقاع الأرض، وجئنا بكم إلى الأرض المقدسة، وحشرناكم فيها ليتم هلاكم وقتلכם، وبها يتنهى تاريخكم.

ولعله قد قربت نهاية يهود إن شاء الله، حيث قد بدأ تجميعهم في هذا العصر في الأرض المقدسة - أرض فلسطين -، ونحوها في إقامة دولتهم، وصاروا يتسعون على حساب جيرانهم من العرب، ويهازونهم في حروبهم معهم - لتخلي العرب عن إسلامهم - ولكنها فترة لا بد أن تمضي، ثم يحلّ باليهود القتل والهلاك عندما يعود العرب والمسلمون إلى دينهم، ويجاهدون به أعدائهم.

الفصل الرابع

الكيان اليهودي المعاصر
من خلال المنظار القرآني

نجح اليهود في إقامة دولة لهم في فلسطين، بعد تحطيط وإعداد طوilyin استمرا عدة أجيال، وبعد ما وصل أعداؤهم المسلمين إلى مرحلة من الذلّ والضعف والتآخر والانحطاط لم يصلوا إليها في تاريخهم السابق.

تمكن اليهود بالتحالف مع الصليبيين - وهم الذين أطلق عليهم القوى الاستعمارية والدول الغربية - من القضاء على المظهر الشكلي للدولة الإسلامية المتمثل في الخلافة العثمانية، ثم استعمار أقطار العالم الإسلامي كافةً من خلال الجيوش الإنجليزية والفرنسية والروسية - وأخيراً القوات الأمريكية -، وأعطيت فلسطين لإنجلترا، وتحالف اليهود مع الإنجليز في تنفيذ إقامة دولة لهم في فلسطين.

وببدأ اليهود يفدون إلى فلسطين من مختلف أقطار العالم، وقدّم لهم الجيش البريطاني المستعمر كل أسباب وأساليب القوة والحماية والتمكين، وقاوم المسلمون في فلسطين هذا الغزو اليهودي، وقدّموا من خلال الجهاد صوراً عظيمة من الرجلة والتضحية والشهادة، لكن لم يكن هناك تكافؤ بين القوات في الجبهة، فأقام اليهود أول دولة لهم في العصر الحاضر في فلسطين عام ١٩٤٨ ، وسرعان ما اعترفت بها هيئة الأمم المتحدة لحظة إعلانها، وأصبحت دولة معترفاً بها بين دول العالم.

هذا بينما أقصى العربُ - الذين تعرضوا لهذا الهجوم اليهودي الصليبي

- الإسلام عن المعركة والوجود والمجتمع، وخضعوا في مواجهتهم لليهود - إن كانت هناك مواجهة - لآراء ونصائح ورغبات وتوجيهات الصليبيين والملحدين الذين قدّموا لليهود كل ما يحتاجون إليه، وصار هؤلاء الأعداء الحاذدون يرسمون للأمة العربية والإسلامية طريق الحياة ويرشدونها إلى كيفية مواجهة اليهود، ونفّذ المسؤولون ما أوحى إليهم من أسيادهم المستعمرین الأعداء، وأوصلوا الأمة إلى حالة من الضياع لا تخفي على كل ذي عينين.

الحرب النفسية اليهودية ضد المسلمين

يشنُ اليهود حرباً نفسية شديدة ضد المسلمين بهدف إلقاء الخوف والهلع والرعب في قلوبهم، وإيصالهم إلى مرحلة من اليأس والقنوط، وإقناعهم باستحالة مواجهة اليهود والانتصار عليهم، وأن الواجب يقضي بقبول المسلمين بالأمر الواقع، والتعامل مع اليهود باعتبارهم دولة قوية لا تقهـر، والقبول باحتلالهم لفلسطين كلها، ولكل قطعة من الأرضي تحتلها فيما بعد، والدخول مع اليهود في مفاوضات سلمية والاعتراف الكامل بهم، ويوحـون للأمة بأن هذا الموقف هو عين الحكمة والمنطق والحنكة والعقلانية وبعد النظر.

ويوحـون للأمة عن طريق هذه الحرب النفسية بأنه لا فائدة من المقاومة وال الحرب والقتال، لأن اليهود متفوقون أقوىـاء، ويـوحـون للأمة بأن دعـاةـ الحلـ السـلمـيـ فيـهاـ والـاعـتـراـفـ بـالـيهـودـ وـقـوـبـلـ الـأـمـرـ الـوـاقـعـ هـمـ الـمـخـلـصـوـنـ لـهـاـ،ـ الـحـرـيـصـوـنـ عـلـىـ إـنـقـاذـهـاـ،ـ الرـاغـبـوـنـ فـيـ تـقـدـمـهـاـ وـرـقـيـهـاـ وـخـيـرـهـاـ،ـ فـلـ بـدـ أـنـ تـقـبـلـ عـلـيـهـمـ وـتـنـفـذـ آـرـاءـهـمـ وـتـرـضـىـ بـحـلـوـلـهـمـ.

ويـوحـونـ لـلـأـمـةـ بـأـنـ إـلـاسـلـامـيـنـ دـعـاهـ الـجـهـادـ وـمـوـاجـهـهـ الـيهـودـ،ـ الـذـيـنـ لـاـ يـعـتـرـفـوـنـ بـهـمـ وـيـطـالـبـوـنـ بـإـعادـةـ كـلـ فـلـسـطـيـنـ لـلـمـسـلـمـيـنـ،ـ وـيـنـادـيـنـ بـالـجـهـادـ الشـامـلـ حـلـاـ لـلـقـضـيـةـ،ـ وـيـحرـّمـونـ الـاعـتـراـفـ بـالـيهـودـ وـإـعـطـاءـهـمـ وـلـوـ جـزـءـاـ يـسـيرـاـ مـنـ فـلـسـطـيـنـ،ـ يـوحـونـ بـأـنـ هـؤـلـاءـ خـيـالـيـوـنـ مـتـطـرـفـوـنـ،ـ لـاـ فـقـهـ لـهـمـ بـالـسـيـاسـةـ وـلـاـ بـالـحـرـبـ وـلـاـ بـالـتـعـالـمـ مـعـ الـآـخـرـيـنـ،ـ وـأـنـ هـؤـلـاءـ أـعـدـاءـ الـأـمـةـ لـأـنـهـمـ يـدـعـونـهـاـ إـلـىـ

مواجهة حربية مع اليهود هي فاشلة فيها، وهم مخربون لاقتصادها وقتها ونمائها، حريصون على إيقاع المصائب والنكبات والشروع بها.

هذه هي الحروب النفسية التي يشنها اليهود ضد المسلمين، ليحصلوا منهم على الإقرار بهم والاعتراف بدولتهم، والتنازل عن الأرض والشعب والحق، وهم بذلك يريدون أن يقضوا على كل معانٍ الصمود والثبات عند الأمة، وأن يحطّموا نفسياتها ومقاومتها، وأن يوصلوا الهزيمة إلى نفوسها وعقولها وقلوبها.

إنهم يفعلون ذلك لأنهم يعلمون أن الهزيمة العسكرية في الميدان ليست نهاية المعركة، ولا يتبع عنها استسلام الخصم وإقراره بشرعية انتصار عدوه.

إن اليهود يعلمون أن الأمة المسلمة لن تعتذر لهم ولا بشرعية احتلالهم لفلسطين طالما أن الهزيمة لم تصل إلى الصفيح، ولم تتغلغل في القلب والعقل والنفس والشعور، وأن هذه الأمة ستبقى تعمل على الإعداد والاستعداد والجهاد حتى تسترد البلاد وتقضى على الفساد.

إنهم يعلمون أن الأمة لن تستسلم لهم إلا إذا حُطمت إرادة القتال في بنيها، وذلك بالقضاء على الإيمان وحياته في القلوب، وزرع اليأس في النفوس، وتحويلها من نفوس أبية تعشق الجهاد وترغب في الاستشهاد وتشتاق لمواجهة الأعداء وحربيهم، إلى نفوس ذليلة خاضعة مستكينة، ترى أنه لا أمل من الجهاد ولا فائدة من الحرب والإعداد، وتجعل فيها مسامحة اليهود والتعايش معهم وتسليمهم البلاد مكان بغض هؤلاء اليهود وقتالهم وتحرير البلاد منهم.

إن اليهود يريدون أن يقنعوا الأمة بأن قوة اليهود وانتصارهم ستبقى إلى الأبد، وأن ضعف المسلمين وهزيمتهم أمام اليهود كذلك لا يمكن أن يتغير، وأن كل كلام غير هذا الكلام إنما هو نوع من الخيال والضلالة.

ويستخدم اليهود مختلف الوسائل والأساليب لغرس هذه الادعاءات والأغالط في قلوب وعقول ونفوس أبناء الأمة، حتى تكون عندهم حقائق بديهية يقينية لا تقبل النقض أو الرد. فمن وسائلهم في هذه الحرب الخطيرة: الصحف والمجلات والإذاعات والمراسلون الصحفيون ووكالات الأنباء، والأفلام والمسلسلات والتمثيليات والمسرحيات، والمواقف والتصریحات والكلمات، والدول والمسؤولون والمتنفذون.

ويساهم كثيرون في توصيل هذه الوسائل إلى أفراد الأمة، ويخدمون في العالم هذا الهدف اليهودي الخطير، وتُرسم للأمة المسلمة خطة شيطانية ماكرة، يتتج عنها إيصال الناس إلى هذا الهدف اليهودي. والعجيب أن هذه الخطة تنفذ بدقة عجيبة: تكون الأحداث في الأمة موجهة مفتعلة مقصودة لإقرار هذه الخطة والتبيّحة، يورطون الأمة في مشكلات ومطبات ونكبات وأزمات سياسية وعسكرية واقتصادية وعلمية وحضارية، وتتورط هذه الأمة في هذه الأمور في مواجهتها مع اليهود، وتخرج من كل ذلك بالفشل والهزيمة والضلال، ويصفون هذا إلى رصيدها من اليأس والإحباط والفشل.

وقد نجح اليهود في هذه الحروب النفسية، وفي إيصال قطاعات كبيرة من المسؤولين والمتتنفيذين في الأمة، ومن الموجهين والمخططين والمنفذين، ومن ذوي الحكم والسلطان وذوي الفكر والرأي، إلى التسلیم بهذه الأغلوطة اليهودية: وهي أن اليهود وجدت دولتهم لتبقى، وأنها دولة لا تقهـر إلى الأبد، وأن التفكير في هزيمتها وتحرير فلسطين كلها ضرب من الجنون والانتخار، وأن هزيمة المسلمين أمام اليهود لا تتغير ولا تختلف، وأنها ضربة لازب نافذ دائم.

واقتنع هؤلاء الأغار المخدوعون بأن الحل إنما هو في الاعتراف باليهود، وإقرارهم على احتلال فلسطين والتعايش معهم.

وتحول هؤلاء من دعاة جهاد وحشد وقتل، ومن مجندین لطاقات الأمة

ضد أعدائها اليهود، ومن موظفين لكل إمكاناتها في مواجهتهم، إلى دعاء للحل السلمي مع اليهود والتعايش معهم، وعملوا على تبييض الأمة وإحباطها والقضاء على إرادة القتال فيها، وعملوا على إيصال الحرب النفسية اليهودية إلى نفوسها وقلوبها وعقولها، وارتقت أصوات في الأمة المسلمة في هذا العصر تنادي بكل هذا، وتجعل هذا هو قمة العقلانية والحنكة والسياسة وبعد النظر.

ولكن بقي في الأمة المسلمة قلبها النابض ونفسها الأبية وعقلها الفطن وبصيرتها النافذة، إنهم الإسلاميون فيها، إنهم جنود الله وأصحاب القرآن، إنهم الذين ينظرون إلى الواقع اليهودي بمنظار القرآن، ويتعاملون مع الدولة اليهودية على هدي القرآن، ويزنون اليهود بميزان القرآن، ويرون الكيان اليهودي في فلسطين على ضوء حقائق القرآن، ويقيّمون قوة اليهود المزعومة على أساس تقريرات القرآن، وينظرون لمستقبل اليهود في فلسطين من خلال وعود القرآن، ويخرجن من كل هذا بحقائق بدائية يقينية، ومعالم هادبة قرآنية بارزة.

هؤلاء هم أمل الأمة، وهم الحريصون على حياتها وجودها وسعادتها وتقدمها، الذين يريدون الخير لها، ويسعون إلى تبوء منزلتها العالمية ومكانتها المرموقة بين الأمم، ويجهرون هؤلاء الأحياء المبصرون بما يستخرجونه من القرآن حول اليهود وقوتهم ودولتهم في هذا العصر، ويقدمون هذا لأفراد الأمة، ويدعونهم إلى التعامل مع الحقائق القرآنية الهدادية بشأن اليهود.

إن القرآن يخبرنا بأن اليهود قد ضربت عليهم ذلة الأبد ومسكتة الأبد، وأن ما يعيشونه الآن في فلسطين ما هو إلا فترة قصيرة يتحكمون فيها، ثم يعودون إلى الذلة الدائمة والمسكتة المستمرة. ونستتبط من هذا أن تمكين اليهود الآن إنما هو بحبل من الله وبحبل من الناس، وإنما هو لفترة قصيرة ثم تتقطع هذه العجلات التي تمدهم بالتمكين والحياة. إن الوجود اليهودي في فلسطين وجود هش، وإن كيائهم في فلسطين كيان زائل، وإنهم سيخرجون

من فلسطين وستعود إلى الإسلام والمسلمين، ولذلك لا بد أن تكون عند كل أفراد الأمة قناعة إيمانية بهذه اللاءات: لا، للحل السلمي مع اليهود. لا، للاعتراف بدولتهم في فلسطين. لا، تنازل لهم عن جزء من فلسطين. لا، للتعايش معهم. لا، لإغلاق باب الجهاد معهم. لا، لفتح القلوب والعقول لحربهم النفسية. لا، لإلقاء السلاح في مواجهتهم. لا، لمنع الصوت الإسلامي والتوجيه القرآني والحل الرباني في مواجهتهم.

إن الأمة المسلمة مطالبة أن تكون هذه اللاءات عندها بدهيات لا تقبل النقض، وبيئيات لا يتطرق إليها الشك، وضرورات حياتية أهم من الماء والهواء والغذاء، وأنه قد يُتنازل عن كل شيء إلا عنها، لأن التنازل عنها يعني موت الأمة وزوالها، والأمة مطالبة أن تستعد استعداداً شاملاً جاداً صادقاً لتحقيق هذه اللاءات في عالم الواقع.

الكيان اليهودي المعاصر من خلال سورة آل عمران

قال تعالى: ﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم، منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون، لن يضركم إلا أذى، وإن يقاتلوكم يُولُوكم الأدبار، ثم لا ينصرون. ضربت عليهم الذلة أينما ثُقِفوا - إلا بحَبْلٍ من الله، وحَبْلٍ من الناس - وباءوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسْكَنَةُ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله، ويقتلون الأنبياء بغير حق، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾^(١).

هذه الآيات الثلاث من سورة آل عمران تتحدث عن اليهود وتاريخهم، وعن صلتهم بال المسلمين، وعن مصير مواجهتهم للمسلمين، وتشير إلى فترات الصحو اليسيرة من تاريخهم الممزوج بالذلة والمسكنة، وتدل على العجال الممدودة إليهم ليتعلقا بها تعلق الغريق في «قصة» النجاة، وإلى قطع هذه العجال عندما يريد الله.

وإن هذه الآيات تنطبق على اليهود في هذا الزمان، وعلى كيانهم في فلسطين في هذه الأيام.

ولهذا ندعو المسلمين إلى أن ينظروا إلى كيان اليهود بمنظار هذه الآيات وأن يكون تقويمهم له وتوقعهم لمستقبله على أساسها، وأن تكون عندهم القناعة الثابتة بالحقائق والتقريرات التي تضمنتها.

(١) آل عمران: ١١٠ - ١١٢.

اليهود - حتى في هذه الأيام - لن يضرّوا المسلمين عندما يكونون ملتزمين إلا أذى. واليهود - حتى في هذه الأيام - عندما يقاتلون المسلمين يوْلُونهم الأدبار. واليهود - حتى في هذه الأيام - لا يُنْصرون في قتال مع المسلمين الربانيين الصادقين. واليهود - حتى في هذه الأيام - ضُربت عليهم الذلة، فهم يتحرّكون من خلالها ويعيشون في ظلالها. واليهود - حتى في هذه الأيام - أذلاء أينما ثقفوا وحيثما حلوا وأقاموا وعاشوا. واليهود - حتى في هذه الأيام - يعيشون ويتنفسون من خلال الحال الممتدة إليهم كما تمتد للغريق. واليهود - حتى في هذه الأيام - باعوا بغضب من الله، وضربت عليهم المسكنة، ولهذا لا ينالون خيراً ولا سلطاناً.

لن يضركم إلا أذى

أول هذه الحقائق التي تقدمها هذه الآيات أن اليهود لن يضروا المسلمين ضرراً بالغاً، وإنما ضرراً خفيفاً يتمثل في الأذى الخارجي .

إن اليهود شديدو العداوة للإسلام والمسلمين ﴿لَتَجِدُنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١) ولهذا يكيدون للإسلام والمسلمين كيداً يهودياً حاقداً، يهدفون من وراءه إلى القضاء على الإسلام وإيقاع بالغ الضرر بال المسلمين .

وهم خائبون في ذلك، ويمتد كيدهم إليهم، ويرتد إلى نحورهم، والتاريخ الإسلامي شاهد على هذه الحقيقة .

وفي هذه الأيام يزداد الكيد اليهودي ضد هذا الدين، والمكر اليهودي ضد المسلمين، وبخاصة بعدما أقاموا كيانهم في فلسطين، ويتركز كيدهم ومكرهم ضد دعوة الإسلام، وحملة القرآن، الحاملين له في مواجهة اليهود وأعوانهم، ويهدف اليهود إلى القضاء على هؤلاء حتى لا تستيقظ الأمة على خطرهم وتستعد لمواجهةهم والقضاء عليهم، وتُصبُّ صنوف العذاب صباً على هؤلاء الدعاة بتحطيط من اليهود وإياع منهم، ويُطْشَن بهؤلاء الأولياء بطشاً، وينزج بهم في السجون، ويفصلون من وظائفهم، ويحاربون في أرزاقهم وأعراضهم ورجلاتهم، ومنهم من يصاب جسده بالتشويه من التعذيب، ومنهم

(١) المائدة: ٨٢.

من يلقى وجه ربه شهيداً على أعداء المشانق أو داخل السجون.

ويشقق المشفقون على دعاء الإسلام، وعلى الإسلام الذي يحملونه،
ويتوقعون للإسلام أن لا يتشر ولدعاته أن لا يثبتوا، ولدعوتهم أن تموت،
ويتوقعون أن ينجح الحقد اليهودي اللثيم ضد الإسلام ودعاته.

وتنكشف الغاشية، وترتفع المحنة، وإذا الإسلام أثبت وأقوى، وإذا
دعاته أكثر جداً وثباتاً وعزيمة وعملاً، وصدق الله ﷺ لن يضروكم إلا أذى

إن اليهود لن ينجحوا في إيصال الضر إلى جوهر الإسلام وقلوب
المسلمين لأن الله يحميهم، وكل ما في الأمر أن تكون نتيجة ضرهم أذى،
مجرد أذى، أذى خارجي ظاهري بسيط يسير، سرعان ما يتلاشى ويزول،
ويبقى الجوهر صافياً، ويبقى القلب سليماً، ويبقى العمل متواصلاً، والعطاء
مستمراً، والمواجهة مع اليهود دائمة.

وإن يقاتلوكم ي ولوكم الأدبار، ثم لا ينصرون

وهذه هي الحقيقة القرآنية الشابطة، التي تنطبق على كيان اليهود المعاصر. إنه ما من معركة تقع بين اليهود وال المسلمين إلا كانت الغلبة فيها لل المسلمين، والهزيمة على اليهود، حيث يولون المسلمين الأدبار، ويلوذون منهم بالفرار.

ولو سألنا التاريخ الإسلامي فسيقدم لنا هذه الشهادة:

حصلت في مطلع هذا التاريخ معارك شديدة عنيفة بين اليهود وبين المسلمين فكان النصر للمسلمين والهزيمة لليهود.

لقد هزم المسلمون اليهود في المدينة المنورة، حيث أجلَّ رسول الله ﷺ يهود بنى قنیقاع، ثم يهود بنى النصیر، وقتل يهود بنى قریظة، وفتح خير أعظم قلاع اليهود هناك، وهزم يهود فدك وتيماء، ولم يعد لليهود وجود ولا كيان في كل بلاد العرب.

وواصل المسلمون انتصاراتهم، وطوى التاريخ الإسلامي مراحله وسنواته، ولم تقع معارك بين المسلمين واليهود خلال ثلاثة عشر قرناً، لأنَّه لم يكن هناك كيان لليهود.

وفي مطلع هذا العصر تجمع اليهود في غفلة من المسلمين، واستغلوا ضعف المسلمين وتركهم لدينهم وأسباب عزتهم، وإقصاء المسلمين

لإسلامهم وإحلال مناهج الكفر والجاهلية في حياتهم ومجتمعاتهم، واستجلابهم بذلك الذلة والهزيمة.

ووقعت معارك غير متكافئة بين اليهود وبين هؤلاء المسلمين المتخلفين الأذلاء، المستحقين لسخط الله وغضبه، وحشد اليهود كل وسائل الحرب المادية المتقدمة، ولم يواجههم ذراري المسلمين لا بأسباب القوة المادية ولا المعنية، وكان لا بد من هزيمة هؤلاء أمام اليهود، لأن هذه هي سنة الله التي لا تختلف، وأقام اليهود كيانهم في فلسطين، وواصلوا انتصاراتهم على خصومهم الذين واصلوا هزائمهم أمامهم.

ولو كان المسلمون هؤلاء مسلمين حقاً وصدقأً كما يريد الله لما انتصر عليهم اليهود في معركة واحدة ﴿ وإن يقاتلكم يولوكم الأدبار ﴾ ولهزموهم كما هزمهم الرسول عليه الصلاة والسلام وصحبه الكرام .. ولكن يوم النصر قادم، وهزيمة اليهود آتية، وتوليهم الأدبار أمام المسلمين متحققة بإذن الله، عندما يلتزم المسلمون بإسلامهم حقاً وصدقأً، وسيفعلون هذا كله إن شاء الله، وهذا عندنا يقين لا شك فيه.

ضربت عليهم الذلة

وتبخرنا هذه الآيات بحقيقة قرآنية أخرى، متعلقة باليهود وتاريخهم، ونراها متحققة في كيانهم، ومنطبقه عليهم في حاضرهم وواقعهم، وهي ضرب الذلة عليهم وضرب المسكنة عليهم، وملازمتهم لهم في كل أحوالهم.

وعبرت الآيات عن لصوق الذلة والمسكنة بهم بكلمة «ضربت». وهذه الكلمة توحى بالحالة الدائمة التي لا تفارقهم، والضرب هنا يعني الختم، تقول: ضربت الدرارهم والدنانير، يعني صُهرت المعادن صهراً، وسُكبت سكباً، لتخرج على صورة الدرارهم أو الدنانير.

وهذا ما نلحظه في تاريخ اليهود كله، فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ضرباً، وكان نفوسهم أعيد تكوينها من جديد، حيث مزجت بالذلة والمسكنة مزجاً، وخلطت بهما خلطاً، وعجنـت بهما عجناً، ثم أعيد تشكيل هذه الشخصية اليهودية وأخرجـت إلى الخارج والواقع، فكانت مصنوعة من الذلة والمسكنة، وتغلـلت هذه الذلة والمسكنة في كافة حنایاها، وتدخلـت في جوانبها، وسرـت في دمائـها وأعصابـها ومشاعـرها وأعضـائـها.

كذلك بـرـزـتـ هذهـ السـمـةـ فيـ التـارـيـخـ اليـهـودـيـ حيثـ كانـتـ مـلاـزـمـةـ لـهـ فيـ كلـ مـراـحلـهـ وأـطـوارـهـ، إـنـهـ تـارـيـخـ صـيـغـ منـ الذـلـةـ وـالـمـسـكـنـةـ، إـنـهـ تـارـيـخـ أدـلـاءـ صـاغـرـينـ، إـنـهـ تـارـيـخـ أـقـوـامـ مـلـوـنـينـ مـغـضـوبـ عـلـيـهـمـ مـضـطـهـدـينـ مـشـرـدـينـ.

وطالـماـ أـنـ الذـلـةـ وـالـمـسـكـنـةـ نـشـأـتـ عـلـيـهـمـ نـفـوسـهـمـ وـشـخـصـيـاتـهـمـ فـإـنـ

نفوس يهود هذا الزمان لا تخرج عن ذلك، إنها صيغت من الذلة والمسكنة ونفذت بهما ونمطت من خلالهما.

وطالما أن الذلة والمسكنة ضربت على تاريخهم وصيغ من خلالهما، فإن تاريخهم المعاصر لا يخرج عن هذا الإطار، وإن كيانهم القائم لا يشد عن هذه القاعدة، وإن المبصرين يكادون يرون هذه الذلة والمسكنة في أشخاص اليهود الذين يظن أنهم أقوىاء، وعلى كيان يهود القائم الذي يظن أنه عزيز قوي منيع، وستزول الهالة التي تحجب هذه الرؤية عن الناس، وسيرون بعون الله - في قادم الأيام - هذه الذلة والمسكنة على اليهود المعاصرين وكيانهم، حيث تكون بارزة لكل ذي عينين.

أينما ثقروا

يقرر القرآن إيقاع الذلة باليهود أينما ثقروا. قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ﴾^(١).

ومعنى أينما ثقروا: أينما وجدوا وحيثما حلوا، في أي زمان كانوا، وفي أي مكان أقاموا. إنهم أذلاء، وهذه الذلة مضروبة عليهم ضرباً، ومقررة عليهم سلفاً، ضربة لازب، وحكم قاطع، وجزاء جرائمهم وفظائعهم.

أذلاء أينما ثقروا، ولو كانوا متحكمين في العالم في القرن العشرين، لأن هذا التحكم يعقبه الإذلال، وتحكمهم في العالم أمدّه قصير، وعاقبته وخيمة.

أذلاء أينما ثقروا. ولو وجهوا قدرات وإمكانات أمريكا وغيرها لمصالحهم وتحقيق أهدافهم، لأن هذا إلى حين، ثم تصحو الشعوب هناك على حقيقة الخطر اليهودي، فتبطش بهم وتحول تحكمهم إلى إذلال دائم.

أذلاء أينما ثقروا، ولو أقاموا لهم دولة في فلسطين وكياناً في المنطقة، ولو هزموا الذين أمامهم من العرب، وأخضعوا دول المنطقة وشعوبها لهم. أذلاء ولو فعلوا كل هذا وأكثر من هذا، لأن هذا كله إلى حين، ثم تزول هذه الغاشية عن الأمة المسلمة، وتسترد إيمانها وعافيتها وشبابها، وتسرى فيها دمائها، وتستعلي بدميتها وتلتزم بإسلامها، وتتقدم لليهود ومعها هذا الزاد..

(١) آل عمران: ١١٢.

عندما - وهي قادمة بعون الله - تزيل هذا الكيان، وتوقع بهم من الإذلال ما توقع، وسوف يرى اليهود حيثئذ أن هذا الكيان قد أوصل بهم إلى الإذلال، وكان سبباً فيما أصابهم من نكمة البشرية عليهم، وإيقاعها بهم.

بهذا المنظار كذلك نظر إلى الكيان اليهودي المعاصر، وهذه هي النهاية التي توقعها له، وهي الذلة التي ستقع بها به بإذن الله.

إلا بحبل من الله

هذه الذلة والمسكنة ملزمة لليهود، ومنطبقة على حياتهم كلها، ولا يكاد يخرج كيانهم القائم عن هذا ﴿ ضربت عليهم الذلة أينما ثقروا، إلا بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس ﴾.

وتبخرنا هذه الآية بحقيقة قرآنية قاطعة، وهي حقيقة الحال الممتدة إلى اليهود، والتي أشبه ما تكون بحبل الإنقاذ للغريق.

وهذه الحال الممدودة إليهم نوعان: حبل من الله، وحبل من الناس.

ونلتفت إلى لفترة قرآنية لطيفة في هذا الخصوص، وهي التعبير عن الحال بالمفرد ﴿ حبل من الله، وحبل من الناس ﴾ وكان الآية تقصد إلى تقليل هذه الحال وتهويتها وقصرها، وسرعة زوالها وتقطعها. إنها في حقيقتها حبل واحد، وإنها في قوتها حبل واحد، وإنها في قصرها حبل واحد.

وهذا الحبل ورد بصيغة الاستثناء ﴿ إلا بحبل من الله ﴾، يعني أن الذلة والمسكنة ملزمة لليهود في حياتهم الطويلة، ولا يكاد يخرج عنها إلا فترة قصيرة جداً، تمر في لحظة سريعة جداً، وهي التي يتقطع فيها الحبل ويزول ويتلاشى.

وكيان اليهود القائم الآن يمثل هذه الفترة التي يُظن فيها زوال الذلة والمسكنة عنهم، فما هو إلا لفترة يسيرة ريشما ينتهي فيها أمد الحبل الممدود

إليهم من الله ، ويقطع العجل الممدود لهم من الناس .

إلا بحبل من الله : وحبل الله الممدود لليهود الآن هو قدر الله الواقع ومشيئته النافذة ، حيث قدر عليهم أن يعيشوا فترة قصيرة سريعة في كيان وسلطان ودولة وسيادة ، فيمارسون فيها الضلال ويقومون بالفساد والإفساد ، وبعدها تقع بهم سنة الله ، فيزول الكيان والسلطان ، ويقطع عنهم حبل التمكين والسيادة ، ويعودون إلى ذل الأبد وضياع الأبد ومسكنة الأبد وهوان الأبد .

وهذا العجل ممدود لهم من الله بإذن الله ولفترة يقررها الله ، وسوف يقطعه الله متى شاء ، والمهم عندنا هو أن نكون نحن ستاراً لقدر الله ، حيث يجعل زوال كيانهم على أيدينا ، وإنهاء مد العجل لهم بعد بعثنا وانتصارنا .

وحجل من الناس

أما الحجل الثاني الذي يمتد إلى كيان اليهود القائم فهو آت من الناس، ويتمثل في قيام الناس بخدمتهم وتحقيق مخططاتهم وتقديم العون والمساعدة لهم.

وهذه الحبال الممدودة لليهود من الناس قد كثرت في هذه الأيام، حيث يسارع السُّلُج والمخدوعون في خدمة اليهود وكسب ودهم ورضاهem، ومد حبال المساعدة لهم. وإننا لزراها حبلاً كثيرة ممدودة لكنها حبال واهية ضعيفة سرعان ما تقطع وتزول، وفتش عن كيان اليهود بعد قطع الحبال التي تمده بالحياة، وما هو مصير الغريق عندما ينقطع به حبل الإنقاذ؟ وما هو مصير الجنين عندما ينقطع به «الحجل السري» الذي يمده بالغذاء؟.

هذه الحبال الممتدة إلى اليهود الآن في حقيقتها كأنها حبل واحد هزيل ضعيف، وهي حبال ممتدة إليهم من أعونهم وأنصارهم وعملائهم وحتى أعدائهم.

من هذه الحبال الممتدة إليهم، والتي مكنت كيانهم وسلطانهم :

الحجل البريطاني: الذي كان أول الحبال امتداداً إليهم، والذي تمثل في الانتداب - أو الاستعمار بتعبير أدق - البريطاني لفلسطين، ليتمكن لليهود فيها، وينشئ كيانهم فوق أرضاها، وقد بقي هذا الحجل ممدوداً حتى أقاموا

كيانهم وأعلنوا دولتهم عام ١٩٤٨، ثم متّت أمريكا حبلها الممدود لليهود، وبدأ الجبل البريطاني يضعف تدريجياً.

الجبل الفرنسي: الذي مُدّ به اليهود في فترة متزامنة مع الجبل البريطاني، والذي قدم لهم الكثير من أسباب القوة، ولكن أصابه ما أصاب الجبل البريطاني من ضعف وهوان.

الجبل الأمريكي: وهو أهم الجبال الممدودة لكيان اليهود في هذه الأيام، وأكثرها م坦ة وقوة ونفعاً وخدمة. لقد خطط اليهود الماكرون للسيطرة على أمريكا قبل فترة طويلة، باعتبارها قائدة العالم الجديد، والقارة البكر ذات الاحتياطات الهائلة والطاقات المذخورة، وباعتبارها وارثة الجاهلية والكفر في حربها للإسلام وحقدها على المسلمين.

ويمد هذا الجبل الأمريكي كيان اليهود بكل ما يحتاج إليه، ويقدم له ما يشاء بسخاء نادر، ويفتح له خزائنه وأرصنته وصناعاته واختراعاته، وينهب اليهود ما شاؤوا بدون حساب من الخيرات الأمريكية الكثيرة، وتتحول أمريكا بأموالها وأسلحتها وصناعاتها وشعبها وحكامها وإمكاناتها إلى خادمة لليهود محققة لما يريدون.

الجبل العالمي: وهو المتمثل بغفلة وسذاجة الشعوب العالمية والدول المختلفة، وجعلها بالخطر اليهودي وعجزها عن تقدير خطورته أو رسم استراتيجية مواجهته، واستسلامها أمام مكاييد اليهود ومكرهم، وكون هذه الشعوب هي حقل التجارب اليهودي والأرض التي ينفذون فيها ما يشاؤون، والسوق الرائجة التي يسوق فيها اليهود بضائعهم ومبادلهم ومفاسدهم، وهي تمد اليهود بأسباب القوة والحياة، ويدفعون لهم الأموال الطائلة التي تعينهم على الوجود والاستمرار.

الجبل العربي: لا ننسى الجبل العربي الممتد لليهود كذلك، والذي يمد كيانهم بعوامل القوة والبقاء. وهذا الجبل يتمثل في خطدين:

الخط الرسمي: حيث يتمثل في الفرقة والاختلاف والاقتتال بين المسؤولين، مما يوهن قوى الأمة ويعثر جهودها ويقوّي أعداءها. ويتمثل هذا الخط أيضاً في محاربة هؤلاء للإسلام وإقصائه وإحلال أنظمة الجاهلية مكانه، مما يؤدي إلى مزيد من الضنك والعذاب والفوضى والمشكلات والمصائب. ويتمثل هذا الخط في محاربة هؤلاء لجنود الإسلام ودعاته وحملته ومواجهه الصوت الإسلامي الأشد، مما يوقع بهم غضب الله ولعنته وسخطه، ويظهر آثار هذا في الواقع والحياة. ويتمثل هذا الخط في إقبال بعض هؤلاء على اليهود يسيرون معهم بذلة ومسكنة وهوان، فيوالونهم ويمالئونهم ويحالونهم ويفاوضونهم ويستعينون بهم في حرب الحق وأهله.

الخط الشعبي: ويتمثل في غفلة وسذاجة الشعوب العربية، وأحزابها وتنظيماتها وهيآتها، وشبابها وشاباتها، وسلوكيهم الطريق المؤدي إلى الهزيمة والذلة، وارتكابهم المحرمات والمعاصي، وابتعادهم عن طريق القوة وسبيل العزة المتمثل في التزام هذا الدين عقيدة وعبادة وشريعة ونظام وحياة.

وبأوا بغضب من الله

اليهود استحقوا بسبب جرائمهم لعنة الله، وحلّ بهم غضب الله، وهذا الغضب ملازم لهم في حياتهم وتاريخهم، وينطبق هذا الغضب على يهود هذا الزمان وعلى كيانهم القائم في هذه الأيام.

وهذا ما تقرره آيات آل عمران: ﴿ وبأوا بغضب من الله ﴾^(١).

وآيات الأعراف: ﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا ﴾^(٢).

وآيات البقرة: ﴿ بشما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله، بغيراً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فأباوا بغضب على غضب ﴾^(٣).

إنهم سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا، وقد نالوا ذلك وما زالوا ينالونه وسيبقون ينالونه ويعيشون فيه.

ولأنهم ﴿ بأوا بغضب من الله ﴾ وتشير الكلمة «بأوا» إلى لفتة قرانية لطيفة، وحقيقة صادقة: إنهم بدأوا رحلتهم التاريخية بالغضب من الله، وشردوا في الأرض وعاشوا فيها قرونًا عديدة مصاحبين لهذا الغضب،

(١) آل عمران: ١١٢.

(٢) الأعراف: ١٥٢.

(٣) البقرة: ٩٠.

والعجب أنهم عندما آبوا من رحلتهم، وعادوا من تشتتهم، وتداعوا لإقامة
كيانهم، وقدمو إلى فلسطين «لفيفاً»، واستصحبوا معهم ما جنوه من تاريخهم
كان غضب الله عليهم هو أبرز هذا الجني، وأوضح هذه الشمار.

آبوا من رحلتهم الطولة المديدة بغضب من الله، واستحضروه معهم إلى
فلسطين، واستقدموه معهم إلى كيانهم، فكان كياناً مصنوعاً من الغضب
الرباني عليهم، مخلوطاً به، وتحلل هذا الغضب وتدخل في كل جزئية في
هذا الكيان.

والعجب أنهم ﴿باؤوا بغضب على غضب﴾ كما تقرر سورة البقرة،
يعنى أن غضب الله عليهم ليس حالة طارئة بل هو حالة دائمة، وسمة
مطردة، وصفة عامة انطبقت على حياتهم وتاريخهم. وكانوا هم يضاعفون هذا
الغضب، ويجهرون منه في كل فترة الكثير، ويضيفونه إلى رصيدهم الدائم
المتنامي من غضب الله، فباؤوا بغضب على غضب، وكيف يوفق الملعون؟
وينجح المغضوب عليه؟! .

كيف يوفق الملعون؟ أو ينجح المغضوب عليه؟

باء اليهود بغضب الله عليهم، واستمرار هذا الغضب وملازمته لهم، واستحقوا لعنة الله عليهم واستمرار هذه اللعنة وملازمتها لهم.

وقد وردت آيات كثيرة تقرر هاتين الحقيقتين تقريراً واضحاً، وقد أوردنا بعضها قبل قليل عند حديثنا عن عقوبة الله لهم بالغضب واللعنة، مما أعنيه عن إعادتها هنا.

لكنا ننطلق من هذه الحقيقة، وننظر في الكيان اليهودي المعاصر من خلال هذه الآيات، ونستشرف مستقبله على ضوء حقائقها، فنرى نهاية هذا الكيان وزوال هذا السلطان.

إننا نقول: إن اليهود مغضوبٌ عليهم، وإن يهود ملعونون، وإن اليهود «عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيمة» - كما يكرر ذلك الإمام ابن كثير رحمه الله -، وهذه اللعنة وهذا الغضب متتحققان على يهود في هذا الزمان، وملازمان لكيانهم في هذه الأيام.

نتساءل بعد هذا التقرير: كيف يوفق الملعون؟ وكيف ينجح المغضوب عليه؟ وأئن له أن ينال عزاً وتمكيناً؟ وسعادة وخيراً؟ أو راحة وطمأنينة؟ أو فرحاً وسروراً؟ أو نصراً وسلطاناً؟ وإذا موه على بعض الناظرين فظنوا ما هو فيه صحة وسلامة فإن المبصرين المتعمدين، أصحاب النظارات القرآنية، والمنطلقات القرآنية، والقاعدة القرآنية لا تخدعهم هذه الظواهر

الخادعة، ولا تعشو على عيونهم هذه الحالات الفارغة، ولا يعتبرون كل ما يلمع ذهباً، ولا كل انتفاح سمنة، ويقولون: إن اليهود ملعونون ومغضوب عليهم، ولهذا لن يُوقفوا ولن يتتصروا، وإن مصير كيانهم محدّد وعاقبة سلطانهم مقرّرة، وزوال دولتهم بدھية يقينية: ﴿أولئك الذين لعنهم الله، ومن يَلْعَنَ اللهُ فلن تجد له نصيراً﴾^(١) ولهذا لن تجد يهود نصيراً، ولن يجد كيانهم نصيراً، بل هو إلى زوال وأضلال.

(١) النساء: ٥٢.

الكيان اليهودي من خلال سورة المائدة

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ، غُلْتُ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنَا بِمَا
قَالُوا، بَلْ يَدُاهُ مَبْسُوتَتَانِ يُنْفَقُ كِيفَ يَشَاءُ، وَلِيزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُ
مِنْ رِبِّكَ طَغْيَانًا وَكُفْرًا . وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كُلُّمَا
أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ، وَيَسْعَونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُفْسِدِينَ ﴾^(١) .

وقد تحدثنا عن هذه الآية في ما سبق من مباحث هذا الكتاب ، ولكن
تستوقفنا جملة منها تلقي ضوءاً على الكيان اليهودي المعاصر ، ونحن ندعور
المسلمين إلى النظر إلى هذا الكيان اليهودي بنور من تلك الجملة القرآنية .
إنها قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ . إنها تقرّر
حقيقة قاطعة ، لقد قدر الله أن يبقى اليهود متعارضين متباغضين ، وألقى بينهم
العداوة والبغضاء ، وهذه العداوة والبغضاء دائمة بينهم إلى يوم القيمة ، بمعنى
أنها تصبح تاريخهم كله في هذه الحياة الدنيا ، وتشيع في أفرادهم أينما كانوا
وحيثما وجدوا .

ولا يخرج كيانهم الذي أقاموه عن هذه الصفة ، ولا يستثنى أفراد هذا
الكيان من هذه الظاهرة . إنه كيان العداوة ومجتمع البغضاء والكرابية . إن

(١) المائدة: ٦٤ .

العداوة والبغضاء هي التي تحدد علاقة أفرادهم فيما بينهم، وطوائفهم وأحزابهم فيما بينها.

إنها أعقد مشكلة وأعو奇妙 قضية أن يختلف أفراد الأمة، وأن تسودهم العداوة والبغضاء مكان المودة والإخاء، وهي كفيلة باندحار الأمة وزوالها.

ولأننا عندما ننظر في كيان اليهود القائم من خلال هذه الحقيقة نراها تنطبق عليه تماماً، إن أفراد اليهود ومؤسساتهم وتنظيماتهم متعادية متباعدة مختلفة. قد يتافقون لكن إلى حين، وقد يتحدون ولكن لمدة قصيرة، وقد يظهرون الاتفاق والاتحاد لكنهم يخفون العداوة والبغضاء، وصدق الله ﷺ وألقينا بينهم العداوة والبغضاء .

ويجب أن ننظر في مستقبل هذا الكيان من خلال هذه الحقيقة لنرى أنها ستكون من أهم أسباب زواله وتأكله وتفجيره من الداخل !! .

الكيان اليهودي المعاصر من خلال سورة الأعراف

من الحقائق القرآنية البارزة التي تشير إلى تاريخ يهود كله أن الله قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة، وقدر أن يعيشوا مشردين في الأرض، وتأنّ أن يبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيمة.

وتنطبق هذه الحقائق على يهود في هذا الزمان، وتبين استمرار إيقاع الذلة والمسكنة بهم.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأْذَنَ رَبُّكَ لِيَعْشُّنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ، إِنَّ رَبَّكَ لَسريعُ الْعِقَابِ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا ، مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ، وَيَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لِعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾⁽¹⁾.

هاتان الآيتان تمثلان خلاصة التاريخ اليهودي في الماضي والحاضر والمستقبل. وهاتان الآيتان تحددان ملامح التاريخ اليهودي في الفترات القادمة، وتقرران مصير الكيان اليهودي المعاصر في فلسطين.

ولا أدرى كيف يتعمّى أناس عن هاتين الآيتين، ويتناسّون ما تقرّر أنه من حقائق ربانية، ولا ينظرون للكيان اليهودي المعاصر في حاضره ومستقبله من خلالهما.

(1) الأعراف: ١٦٨ - ١٦٧.

إنهم تصلحان أساساً للتقويم والتخطيط والمواجهة، ويجب على كل أفراد الأمة - وبخاصة على سياسيها ومنظريها وقادتها ومسؤوليتها وحكامها وأحزابها - أن يعنوا النظر فيما، وأن يوقنوا بما توحيان به، وأن يجعلوا ما تقررانه حقائق بدهية واقعية صادقة، فيتعاملون مع اليهود على هذا الأساس، ويستشرفون مستقبلهم وفقه.

إنهم تقرران هذه الحقائق:

إن الله قرر أن يقع العذاب على يهود، وأن يبقى هذا العذاب مستمراً إلى يوم القيمة، لا يرفع عنهم إلا فترات ولائي حين، ثم يعاد إلى ما كان عليه. وإن الله هو الذي يبعث من يوقع العذاب بهم بعثاً لاحظ إيحاء ظلال كلمة «لبعش» وما توحى به عملية البعث الرباني من لطائف وإشارات.

وإن هذا العذاب يقع بهم في صورة «قطعنهم في الأرض أمماً»، وهي صورة التقطيع للأمة اليهودية، وتقسيمها وتجزئتها إلى أمم وفرق وجماعات متناحرة.

وهذه هي سمة التاريخ اليهودي العام، حيث انقسم فيه يهود إلى أمم مقطعة مشتتة منتشرة في بقاع الأرض.

إن الآيتين تقرران ملازمة الذلة والتشريد لليهود، واستمرارهما عليهم في كل حياتهم وفترات تاريخهم.

ولا يكاد يجادل أحد في هذه الحقيقة وتحققها في تاريخ اليهود الماضي، ولا ينكر وقوع الذلة والتشريد عليهم فيه، لأن هذا بارز واضح لكل دارس لتاريخهم.

لكن انطباق هاتين الآيتين على اليهود في تاريخهم الحالي موضع شك عند بعض الناس، فلا يُسلم بالذلة والتشريد عليهم فيه، وقد يقول القائل: كيف هذا واليهود في قمة قوتهم وسلطانهم وتأييدهم وسيطرتهم في هذا الزمان؟ وقد أقاموا كيانهم وأسسوا دولتهم، وتحكموا في الدول الأخرى،

وأثروا في الرأي العام العالمي ووجهوه لما يريدون؟! .

نقول: هذا صحيح واضح ولا ينكره إلا مكابر، وهذه تمثل فترة من فترات الصحوة لهم، وهي لا تمتد طويلاً، ثم يعودون إلى الحالة الدائمة وهي الذلة والشريد.

في فترة الصحوة هذه يرتفع الذل عنهم إلى حين، ويزول التشريد إلى حين، وما هي إلا أن يوجد البديل الإسلامي الذي يقود العالم ويزيل على يهود، ويقضي على كيانهم ويعيدهم إلى قزامتهم وحقيقةتهم، ويوقع بهم الذلة والشريد، ويكون ستاراً لقدر الله في تتحقق عليهم، وهذا البديل الإسلامي قادم لا محالة بإذن الله.

إذن ما هي عاقبة هذه الدولة اليهودية؟ وما هو مصير هذا الكيان اليهودي؟ إنها الذلة والمسكنة، وإنه القتل والشريد، والأحداث بعواقبها، والمقدمات بنتائجها، والأشياء بمصائرها والأعمال بخواتيمها، ولذلك نقول: حتى كيانهم القائم ودولتهم الموجودة مظهر من مظاهر تحقق الذلة والشريد عليهم، وهم سائرون إلى هذا المصير، ويحذرهم بعض عقلائهم منه فلا يرعنون.

الكيان اليهودي من خلال سورة الحشر

قال تعالى : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ. لَا يَقْاتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرْبَىٰ مُحَصَّنَةٍ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ، بِأَسْهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ، تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

سورة الحشر هي سورة بني النضير، لأنها تتحدث عن يهود بني النضير الذين حاصروا رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد، ثم أجلاهم من المدينة.

وهاتان الآياتان تشيران إلى صفات ملزمة لليهود، وسمات دائمة فيهم، على اختلاف الزمان والمكان، والظروف والمناسبات والأحوال.

إن اليهود لا يخافون الله ولا يحسبون له حساباً، وإنما يخافون البشر أكثر منه سبحانه، وإن اليهود يخافون من المؤمنين خوفاً شديداً، ويرهبونهم رهبة بالغة، وهذه الرهبة قد ملأت قلوبهم وتغلغلت في صدورهم، وبرزت على حياتهم وتصرفاتهم.

إنهم جبناء يجبنون عن قتال المسلمين جميعاً. «وَجَمِيعاً» في الآية يمكن أن تعود على المسلمين: يعني أنهم يجبنون عن قتال المسلمين مجتمعين، ولهذا يحرض اليهود على أن لا يجتمع المسلمون، ويبذلون كل جهدهم على تفرق هؤلاء المسلمين وتنازعهم، - كما هو الحال في هذه

(١) الحشر: ١٤ - ١٣.

الأيام - وهم يتتصرون على المسلمين عند تفرقهم واختلافهم، لكنهم لا يقاتلونهم مجتمعين.

ويمكن أن تعود «جميعاً» على اليهود أنفسهم، بمعنى أنهم لن يجتمعوا على قتال المسلمين، عندما يكون المسلمون مسلمين حقاً يعيشون الإسلام حياة وواقعاً، وفي هذه الحالة يفتت اليهود ويعجزون عن التجمع لحرب المسلمين، وتسودهم العداوة والبغضاء.

لا يقاتلونكم جميعاً: إن اجتماع المسلمين واتحادهم هو عامل تفكك اليهود وإضعافهم وهزيمتهم، وهم لن يجتمعوا إلا على الإسلام. وإن تفرق المسلمين واختلافهم عامل في قوة اليهود وهزيمتهم لهم، فما ويع المسلمين الذين لا يعرفون هذه الحقيقة، والذين ينفذون خطط اليهود، والذين يكونون سبباً في قوة اليهود وضعف وهوان المسلمين.

وتدلّنا الآيات على أسلوب اليهود في قتال المسلمين الصادقين، إنه أسلوب أملأه عليهم الجبن والخوف والهلع. «إلا في قرى ممحونة، أو من وراء جدر» لا يجرؤون على مواجهة المجاهدين المسلمين على أرض الميدان مواجهة رجال، وإنما يحتمون في قرى ممحونة يقاتلون من داخلها، أو يلوذون بجدر منيعة يختبئون وراءها.

وحتى في حروب اليهود المعاصرة لا يخرجون عن هذه الأساليب، إنهم ما زالوا جبناء عن مواجهة الرجال المجاهدين، ولهذا يقاتلونهم من خلال الأسلحة الحديثة الممحونة.. إنهم يقاتلونهم من داخل الطائرات أو الدبابات، أو يطلقون عليهم الصواريخ، وإنهم يقيمون حول معسكراتهم الأسلام الشائكة المكهرة بأجراس الإنذار.

اليهود لم يحاربوا في حروبهم المعاصرة باعتبارهم رجالاً، وإنما حاربوا خصومهم من خلال أسلحتهم المتطرفة.

وعندما كانوا يضطرون إلى مواجهة الرجال المجاهدين وجهاً لوجه كانت

تسفر هذه المواجهة عن جبنهم وضعفهم وخوفهم، وتقودهم إلى الهزيمة والفرار.

وتشير الآية الثانية إلى صفة دائمة ملزمة لليهود على طول تاريخهم، إنها الفرقـة والاختلاف، ﴿بِأَسْهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾.. تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.

ويجب أن ننظر إلى كيان اليهود القائم من خلال هذه الحقيقة، وأن نستشرف مستقبله على ضوئها، عندها لن تخدعنا المظاهر الخادعة لأنها سرعان ما تزول، ويسارع هذا الكيان إلى الزوال والانقضاض.

بأسهم بينهم شديد، فكيف يكون مصير كيان هذه حالة أفراده، وهذه هي العلاقة التي بينهم.

وقد يحاول اليهود تناسي الخلافات والمشكلات، والظهور بمظهر الوحـدة والتجمع والاتفاق، وخداع الآخرين بهذه الظواهر الخادعة، فتتولى الآية إزالة الخداع وإظهار الحقيقة، وتصوير اليهود من الداخل، داخل النفوس والقلوب ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.

سورة الإسراء وإنسانان لبني إسرائيل

سورة الإسراء سورة مكية أشارت إلى حادث الإسراء، ثم أعقبته مباشرة بالحديث عن بني إسرائيل.

ولسورة الإسراء اسم آخر توقيفي هو سورة «بني إسرائيل»، ولعل هذا الاسم ناتج عن حديتها عن بني إسرائيل بعد الحديث عن الإسراء مباشرة.

وقد عرضت هذه السورة لقطة من تاريخ بني إسرائيل، وأشارت إلى مشهد من مشاهد حياتهم، وتفردت هذه السورة بالحديث عنه، بحيث لم ترد عنه أية إشارة في السورة القرآنية الأخرى.

ذلك هو قيام بني إسرائيل بالإفساد في الأرض مرتين، حيث ذكرت الآيات أن هذين الإفسادين سيقعان في حياتهم، ويلازمها العلو والغطرسة والانتفاش.

وبيّنت الآيات سمات الذين يزيلون الإفساد الأول والإفساد الثاني، وكيفية إزالتهم... .

قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ : لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْتَيْنِ ، وَلَتَعْلُمُنَّ عُلُواً كَبِيرًا إِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعْثَانَا عَلَيْكُمْ عَبَادًا لَنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، فَجَاءُوكُمْ خَلَالَ الدِّيَارِ ، وَكَانَ وَعْدُهُمْ مَفْعُولًا . ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرْهَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَمْدَنَنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ، وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا . إِنَّ أَحْسَنَتُمْ

أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيَسْؤُلُوكُمْ،
وَلَيَدْخُلُوكُمْ الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوهُ أُولَئِكَ مَرَّةٍ، وَلَيُتَبَرَّوْكُمْ مَا عَلَوْكُمْ تَتَبَرَّيْأَ، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يَرْحَمَكُمْ، وَإِنْ عَذَّتُمْ عُذْنَا، وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِ حَصِيرًا^(١).

(١) الإسراء: ٤ - ٨.

بيان المفسرين السابقين للإفسادين

اختللت أقوال المفسرين في تفسير آيات سورة الإسراء، وتعارضت آراؤهم في تحديد الإفسادين الأول والثاني.

فجمهور المفسرين يرون أن الإفسادين تحققوا في الزمان الماضي، وقت أن كان لليهود في فلسطين دولة وسلطان بعد زمن داود وسليمان عليهما السلام، ومع ذلك فقد اختلفوا في تحديد كلٍ من الإفسادين ونوعيتما وكيفيتهمما، وفي تحديد الأشخاص الذين أزالوهما.

والراجح عند هؤلاء المفسرين أن الإفساد الأول كان بقتلهم أشعيا - أحد نبيائهم -، وأن الإفساد الثاني كان بقتل زكريا ويحيى عليهما السلام.

وأن الذين قضى على إفسادهم الأول هو «بختنصر» البابلي الوثنى، الذي دمر بيت المقدس وسي اليهود إلى بال، فأقاموا هناك عشرات السنين، حتى جاء ملك الفرس «كورش» وأعادهم إلى فلسطين.

وأما الذين قضوا على إفسادهم الثاني فهم الروم الذين احتلوا بلاد الشام وساموا اليهود فيها سوء العذاب.

وعندما ننظر في الآيات التي تتحدث عن الإفسادين وعن مظاهرهما وعن مواصفات الجنود المؤمنين الذين يزيلونهما، نجد أنفسنا مخالفين لهذا القول - وإن قال به جمهور المفسرين - لأن تحديدهم للإفسادين وللذين قضوا

عليهما لا يتفق مع ما قررته الآيات، ولأن الأشخاص لا تنطبق عليهم ما فيها من مواصفات.

ونحن نلتمس العذر للمفسرين السابقين فيما قالوه وذهبوا إليه، إنهم كانوا يعيشون في نظام إسلامي قائم، وحكم إسلامي موجود، وقد نظروا في اليهود الذين كانوا يعيشون ذميين في المجتمع الإسلامي وإذا بهم مجموعات من الأفراد المشتبهين الأذلاء الضعاف، لا يتصور أن يكون لهم كيان في المستقبل، ولا أن يقع منهم علو وإفساد في الأرض، وما كان أحد من هؤلاء المفسرين يتصور أن يأتي على المسلمين زمان بدون خليفة أو سلطان أو نظام، ولا أن ينفع اليهود في هزيمة المسلمين وإقامة كيان لهم على أراضيهم.

ولهذا توجه هؤلاء إلى التاريخ اليهودي القديم، فاستقرؤوه وبحثوا فيه عن الإفسادين المذكورين، فقالوا ما قالوا.

ولو أن المفسرين القدامى أدركوا هذا العصر الذي ابتلانا الله بالحياة فيه لربما أعادوا النظر في كلامهم، ولربما تراجعوا عن أقوالهم، ولننظروا في آيات الإسراء على هدى من صلة اليهود بال المسلمين وصراعهم معهم منذ بعثة محمد ﷺ وحتى هذه الأيام.

فهم جديد للآيات

المفسرون السابقون معدورون كما قلنا في كلامهم عن الإفسادين، ولكننا لسنا ملزمين بأن نأخذ كلامهم على أنه قضية بدهية مسلمة، بل يجب علينا أن نعرض كلام العلماء أياً كانوا على الحق، وأن نعرفه من خلال الحق، وأن نقبله على أساس الحق، وأن نرفضه - مع الاحترام والإجلال لقائليه - إذا تعارض مع الحق.

فمنهجنا في القراءة والاطلاع هو أن نعرف الرجال بالحق ونقبل كلامهم المتفق مع الحق، ولا نعرف الحق بالرجال، نقيد قيوله بكونه قول فلان وفلان. أي قائل لأي كلام ننظر في أداته على ما يقول، وفي النصوص التي اعتمد عليها واستنبط منها، وطريقته في الفهم والاستنباط، فإن كان ما يقوله صحيحاً أخذناه وقبلناه مهما كان قائله، لأن الحكمة ضالة المؤمن، وإن كان غير متصف بالمواصفات والشروط المطلوبة رددناه ورفضناه مهما كان قائله - مع احترامه وإجلاله - لأنه ليس معصوماً عن الخطأ إلا رسول الله ﷺ.

انطلاقاً من هذا التقرير نقول: إن كلام المفسرين السابقين في تحديد الإفسادين وكيفيتها ومن قضى عليهما لا يتفق مع ما تقرره الآيات وتوصي به.

ولهذا لا بدّ من إعادة النظر في فهم الآيات، ومن تفسير جديد لها، وبيان جديد لمعانيها، وكلام جديد عن الإفسادين وكيفيتها ومن أزالهما. وهذا

الفهم يُستنبط من الآيات وكلماتها وإيحاءاتها، ويلاحظ صلة اليهود بال المسلمين
وتاريخ صراعهم معهم حتى هذا الزمان.

ولقد نظر علماء فضلاء من المعاصرين في الآيات، وقدّموا لها فهماً
جديداً، وعرضوا للإفاسدين تحديداً جديداً راعوا فيه ما ذكر سابقاً.

وأعتبر نفسي مع هؤلاء في كلامهم، وأقوم بعرض وجهة نظرهم
وأدلوهم، وهذا ما نراه هو الصواب من وجهة نظرنا - وقد لا يكون هو الصواب
في الحقيقة - ولا نلزم الآخرين بقبوله والقول به، ونكل الأمر إلى علم الله،
ونستغفر الله وتوب إليه.

إفسادهم الأول في المدينة المنورة

نرى أن آيات سورة الإسراء تتحدث عن إفسادين لبني إسرائيل، وأنهما لهما ارتباط بصلة اليهود بال المسلمين، وصراعهم معهم وإفسادهم في بلادهم.

ونرى - والله أعلم - أن إفسادهم الأول لم يكن في فلسطين في تاريخ اليهود القديم، وإنما كان في المدينة المنورة، التي كانت تسمى قبل الهجرة «يثرب».

لقد كان لليهود وجود قوي في المدينة قبل الهجرة، وكان لهم كيان قائم فيها وفيما حولها، وكان لهم سلطان على الأوس والخزرج وغيرهما من القبائل العربية.

ولا يعنينا هنا الحديث عن زمان هجرة اليهود من فلسطين إلى بلاد الحجاز، ولا عنأسباب ومظاهر هذه الهجرة.

ولكننا نقول: إن الهجرة قد تمت، ووفدت قبائل يهودية إلى بلاد الحجاز، وأقامت في «يثرب» وحولها، كما أقامت في «خيبر» و«فدرك» و«تيماء» ومناطق أخرى في المدينة وحولها.

وأعمل اليهود في موطنهم الجديد ما يملكونه من كيد ومكر ودهاء، ليتمكنوا ويتحكموا ويرسخوا سلطانهم وتأثيرهم وتحكمهم في القبائل العربية المحيطة بهم، ونجح اليهود في هذا المكر.

يحدثنا تاريخ تلك الفترة أن اليهود في يثرب وما حولها تمكنتوا من إقامة

كيان قوي ، صار يتقوى ويشتد ويترسخ على حساب القبائل العربية ، وأن تلك القبائل تعاملت مع اليهود بسذاجة وجهالة ، فكانت معرضًا لأعمالهم وميدانًا لِإفسادهم .

لقد كان الإفساد الأول لهم متمثلًا في كيانهم الذي أقاموه في المدينة وحولها ، كان إفساداً لأنهم لم ينشئوا هذا الكيان على أساس كتبهم السماوية ، ولم يهددوا منه إلى نشر الخير بين الناس .

كان كيانًا جاهلياً ، وكان للفساد والإفساد ، وبرز فيه التكبر اليهودي والعلو الكبير ، وتمت فيه مواصفات قول الله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مِرْتَنِينَ وَلَتَعْلُمُنَّ عَلَوًا كَبِيرًا﴾ .

ومن أبرز مظاهر الإفساد والعلو الكبير في كيانهم في بلاد الحجاز: تحكمهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني والعسكري في قبائل المنطقة العربية .

فقد كانوا حريصين على استمرار إضعاف القبائل العربية ، ولذلك كانوا يعملون دائمًا على استمرار الحروب بين «الأوس» و«الخزرج» في المدينة ، وكلما أوشكت الحرب أن تخمد أشعلاوها ، وكلما أوشكت القبيلتان على الاتفاق ذكر وهما بما بينهما من عداء وبضرورةأخذ الثأر ، ولقد كانت كل الحروب الدامية بين الأوس والخزرج والتي دامت عشرات السنين من تخطيط اليهود ، وهذا علو وإفساد .

وكانوا يتحكمون في الحالة الاقتصادية والمالية لقبائل المنطقة ، فأسوقوا الاقتصاد والسلع والبضائع بيد اليهود ووسط المناطق اليهودية عندبني «قينقاع» و«النضير» و«قرية» . . .

وكبار التجار وأصحاب الأموال من اليهود الذين يمتلكون الأموال العربية .

ويتعامل هؤلاء الأغنياء مع القبائل العربية على أساس «الربا» الذي

سحبو فيه أموالها، وقتلوا اقتصادها، وجعلوها تابعة لهم ومدينة لأغنيائهم .
وأسواق الذهب والفضة واللحى والزينة بيد اليهود في مناطق سكنتهم ،
والعرب مجرد مشترين منهم ومستهلكين لبضائعهم .
والأراضي الزراعية الجيدة بيد اليهود ، والحدائق والبساتين وكروم النخل
وآبار الماء معظمها يملكونها يهود ، ويشغلون فيها العرب أجراء وعمالاً .

وتحكموا في المنطقة تحكماً علمياً ثقافياً ، حيث فرضوا وصاية يهودية
على القبائل العربية . كانوا يتهمون العرب بالجهل والجهالة والأمية ، ويظهرون
على أنهم أهل الكتاب وحملة العلم ، ويفرضون على العرب الإقبال على
العلم اليهودي والثقافة اليهودية ، والاعتراف لهم بالأستاذية والسيادة ، ونشروا
أفكارهم وعلومهم وثقافتهم ، وخرافاتهم وأساطيرهم وإسرائيلياتهم .

وتحكموا في العرب تحكماً دينياً . فهم المؤمنون وغيرهم كافرون ، وهم
أبناء الله وأحباؤه وغيرهم أعداؤه ، وهم لن يعبدنـم الله مهما فعلوا وغيرهم
معدبون ، ولو عذبـنـم الله فلن تمسـهـم النار إلا أياماً معدودـات ، إلى غير ذلك
من المزاعم والأكاذيب . وقد صدقـ العـربـ هذهـ الإـشـاعـاتـ والـاقـرـاءـاتـ ،
وأيقـنـواـ أنـ اليـهـودـ هـمـ أـهـلـ الـكـتـابـ المـقـبـولـونـ عـنـدـ اللهـ .

وكان اليهود - مبالغة في التحكم والنكاية - يستفترون على العرب ،
ويبشرـونـهمـ بـقـرـبـ مـبـعـثـ نـبـيـ خـاتـمـ ، وـأـنـ هـذـاـ نـبـيـ سـيـكـونـ يـهـودـيـاـ ، وـسـيـبـعـثـ
فيـهـمـ ، وـسـيـسـبـحـ لـهـمـ دـمـاءـ الـعـربـ وـأـمـوـالـهـمـ ، وـلـهـذـاـ ماـ إـنـ سـمـعـ الـأـوـسـ وـالـخـرـجـ
بـرـسـوـلـ اللهـ ﷺـ حـتـىـ تـدـاعـواـ إـلـيـهـ وـتـنـادـواـ لـإـيمـانـ بـهـ ، وـقـالـواـ لـبعـضـهـمـ بـعـضـاـ:ـ
هـذـاـ هـوـ النـبـيـ الـذـيـ كـانـ يـحـدـثـكـمـ عـنـهـ يـهـودـ ، فـلـاـ يـسـبـقـونـكـمـ إـلـيـهـ .

ونـشـرـ اليـهـودـ فيـ بـلـادـ الـحـجـارـ وـيـخـاصـةـ الـمـدـيـنـةـ وـمـاـ حـوـلـهـاـ -ـ نـتـيـجـةـ لـهـذـاـ
الـتـحـكـمـ وـالـعـلـوـ وـالـسـلـطـانـ -ـ فـسـادـ كـبـيرـاـ فيـ الـقـبـائـلـ الـعـرـبـةـ ، وـكـانـ فـسـادـ سـيـاسـيـاـ
وـدـيـنـيـاـ وـمـالـيـاـ وـاقـتـصـادـيـاـ وـأـخـلـاقـيـاـ وـعـلـمـيـاـ وـثـقـافـيـاـ .

وـمـنـ أـبـرـزـ مـظـاهـرـ ذـلـكـ الـإـفـسـادـ الـيـهـودـيـ:ـ مـوـقـفـهـمـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ ﷺـ مـنـذـ

ولادته وعلمهم اليقيني أنه هو النبي الذي بشر به أنبياؤهم.

فقد ذهب بعضهم إلى مكة بعد مولده عليه الصلاة والسلام ونظر إليه وعرف أنه هو النبي ، وحاول بعضهم اغتياله عندما كان رضيعاً مع حليمة السعدية ، وحاول بعضهم اغتياله عندما قدمت به أمه آمنة إلى المدينة وأقامت به شهراً فيها ، ولم تقطع إقامتها إلا عندما خشيت عليه من مكر اليهود ، ولقد حذر الراهب بحيرى عمه أبا طالب عندما التقى بهما في بلاد الشام من مكر اليهود بالرسول عليه السلام وطالبه بسرعة العودة به إلى مكة .

ولما بعث الرسول عليه السلام وحاربته قريش كانوا يستعينون باليهود في حربه ونشر الشبهات ضده وتقديم الأئلة إليه ، وبعد الهجرة حارب اليهود محمداً عليه السلام بكل قواهم ، وحاول بنو النضير قتله ، وألّب حُبَيْيَ بن أخطب الأحزاب العربية ضده ، ونقضت بنو قريظة عهدها معه ، وقدمت له يهودية يوم خير شاة مسمومة لقتله ، وهذا هو الإفساد البالغ والعلو الكبير .

الرسول عليه السلام وأصحابه يزيلون إفسادهم الأول

أمام هذا الإفساد اليهودي في بلاد الحجاز الذي استمر أجيالاً، وأمام حربهم الشرسة ضد الدين الجديد، ضد رسوله والمؤمنين به، حاربهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام حرباً إسلامية شريفة، وأزالوا إفسادهم وقضوا على علومهم وتجبرهم.

حاربهم رسول الله ﷺ منذ الأيام الأولى التي قامت فيها الدولة الإسلامية في المدينة، بعدهما عقد معهم المعاهدات ولكنهم غدروا ونقضوا.

فبعد غزوة بدر حاصر يهودبني قينقاع ثم تم إجلاؤهم عن المدينة.
وبعد غزوة أحد حاصر يهودبني النضير ثم تم إجلاؤهم عن المدينة.
وبعد غزوة الأحزاب حاصر يهودبني قريظة وقتل رجالهم وسيبي نساءهم.

وبعد صلح الحديبية حاصر قلاع اليهود في خيبر وافتتحها وأفرجهم على زراعة أرضهم ولهم النصف، ثم أجلاهم عمر رضي الله عنه.

وبعد غزوة تبوك أخرج يهود «فذك» و«تيماء» عن الحجاز إلى بلاد الشام.

ولقد أزال المسلمون بقيادة الرسول عليه السلام كيان اليهود وسلطانهم في بلاد الحجاز، فما أن التحق الرسول عليه السلام بالرفق الأعلى حتى طهر

جزيرة العرب من رجس اليهود وإفسادهم، وما بقي فيها يهودي منهم^(١). فمنهم من قتل، ومنهم من أسلم، والذي نجا من المعارك التحق ببلاد الشام.

إن الموصفات التي يبيتها الآيات للذين يقضون على فساد اليهود الأول تتطبق على الرسول عليه السلام وأصحابه، ولا تتطبق على «بختنصر» الوثني أو غيره من نسب إليهم المفسرون القضاء على إفسادهم الأول.

تقول الآيات: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعْثَانَا عَلَيْكُمْ عَبَادًا لَنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجَاسُوا خَلَالَ الْدِيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مُفْعُولًا﴾^(٢).

وتسوقنا من الآية هذه الكلمات: «بعثنا عليكم» «عبادًا لنا» «أولي باس شديد» «فجاسوا خلال الديار».

إن كلمة «بعثنا» توحى - في هذا السياق - بأن هؤلاء الرجال المؤمنين إنما يبعثهم الله بعثاً على اليهود، فيكونون ستاراً لقدر الله في تدمير اليهود وإزالة إفسادهم، وتوحى كلمة «بعثنا عليكم» بأن الله رضي عن هؤلاء المؤمنين وعن حربهم ضد اليهود، والذي يقرأ آيات القرآن التي تشير إلى حرب الصحابة ليهود بنى النضير في سورة الحشر، وليهود بنى قريظة في سورة الأحزاب، يجد هذا المعنى القرآني بارزاً والرضى الرباني عن أفعالهم واضحاً. ولا يمكن أن يراد بكلمة «بعثنا عليكم» الملوك السابقين الوثنين الذين أزالوا مملكة اليهود في بيت المقدس مثل «بختنصر» وغيره كما قال مفسرون سابقون، والسياق القرآني يخبرنا بهذا ويوحى بهذا.

بعث: الفعل الماضي المجرد ورد في القرآن سبع مرات، والفاعل فيها كلها هو الله، لأنبعث لا يكون إلا من الله، وفي سياق المدح والثناء على الأنبياء والصالحين، لأن المفعول به فيها كلها كان من الأنبياء أو الصالحين.

بعثنا: الفعل الماضي المسند إلى الفاعل والمتصلب بالضمير، ورد في

(١) إلا ما كان من يهود خير الدين أجروا فيما بعد.

(٢) الإسراء: ٥.

القرآن سبع مرات أيضاً وفي سياق المدح والثناء، لأن المبعوثين - المفعول به في الجملة - إنما كانوا أنبياء مرسلين، أو رجالاً ربانيين أو مؤمنين صالحين.

والقرآن دقيق في اختيار مفرداته وكلماته، وفي الإيحاء بدلاتها من خلال السياق الذي وردت فيه في كل المواطن، فطالما لم تستخدم كلمة «بعث» أو «بعثنا» في المبعوثين الكافرين، فلا يمكن أن يراد بكلمة بعثنا في مطلع الإسراء مبعوثين كافرين، ولا أن تنطبق على بختنصر أو غيره من الذين نسب إليهم إزالة إفساد اليهود الأول، والله أعلم.

وكلمة «عبداداً» في الآية تشير إلى الرسول ﷺ وأصحابه، ففي الحروب الماضية التي هزم فيها اليهود أمام أعدائهم والتي كانت قبل بعثة رسول الله ﷺ، كان أعداؤهم مشركين كافرين ولم يكونوا مؤمنين بالله موحدين له، سواء كانوا جالوت الفلسطيني وجنوده، أو بختنصر البابلي وجنوده، أو تيطس الروماني وجنوده، أو غيرهم.

والمرة الأولى - على حسب علمنا - التي هزم فيها اليهود أمام مؤمنين موحدين ربانيين، كانت زمن الرسول عليه السلام وأصحابه الكرام، فكلمة «عبداداً» وإنسادها لله «عبداداً لنا» توحى بذلك.

إن القرآن الكريم يفرق في أسلوبه بين كلمة «عبداد» وكلمة «عبداد» ولا يكاد يضع واحدة مكان الأخرى.

غالب كلمة «عبداد» في القرآن يراد بها العباد المؤمنين الصالحين، وكانت تطلق على الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين.

وغالب كلمة «عبداد» في القرآن يراد بها الكافرين.

أما كلمة «عبداد» مضافة إلى الله فقد كان يراد بها المؤمنين: مثل «عبدادي» خمس مرات، «عبداداً» في الإسراء، «عبداك» سبع مرات منها خمسة للمؤمنين. «عبدادنا» اثنتي عشرة مرة، ويراد بها كلها المؤمنين.

فكلمة «عبدًا» وإضافتها إلى الله بلام الاختصاص «لنا» توحى بأن هؤلاء الذين يزيلون إفساد اليهود مؤمنون ربانيون، وهو ما ينطبق على الرسول عليه السلام وأصحابه دون الأقوام الآخرين الذين هزموا اليهود.

وتوحى كلمة «لنا» بمزيد من التكريم الرباني لهؤلاء العباد المؤمنين، فهم عباد لله خالصون له، شرفهم بهذا التخصيص وكرمهم بهذا التجدد.

وكلمة «أولي بأس شديد» صفة منطبقة على الصحابة الكرام، في قوتهم وشجاعتهم، وبأسهم وإقدامهم. والذي ينظر في المعارك التي خاضها الصحابة ضد يهود قينقاع والتضير وقريظة وخمير يجد انطباق هذا الوصف عليهم.

أما كلمة « Jasوا خلال الديار» فهي تنطبق على احتلال الصحابة لديار اليهود وتدمير حصنونهم وقلاعهم، وإزالتهم كل مظاهر الفساد والعلو والتجبر اليهودي في بلاد الحجاز.

لهذا نقول: إن الصحابة الكرام هم الذين أزالوا الإفساد الأول لليهود الذي كان في المدينة وحولها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

نحن نعيش إفسادهم الثاني

نرى - والله أعلم - من خلال إمعان النظر في آيات الإسراء، ومحاولة تطبيق كلماتها وإيحاءاتها ومعانيها ومواصفاتها على المقصودين بها، أن الإفساد الثاني لبني إسرائيل هو ما يقوم به اليهود الآن، وأننا نحن الذين نعيش إفسادهم الثاني، وأن هذا الإفساد يتمثل في كيانهم الذي أقاموه في فلسطين، وفي تحكمهم وسلطانهم وعلوهم وتجبرهم الذي يبدو أوضح ما يكون في هذه الأيام.

هذا وتدلنا آيات الإسراء على أن هذا هو الإفساد الثاني.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعْثَنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خَلَالَ الدِّيَارِ، وَكَانُوا عَدُّا مَفْعُولاً﴾.

ثم رَدَدْنَا لَكُم الْكَرْهَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا. إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ، وَإِنْ أَسْأَلْتُمْ فَلَهَا، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْؤُوا وُجُوهَكُمْ، وَلَيُدْخِلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوهُ أُولَى مَرَّةٍ، وَلَيُتَبَرَّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبَرَّرًا. عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ، وَإِنْ عَذْتُمْ عُذْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾^(١).

رجحنا فيما سبق أن إفسادهم الأول كان في المدينة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه هم الذين أزالوه، وتابع نظرنا في هذه الآيات.

_____. (١) الإسراء: ٥ - ٧.

تُوحِي الآيات بأن الإِفْسَادِين يتعلّقان بأُمّةٍ واحدةٍ، ويتمثلان بعض حلقات الصراع بين هذه الأُمّة وبين اليهود، ويخبرنا التاريخ أن هذه الأُمّة هي الأُمّة الإسلامية، وأن الأُمّم السابقة من بابليين ويونانيين وفرس ورومان لم تكن الحرب سجالاً بينهم وبين اليهود، ولا أن اليهود تمكّنوا من هزيمتهم.

إن الإِفْسَادِين اليهوديين حلقتان من حلقات الصراع بين اليهود وبين المسلمين.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرْبَةَ عَلَيْهِمْ﴾.

ثم : للتراثي الزمني ، وتدل على أن وقوع الإِفساد الثاني يكون متأخراً عن الإِفساد الأول . وتطوّي كلمة « ثم » القرون الإسلامية الطويلة ما بين إخراج الصحابة لليهود من جزيرة العرب وبين نجاح اليهود في احتلال فلسطين في القرن الرابع عشر الهجري .

رددنا : وكلمة « رددنا » تُوحِي بأن الإِفساد الثاني هو حلقة من حلقات الصراع مع المسلمين ، والرد هو « إعادة الشيء بذاته أو بحالة من حالاته »^(١).

لكم الكرة : فهي كرّة أخرى من حلقات الصراع مع المسلمين ، وهي مرّة أخرى في المسلسل العربي معهم . والكرة مأخوذة من الكل ، والكل هو « العطف على الشيء بالذات أو بالفعل »^(٢).

رددنا لكم الكرة عليهم : معناها أعدنا لكم النصر والتمكّن ، وإنشاء الكيان وتهيئة السلطان عليهم . معناها : أن الإِفساد الثاني يتمثّل في دورة أخرى من دورات الصراع بينكم وبينهم ، وحلقة أخرى تصاف إلى مسلسل الحرب بينكم وبينهم .

(١) المفردات: ١٩٢.

(٢) المفردات: ٤٢٨.

رددنا لكم الكرة عليهم: تحّدّد الذين وقع عليهم الإفساد اليهودي الثاني بأنّهم هم الذين وقع عليهم الإفساد اليهودي الأول، والذين قبّلوا على الإفساد اليهودي الأول.

وهل سُجِّلَ التاريخ القديم أنّ البابليين هزموا أمام اليهود؟ أو أنّ اليهود انتصروا على اليونان أو الرومان انتصاراً أولياً فضلاً عن الانتصار الثاني.

رَدَّدْنَا لكم الكرة عليهم: يعني أنكم تنتصرون على أحفاد الصحابة الذين هزموكم أول مرة، ونحن أحفاد الصحابة الذين تركنا سبيل القوة التي سلكها الصحابة والتي أزّالوا بها إفساد اليهود الأول.

ثم تخطّب الآيات اليهود في إفسادهم الثاني قائلة: ﴿وَمَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾.

أمددناكم: توحّي بأنّ كيان اليهود عند إفسادهم الثاني لا يعتمد على نفسه، ولا يملك الاكتفاء الذاتي لا من الأموال ولا من الأولاد، وإنما يعتمد على القوى الأخرى والدول الكبرى في وجوده ونظامه الاقتصادي، فيعتمد على تلك الدول التي تمده بالأموال وتمده بالبنين وتمده بهذه الحال التي تطيل عمره.

أمددناكم بأموال وهو أبرز ما نراه في كيان اليهود في هذه الأيام، فلولا ملايين - بل مليارات - الدولارات التي تصلّى لهذا الكيان لما استطاع أن يقف على رجليه، أو أن يتغلب على مشكلاته الاقتصادية وأزماته المالية، وتمويل مشروعاته وتوسيعاته وحربه.

إن أمريكا تعطي اليهود ما شاءوا من الأموال، وتتكلّل بتغطية كل حاجاتهم المالية، ودعم مشروعاتهم وحربهم وصناعتهم، ويدفع دافع الضرائب من الشعب الأمريكي، وتدفع الحكومة الأمريكية، وتفتح الخزينة الأمريكية والبنوك الأمريكية، ويقبل عليها اليهود بجشع يهودي وابتزاز مزدوج، ولقد أسس الكيان اليهودي صندوقاً سماه «صندوق الجباية اليهودية» الذي

يتکفل بجباية الأموال الازمة لهذا الكيان من الدول والشعوب الأخرى،
وصدق الله ﷺ وأمدناكم بأموال ﴿ .

وأمدناكم بالبنين: حيث يعتمد اليهود في كيانهم القائم على المساعدات المالية وعلى استقدام اليهود للبنين من الدول الأخرى، ويستخدم اليهود كل وسائلهم في إقناع اليهود المترفين في الدول المختلفة بالهجرة إلى كيانهم، ويقدمون الإغراءات والدعایات والتسهيلات للأفواج البشرية اليهودية القادمة، ولو انقطعت هذه الإمدادات البشرية وتوقفت هجرة تلك الجموع لاصبح كيانهم في خطر ماحق.

وإذا كانت أمريكا أبرز مثال للإمدادات المالية لليهود، فإن روسيا هي أكثر الدول تقديمًا للبنين اليهود، ودومًا لكيان اليهود بالخبرات والطاقات والقدرات البشرية.

﴿ وجعلناكم أكثر نفيراً ﴾ .

جعلناكم أكثر نفيراً من خصومكم - وهم نحن - أي أن الذين ينفرون معكم في الحرب أكثر من الذين ينفرون معهم.

واليهود الآن أكثر نفيراً منا، فصوتهم مسموع أكثر من صوتنا في المحافل العالمية والدول العظمى والصغرى، ودعایاتهم مقبولة عند الآخرين، وهم يسيطرون على الرأي العام العالمي ويوجهونه لما يريدون، ويتحكمون في صحافة ووسائل إعلام الدول العظمى والصغرى، وتسارع هذه الدول إلى كسب ودهم ونيل رضاهم وتأييد وجهة نظرهم ودعم مواقفهم.

واليهود الآن أكثر نفيراً بما يقدم لهم من دعم مالي وعسكري من الدول العظمى، أكثر نفيراً بأسلحتهم العسكرية، بدباباتهم وطائراتهم وغواصاتهم وصواريχهم.

﴿ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ اسْكَنَاهُمُ الْأَرْضَ، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ
جَثَنَا بَكُمْ لَفِيفًا ﴾^(١).

من بعده: يعني من بعد موسى عليه السلام.

اسكنا الأرض: والمقصود بها الأرض كلها. أي أن الله كتب عليهم التشريد في الأرض والتفرق في بقاعها ومناطقها.

فإذا جاء وعد الآخرة جثنا بكم لفيفاً: أي إذا جاء وعد الإفساد الثاني جثنا بكم لفيفاً من مناطق إقامتكم، وجمعناكم من المناطق المختلفة، وأتينا بكم من بين الشعوب الكثيرة، وكتبنا عليكم المجيء إلى كيانكم والتجمع فيه، وصرتم تمارسون فيه فساداً وإفساداً وعلواً وتكبراً وتجرأ.

ثم تحق عليكم كلمة الله وتحل بكم سنته، ويتم إزالة كيانكم والقضاء على إفسادكم الثاني ، والذين يقومون بهذا هم ذرية الذين قعوا على إفسادكم الأول ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْؤُلُوكُمْ وَجْهُوكُمْ ﴾^(٢).

اليهود في هذا الزمان يقومون بالإفساد الثاني ، وقد أصبحت الكرة لهم الآن علينا، وقد تم إمدادهم بالمال والبنيان، وزادت الحال الممتهنة إليهم بالمساعدات، وصاروا أكثر نفيراً،وها هم الآن يتجمعون من مختلف الدول ويقيمون في كيانهم في فلسطين، وقد انتصروا علينا في كثير من المعارك التي نشبت بيننا وبينهم ، وهي فترة مؤقتة ينتصرون فيها الصعداء.

ولأن يوم النصر عليهم آتٍ بإذن الله، يوم نعود إلى إسلامنا ونعتصم بحبل ربنا، عندها ننصر نحن عملياً قول الله: ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْؤُلُوكُمْ وَجْهُوكُمْ ﴾ .

(١) الإسراء: ١٠٤.

(٢) الإسراء: ٧.

من يزيلون إفسادهم الثاني؟

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْأُوْا وَجْهَكُمْ، وَلِيدْخُلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوهُ أُولَئِكَ مَرَّةٌ، وَلَيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَبَرِّا﴾^(۱).

إن الذين يزيلون إفساد اليهود الثاني وينقضون كيانهم الذي أقاموه هم ذرية الذين أزالوا إفسادهم الأول.

وطالما أن الصحابة هم الذين قاموا بذلك أول مرة، فإن المسلمين هم المرشحون للقيام بذلك في المرة الثانية، والآيات توحى لنا بذلك. وإن الفاعل في الأفعال الثلاثة «ليسألوا»، و«ليتبرروا» يعود على العباد الذين قصوا على فساد اليهود الأول ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْأُوْا وَجْهَكُمْ، وَلِيدْخُلُوا الْمَسْجَدَ كَمَا دَخَلُوهُ أُولَئِكَ مَرَّةٌ، وَلَيُتَبَرَّوْا مَا عَلَوْا تَبَرِّا﴾.

وعودة الضمير على العباد وكون فاعل الأفعال الثلاثة ضميرًا، يوحى بأنها حرب واحدة بين المسلمين واليهود، وأنها ابتدأت منذ بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنها ستبقى مستمرة حتى إبادة اليهود في آخر الأمر، وأن انتصار الصحابة عليهم ما هو إلا حلقة من حلقات الحرب، وما انتصار أحفاد الصحابة عليهم إلا حلقة أخرى من حلقاتها.

والتعبير عن المرة الأولى بالفعل الماضي ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عَبَادًا لَنَا أُولَئِ

(۱) الإسراء: ۷.

بأس شديد فجاسوا ﴿ بينما التعبير عن المرة الثانية بالفعل المضارع ﴾ ليسؤوا وجوهكم ، وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة ، وليتبروا ما علوا تبييراً ﴾ يعطي المسلمين المعاصرين أملاً بالانتصار على اليهود ، ويشير لهم بأن هذه الأفعال الثلاثة لم تتحقق حتى الآن ، وأنها ستتحقق في قادم الأيام بعون الله .

متى ينجح المسلمون المعاصرون - أحفاد الصحابة - في تحقيق هذه الأمنية ، وإزالة كيان اليهود ، والقضاء على إفسادهم الثاني ؟ .

عندما يعودون إلى إسلامهم ، ويلتزمونه عملياً في حياتهم ، ويكونون حقاً عباداً لله أولي بأس شديد ، وسيفعلون ذلك بإذن الله .

كيف يزيلون إفسادهم الثاني؟

أما كيف يتم القضاء على كيان اليهود وإزالة مظاهر الإفساد اليهودي، فإن آيات الإسراء تبيّن ذلك وتحدد الطريق إليه: ﴿فَإِذَا جَاءَ عَدُوَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَهُ وَأَعْلَمُ
لِيَسْأُوا وَجْهَكُمْ، وَلَيُدْخِلُوكُمُ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلْتُمُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَلَيُتَبَرُّو مَا عَلِمْتُمْ
تَتَبَرِّأُونَ﴾.

إنها الخطة العسكرية والطريقة الجهادية.

﴿لِيَسْأُوا وَجْهَكُمْ﴾ يوقعون السوء بوجوه اليهود الكالحة، وتعلوها مرارة الهزيمة وذلة الفشل، ولا يكون هذا إلا بإعلان الجهاد الإسلامي ضد اليهود وهزيمتهم، وجعلهم يذوقون مرارتها، عندها تسود وجوههم سوءاً ما بعده سوء.

لقد أوقع اليهود السوء بال المسلمين المعاصرين، وأذاقوهم مرارة الهزيمة، وجرعواهم كؤوس الذلة والخزي وسيأخذ المسلمون بالثار، ويهزمون اليهود بإذن الله ..

﴿وَلَيُدْخِلُوكُمُ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلْتُمُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ والمراد بالمسجد المسجد الأقصى الذي نجح اليهود في احتلاله عام ١٩٦٧، إن الآية ترسم للMuslimين كيفية استعادته من اليهود، وطريقة دخوله إن ذلك لن يكون إلا كما كان أول مرة، كيف فتح الصحابة بلاد الشام؟ وكيف انتصروا في بيت المقدس؟ وكيف دخلوا المسجد الأقصى؟ بالجهاد، وتجهيز الجيوش، وإعلان الحرب

ونشوب القتال والانتصار في المعارك. حاصرت جيوشهم بيت المقدس بعدما انتصروا في بلاد الشام وفتحوا مدن فلسطين، وأمام قوة الحصار وشدة اختبار النصارى والروماني داخل القدس الاستسلام، وطلبوا مجيء الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليسلموه المدينة. وهكذا كان، ودخل عمر بن الخطاب والمسلمون معه المسجد الأقصى مجاهدين فاتحين ظافرين متتصرين.

وأية حرب ستتشعب بيننا وبين اليهود لا بد أن تراعي فيها هذه الآية، وأية جهود إسلامية صادقة مخلصة لاسترداد القدس ودخول المسجد الأقصى لا بد أن تراعي هذا، وتقتدي بهدي الصحابة الكرام في دخول المسجد أول مرة.

الفصل الخامس

مَعَكُلِّمُ قُرْآنِيَّةٍ
فِي صَرَاعَتِ الْمَعَالِيمِ

اليهود أشد الناس عداوة لنا..

القرآن الكريم يقودنا في معركتنا مع أعدائنا، ويَبْيَّن لنا طبيعة المعركة وأساليبها، ويعِرّفنا على الأعداء، ويرسم ملامحهم فيها، ويبين أسلحتهم في خوضها، ويدلّنا على أسباب الانتصار عليهم والحصول على العزة والظفر والسعادة.

وبالنسبة لموقفنا من اليهود، وتحديد صلتنا بهم، فإن القرآن يَبْيَّن هذا بتحديد بالغ وتقرير قاطع، أثبت التاريخ صدقه وانطباقه على علاقتهم بنا. ويخبرنا القرآن عن عداوة اليهود وعن درجتها واستمرارها بأيات صريحة، قال تعالى: ﴿لَتَجِدُنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا بِيَهُودٍ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(١).

وهذه الحقيقة القرآنية القاطعة الصادقة تتلقاها بالثقة واليقين والتصديق، ونستشهد بالتاريخ الإسلامي في مختلف مراحله، وما سُجِّله من أحداث الصراع بين المسلمين واليهود، الذي فيه نماذج عديدة لهذه الحقيقة.

لقد حارب اليهود المسلمين حرباً عنيفة منذ الأيام الأولى للإسلام، واستمرت هذه الحرب عنيفة والعداوة شديدة طيلة التاريخ الإسلامي، وبلغت أعنف مظاهرها وأشد درجاتها في العصر الحديث.

(١) المائدة: ٨٢.

وحارب اليهود المسلمين على مختلف الجبهات، ووجهوا سهامهم لمختلف المظاهر وال المجالات. حاربوا المسلمين على الجبهات السياسية والاقتصادية والثقافية والفكرية والعسكرية والأخلاقية والاجتماعية. حاربوا المسلمين في نظام الحكم - وهو أول ما وجهوا سهامهم إليه - كما حاربوا في تصورهم للعقيدة، وحاربوا في فهم قرآنهم بما دسوه من إسرائيليات وأساطير، وحاربوا في أحاديث نبيهم بما وضعوا فيه من منكرات وموضوعات، وحاربوا في الفقه والتشريع والأحكام والمال والاقتصاد والمجتمع والعلم والمعرفة.

ولن يأتي على المسلمين زمان يكسبون فيه ود اليهود وينجحون في إزالة هذه العداوة الشديدة من قلوبهم، بل ستبقى ملازمة لهم تسرى في دمائهم حتى تدخل معهم قبورهم.

وتشتد عداوة اليهود لحركات البعث الإسلامي في العصر الحديث، ويستخدمون ضدها أعنف الأساليب والأسلحة، وأكثراها شراسة ووحشية وفتاكاً، ويستعينون بأعوانهم وعملائهم في هذه الحرب الحاقدة، وقد سجل التاريخ المعاصر أمثلة عديدة لهذه الحقيقة، وصدق الله: ﴿لتجدُنَ أشدَّ الناس عداوةً للذين آمنوا اليهود﴾.

وقد يتساءل الإنسان عن سبب هذه العداوة الحاقدة، وهذا الكيد اليهودي اللئيم.. لماذا يهددون على المسلمين المؤمنين الأطهار الطيبين؟.

إنه الحسد ﴿وَدَ كثِيرٌ من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً، حَسَدَاً من عند أنفسهم، مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾^(١).
﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ؟﴾^(٢).

يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من خير وإيمان وهدى،

(١) البقرة: ١٠٩.

(٢) النساء: ٥٤.

يحسدونهم بعدهما عرفاً أن المسلمين على حق وأنهم على باطل ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾.

وكل الأمراض النفسية والمعنوية يمكن معالجتها وشفاء أصحابها منها إلا الحقد والحسد، فإن الحاقد الحسود ميؤوس من علاجه. إن هذا الحقد الأسود اللثيم هو الذي يملئ على اليهود معاداتهم للمسلمين وحربهم لهم وحرصهم على إضلالهم.

وبسبب آخر لهذه العداوة المستمرة هو المتمثل في قول الله تعالى:
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمِنُونَ مِنَ إِلَّا أَنْ آمَنَّ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِ؟ وَأَنْ أَكْثُرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾^(١).

إن هذا السبب يتمثل في جانبيين: الجانب الأول هو إيمان المؤمنين واستقامتهم.

والجانب الثاني هو فسق اليهود وكفرهم ومحاربتهم للحق وأهله.

(١) المائدة: ٥٩.

الصلة بيننا وبينهم كما يحددها القرآن

حدَّد القرآن الصلة بيننا وبين اليهود. وأخبرنا أنها صلة تقوم على عدائهم لنا، بل على شدة عداوتهم لنا، وعلى إعلانهم الحرب علينا، ولا بد أن نتعامل معهم على هذا الأساس.

متى يرضُّون عنا؟ وهل من الممكن أن ننال رضاهما، ونحظى بالقبول عندهم ونحن مسلمون متسلكون بديننا؟

الجواب في آية صريحة في كتاب الله: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملّتهم، قُلْ إنَّ هُدًى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ، وَلَئِن اتَّبَعْتَ أهواهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٌّ وَلَا نَصِيرٌ﴾^(١).

لن يرضُّوا عنا إلا أن نتخلَّى عن ديننا وإسلامنا، أما إذا التزمنا بإسلامنا فسيقضون علينا ويعادوننا ويعملون الحرب علينا.

وعبر عن هذه الحقيقة بلن التأبديّة، التي تفيد استحالة حصول الرضى إلا بتخلُّينا عن الدين.

وال تاريخ الإسلامي الحافل بالصراع مع اليهود على مختلف الجبهات أكبر شاهد على مصداق هذه الحقيقة.

ونأخذ من هذه الآية أن كل من رضي عنه اليهود فهو مشكوك في

(١) البقرة: ١٢٠.

إيمانه، متهم في دينه، مطعون في أخلاقه ووطنيته وإخلاصه، لأنهم لا يمكن أن يرضوا عن طيب أو صالح أو مؤمن أو وطني أو شريف أو مخلص، فمن حاز رضاهم فقد فقد هذه الفضائل.

إنهما أمران متقابلان لا يجتمعان، ومتواريان لا يلتقيان، ونقيضان لا يتفقان: رضى الله، ورضي اليهود.

فالله لا يرضى إلا عن مؤمن صالح طيب مخلص، وهذه الفضائل التي أهلته للقبول عند الله هي نفسها أسباب السخط والعداء وال الحرب عند اليهود. واليهود لا يرضون إلا عن ضالٍ فاسق مجرم خائن عدو لله ولرسوله وأمته، وكل من فعل ذلك فقد استحق غضب الله وسخطه وعذابه.

صراع بين رسالتين

يقوم بعض الناس في هذا الزمان - الذي اشتَدَّ فيه الصراع بين المسلمين واليهود، وازداد فيه عنف الهجمة اليهودية ضد المسلمين - بالتمويل على المسلمين وخداعهم وتضليلهم، فيقدم تفسيرات باطلة خاطئة لحقيقة الصراع بين المسلمين واليهود.

منهم من يجعله صراعاً بين القوى الرأسمالية اليهودية والقوى اليسارية الاشتراكية العربية. ومنهم من يجعله صراعاً قومياً تحارب فيه اليهود القومية العربية والبعث العربي والأمة العربية. ومنهم من يجعله صراعاً استعمارياً إمبرياليَا تستغل فيه القوى الاستعمارية الإمبريالية الغربية - بقيادة أمريكا - اليهود و يجعلونهم رأس حربة لهم في هجمتهم الاستعمارية ضد الأمة العربية والقوى الثورية فيها. ومنهم من يجعله صراعاً صهيونياً يحاربنا فيه اليهود الصهاينة، وليس كل اليهود أتباع الديانة اليهودية، فيقصون العامل الديني اليهودي ويفسرون الصراع تفسيراً سياسياً صهيونياً توسيعياً. ومنهم من يجعله صراعاً إقليمياً، فاليهود اختاروا فلسطين دون غيرها لموقعها الاستراتيجي وخيراتها المذخورة، فهي البلاد «التي تدر علينا وعسلاً» وهجم اليهود عليها من أجل ترابها وخيراتها وثمارها.

كل من يقدم هذه التفسيرات خاطئٌ مخطيء، وكل هذه تأويلات باطلة مرفوضة، وكل نشر لهذه الأفكار والتحليلات إنما هو تمويه وتضليل

للامة وإبعادها عن الحق والطريق الصحيح، وزيادة في شقائقها ومعاناتها وهزيمتها.

ما هي حقيقة الصراع بيننا وبين اليهود؟ ومتى بدأ هذا الصراع؟.

إذا أردنا البيان الصادق والكلام الشافي الذي لا يتطرق إليه شك، ولا يختلف فيه مسلمان، فلن نجد هذا إلا في تقريرات القرآن وكلام الله عزوجل.

في مطلع سورة الإسراء إيحاءات ذات دلالة:

﴿سَبَحَنَ الَّذِي أَسْرَى بَعْدَهُ لِيَلَّا مِنَ الْمَسْجَدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجَدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكَنَا حَوْلَهُ، لَنْرَبَّهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، أَلَا تَتَخَذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا. ذُرْيَةُ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ، إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا. وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِئَسِيَّدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرْتَينَ وَلَتَعْلَمُنَّ عَلَوْا كَبِيرًا﴾^(١).

والامر الذي يلفت أنظارنا، ويدعونا إلى محاولة استخلاص العبر وتسجيل الحكم وبيان الدلالات هو: ما هي الصلة بين حادثة الإسراء التي وقعت لرسول الله ﷺ في مكة، وبين اليهود الذين لم يكن لهم كيان في مكة ولا وجود؟ وما هي الحكمة في هذا الانتقال المفاجئ من الحديث عن الإسراء إلى الحديث عن اليهود؟.

إن سورة الإسراء هي سورة بني إسرائيل، وإن سورة الإسراء تربط حادثة الإسراء بأرض الإسراء - فلسطين - وتشير إلى الخطر اليهودي الذي يتهدد أرض الإسراء، وتعرّف على الحقد اليهودي الموجه إلى أرض الإسراء، وتعرّف على العباد الصالحين الذين يخلّصون أرض الإسراء.

إن مطلع سورة الإسراء يعرّفنا على طبيعة الصراع بيننا وبين اليهود.

(١) الإسراء: ١ - ٤.

إنه صراع بين رسالتين ودينين ودعوتين وحزبين.

إنه صراع بين رسالة الخير التي يقودها المسلمون، ورسالة الشر التي يقودها اليهود.

إنه صراع بي رسالة الإيمان والعبودية لله التي يحملها «عبدة» محمد ﷺ، ونوح عليه السلام الذي كان ﴿عبدًا شكوراً﴾، والمسلمون الذين يعتبرون ﴿عبادًا لنا أولي بأس شديد﴾. وبين رسالة الكفر والضلال والإفساد في الأرض والعلو والتكبر فيها، والتي يحملها اليهود الذين خاطبهم الله بقوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْتَنِينَ، وَلَتَعْلُمُنَّ عَلَوًا كَبِيرًا﴾.

إنه صراع بين الحق الأصيل المتمثل بهذا الدين الذي يحمله المؤمنون، والباطل الزائف المتمثل بالصورة اليهودية المفسدة الحاقدة.

إنه صراع بين دينين: الدين الحق الناسخ لكل ما سبقه من الأديان: الإسلام، والدين المحرف المنسوخ: اليهودية.

إنه صراع بين الدعوة المؤمنة الكريمة إلى الجنة، والدعوة اليهودية الخاسرة إلى النار.

إنه صراع بين المؤمنين الذين يمثلون حزب الله المفلح، واليهود الذين يمثلون حزب الشيطان الخاسر.

إنه حلقة أو حلقات من مسلسل الصراع الدائم بين الحق والباطل، الذي بدأ بين آدم عليه السلام وإبليس اللعين، وسيبقى مستمراً حتى قيام الساعة، والناس ينحازون إما إلى الحق وإما إلى الباطل، ولا مكان لمتفرج أو واقف على الحياد الإيجابي وعدم الانحياز؟.

متى بدأ الصراع؟

لقد بدأ الصراع بين المسلمين واليهود في أيام رسول الله ﷺ، ولقد فتح حلف الصراع منذ ولادة رسول الله ﷺ. فمنذ أن ولد عليه السلام وعلم اليهود بذلك بدأوا عداهم له ولدينه ولأتباعه، وصاروا يرسمون المكاييد والفتن والدسائس ضد هذا الحق وأهله.

ونعود إلى كتب السيرة نستخرج منها شواهد وشهوداً على هذه الحقيقة: (روى ابن سعد عن عائشة أم المؤمنين - بسنده حسنـهـ الحافظ ابن حجر في فتح الباري - أنها قالت: كان يهودي قد سكن مكة، فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ قال: يا عشر قريش، هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قالوا: لا نعلم. قال: انظروا فإنه ولد في هذه الليلة نبي هذه الأمة أَحْمَد الآخر، بين كتفيه علامه. فانصرفوا فسألوا فقيل لهم: ولد لعبدالله بن عبد المطلب غلام فسماه محمدًا. فالتحقوا بعد من يومهم فأتوا اليهودي في منزله فقالوا: علمنا أنه ولد فينا مولود. قال: أبعد خبري أم قبله؟ قالوا: بل قبله، قال: فاذهبوا بنا إليه، فخرجوا معه حتى دخلوا على أمه فآخرجه إليهم، فرأى الشامة في ظهره، فُغشى على اليهودي ثم أفاق، فقالوا: ويلك مالك؟ قال: ذهبت النبوة منبني إسرائيل، وخرج الكتاب من بين أيديهم، وهذا مكتوب، يقتلهم ويُبْرِز أحجارهم، فازت العرب بالنبوة)^(١).

(١) محمد رسول الله لعرجون: ١ : ١٢٦ - ١٢٧ .

وروى ابن سعد في طبقاته عن بعض الأنصار: (أن يهود بنى قريطة كانوا يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم، ويعلمونه الولدان بصفته واسمه ومهاجرته إلينا، فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوه وبلغوا وقالوا: ليس به^(١)).

وصدق الله القائل: « ولما جاءهم كتابٌ مِنْ عندَ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ - وَكَانُوا مِنْ قَبْلٍ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا - فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ »^(٢).

وصدق الله القائل: « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرْدُنُكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسْدًا مِنْ عَنْ أَنفُسِهِمْ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ »^(٣).

وذكر ابن سعد في طبقاته (أن جماعة من اليهود مروا على ظهره - يعني مرضعته حليمة - فقالت لهم: لا تحذثوني عن ابني هذا، فإني حملته كذا، ووضعته كذا، ورأيت كذا - كما وصفت أمه - فقال بعضهم لبعض: اقتلوه.. فقالوا: أيتيم هو؟ فقالت حليمة: لا. هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا: لو كان يتيمًا لقتلناه. فذهبت به حليمة وقالت: كنت أخرب أمانتي)^(٤).

ولما كان عمر رسول الله ﷺ ست سنوات أخذته أمه آمنة إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه، وكان معهما حاضنته أم أيمن، وهناك رأه يهود يشرب فتحذثوا عنه، وسمعتم حاضنته فتوجست عليه منهم، وأبلغت سيدتها، فرحلوا عائدين إلى مكة^(٥).

ولما أصبح رسول الله ﷺ فتى في الخامسة عشرة من عمره خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام، وهناك التقى بالراهب بحيري، وبعد حوار طريف بين بحيري وبين رسول الله ﷺ وبين بحيري وبين عمه أبي طالب قال بحيري

(١) المرجع السابق ١ : ١٢٩ .

(٢) البقرة: ٨٩ .

(٣) البقرة: ١٠٩ .

(٤) محمد رسول الله ١ : ١٣٤ .

(٥) المرجع السابق ١ : ١٥٨ .

بعدها لأبي طالب: (ارجع بابن أخيك إلى بلدك واحذر عليه اليهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما أعرف ليغفنه عنتاً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم، نجده في كتابنا وما روينا عن آبائنا، واعلم أنني قد أديت إليك النصيحة).

فلما فرغوا من تجارتهم خرج به سريعاً، وكان رجال من اليهود قد رأوا رسول الله ﷺ وعرفوا صفتة فأرادوا أن يغتالوه، فذهبوا إلى بحيرى فذاكروه أمره، فنهاهم أشد النهي، وقال: أتجدون صفتة؟ قالوا: نعم، قال: فمالكم إليه سبيل^(١).

نكتفي بهذه الشواهد على عداء اليهود للرسول عليه السلام منذ ولادته، ونشير إلى العداء الشديد الذي وجهوه للرسول عليه السلام بعد نبوته، سواء وهو في مكة، أو عندما هاجر إلى المدينة.

ونكتفي في الاستشهاد على ذلك بما يلي:

روت كتب السيرة والتاريخ عن صافية بنت حبي بن أخطب - زوج رسول الله ﷺ - قولها: (لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحبت إليهما مني ، لم ألقهما في ولد لهما قط أهش إليهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ قباء غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغلسين (عند الفجر)، فوالله ما جاءانا إلا مع مغيب الشمس، فجاءنا فاترين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينَا، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما نظر إلي واحد منهم).

فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: (أهؤ هو؟ قال: نعم والله! قال: تعرفه بنته وصفته؟ قال: نعم والله! قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت!!^(٢)).

ولقد تمثلت هذه العداوة اليهودية الحاقدة ضد رسول الله ﷺ في عدة

(١) المرجع السابق ١ : ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) البداية وال نهاية لابن كثير: ٣ : ٢١٢ .

حوادث حاولوا فيها اغتياله : إما بإلقاء حجر عليه كما فعل يهود بنى النضير ، أو بتailib الأحزاب العربية المشركة لمحاجمته في المدينة كما فعل حبي بن أخطب ، وإما بوضع السم له في الشاة المشوية كما فعلت يهودية يوم خير.

ثم برزت هذه العداوة الشديدة في مظاهر عديدة تجلّى فيها الحقد اليهودي ضد الإسلام وأهله ، وسجل التاريخ كثيراً من هذه المظاهر ابتداءً من عصر الصحابة الكرام وحتى هذه الأيام ، وزادت حدة العداء الحاقد ضد الإسلام والمسلمين في هذا الزمان ، وبخاصة ضد طلائع البعث الإسلامي العاملة في كل مكان .

(عداوه ما حيت) هذا الشعار الذي رفعه اليهودي الحاقد حبي بن أخطب هو ما يعتقد كل يهودي على اختلاف الزمان والمكان ، كل اليهود يجتمعون على هدف أسود وشعار حاقد ، إنه حرب الإسلام والمسلمين ومعاداتهم حتى الموت .

متى يقفل ملف الصراع؟

عرفنا أن الصراع قد بدأ بيننا وبين اليهود منذ مولد رسول الله ﷺ، وفي الأيام الأولى للإسلام في مكة.

واستمر هذا الصراع طيلة فترات التاريخ الإسلامي، وتمثل في مختلف الأساليب اليهودية الحاقدة ضد الإسلام والمسلمين وعلى كل الجبهات.

واشتد هذا الصراع في العصر الحديث حيث زاد حدة وعنفاً وقسوة، ونجح اليهود في هزيمة المسلمين المعاصرين وإقامة كيان لهم في فلسطين.

وجبن بعض المسلمين عن مواجهة العداء والحق والمكر اليهودي مواجهة جهادية، وعجزوا عن الصمود أمامهم بسبب بعدهم عن الإسلام، ويا ليتهم اكتفوا بهذا الجبن والعجز، وأعلنوا هذا على الملأ وانسحبوا إلى زوايا النسيان .. إذن لأراحوا واستراحوا، ولكنهم أضافوا إلى هذه الجريمة جريمة أخرى - أو جرائم - حيث اعتبروا هذا الجبن والعجز فطنة وحنكة وسياسة وبعد نظر وحسن تدبير، ولذلك راحوا يقنعون الآخرين بتائیدهم في جهودهم من أجل إنتهاء الصراع بينهم وبين اليهود، وإغفال ملفه، ومفاوضتهم من أجل الحصول على السلام - العادل والدائم والشرف - والتسليم لهم باحتلال فلسطين، وصاروا يدعون الناس إلى نبذ الحرب وإلغاء الجهاد وتوفير دماء الأمة وعمرها وطاقاتها وأموالها لمرحلة السلام، واستخدموا من أجل ذلك كل ما يملكون من وسائل وأساليب.

لكن هل هم قادرون على ذلك؟ هل يستطيعون إيقاف ملف الصراع والقتال وفتح ملف للسلام الدائم والمعاهدات وحسن الجوار؟ الجواب لا.

إنهم عاجزون عن ذلك عجزاً تاماً، قد ينجحون في تأجيل الصراع إلى حين، وقد ينجحون في عقد اتفاقيات ومعاهدات سلام إلى حين، لكنهم عاجزون عن أن يلغوا الصراع نهائياً، وعاجزون عن جعل السلام حقيقة دائمة مستمرة.

إنهم عاجزون لأنهم يقفون أمام إرادة الله سبحانه، ويحاولون تعطيل أمره وإيقاف قدره عز وجل، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

لقد شاء الله عز وجل أن يبقى الصراع بين المسلمين واليهود مستمراً حتى قرب قيام الساعة، ويريد البشر الضعاف لإنهاءه في هذا الزمان !! ولا يكون إلا ما شاء الله.

ولقد شاء الله أن يعيش اليهود في ذل وتشريد وضياع وفرقة واختلاف وهزيمة إلى يوم القيمة، باستثناء بعض الفترات التي يُمد الجبل لهم إلى حين، ويشاء بشر ضعاف أن يعيش اليهود في عز دائم وسلطان وتمكين مستمرتين، ولا يكون إلا ما شاء الله.

ولقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن صراعنا مع اليهود دائم مستمر لا يتنهى إلا قرب يوم الساعة، وأننا سوف ننتصر عليهم بإذن الله قبل قيام الساعة، وأننا سوف نقتلهم ونقضي عليهم قبل قيام الساعة.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود».

وروى البخاري ومسلم والترمذمي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

أن النبي ﷺ قال: «لتقاتلُنَّ اليهود، فلتقتلُنَّهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعالَ فاقتله»^(١).

وروى مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لتقاتلُكم اليهود فتُسلطُون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»^(١).

ملف الصراع مع اليهود سيقى مفتوحاً، وال الحرب سجال بيننا وبينهم، وستتحقق كل الجهود المبذولة لـإغفال الملف قبل أوانه، أو مساملة اليهود ومهادنتهم، وخبير للذين يتهارون على هذا الحل، ويغالبون قدر الله ومشيئته، ويضيئون الكثير من أعمار الأمة وطاقاتها وأموالها وبنائها.. خير لهؤلاء أن يكونوا ستاراً لقدر الله، وأن يزيدوا الصراع مع اليهود حدة وعنفاً، وأن يجندوا كل الطاقات والقدرات والإمكانيات في سبيل الله، وأن يسعوا ليكون على أيديهم الخير والفتح والتمكّن، وليهتموا بما سيكتبه عنهم التاريخ.

(١) جامع الأصول ١٠ : ٣٨٢ - ٣٨١

حقد اليهود الدائم على المسلمين

حقد اليهود علينا عميق في قلوبهم، متواصل فيها، متتمكن منها، مسيطر عليها، موجه لحركاتهم وتصرفاتهم، محدد لمؤامراتهم وفتنهم، مؤجّج للعداء والصراع وال الحرب بيننا وبينهم.

ويظن بعض السذج أن بالإمكان إزالة هذا الحقد، وإبداله بالمحبة والمودة والتعاون، ولذلك يدلي هؤلاء استعدادهم لمعاملة اليهود بكرم حاتمي حول فلسطين وحقوق أهلها، ويقدّمون هذا عرضاً لإزالة الحقد من قلوبهم.

ويتجاوب اليهود مع هؤلاء إلى حين، ويظهرون لهم حرصهم على نفع المسلمين، ويدون لهم حبّاً ورحمة وإنسانية، ويخفون حقيقة شعورهم وعنت حرّبهم معهم.

لكن المؤمن البصير لا يستجيب لهذه التزّعات، ولا يخدع بما يقدمه اليهود من مناورات، ويعتقد جازماً أن اليهود يمكنون له عداوة لا يمكن أن تُزال.

آيات عجيبة من سورة آل عمران تدل المسلمين على مقدار تأصل الحقد في نفوس اليهود، واستمراره وديمومته إلى قيام الساعة. قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا، وَدُولَا مَا عَيْتُمْ، قَدْ بَدَّتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ، وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تَحْبُونَهُمْ، وَلَا يَحْبُونَكُمْ، وَتَؤْمِنُونَ

بالكتاب كله، وإذا لقوكم قالوا آمنا، وإذا خلوا عَضُوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل مُوتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور. إن تمسيكم حسنةٌ تَسْوِعُهُمْ، وإن تصبكم سيئةٌ يفرحوا بها، وإن تصبروا وتنتفعوا لا يضركم كيدهم شيئاً، إن الله بما تعلمون محيطٌ^(١).

لقد كشفت لنا هذه الآيات عن نفسيات الأعداء، وأظهرت لنا مقدار حقدهم وعدائهم لنا، واستمرار هذه طيلة حياتهم، وإن اليهود ليقفون في طليعة هؤلاء الأعداء الحاذقين، باعتبارهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا.

فلنواجه حقدهم الأسود الدائم باللجوء إلى الله، ولنستعن عليهم بالله، ولنستَعُلِ عليهم بهذا الدين، ولنستخدم معهم سلاح الصبر والتقوى، وسلاح المواجهة المادية، والجهاد الدائم، والمعارك المستمرة، والرباط المتواصل.

(١) آل عمران ١١٨ - ١٢٠.

جبن اليهود في الحروب مع المسلمين

اليهود جبناء لا يجرأون على القتال، ولا يصدرون في الحرب. لِمَا طالبهم موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة جبنوا وأجابوه قائلين: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ، وَإِنَا لَن نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا، فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا إِنَا دَخْلُونَ﴾^(١) ولِمَا أَلْحَ عَلَيْهِمْ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّجَاعَانَ، وَرَسَمُوا لَهُمْ طَرِيقَةَ الدُّخُولِ، تَوَقَّحُوا وَقَالُوا: ﴿لَن نَدْخُلَهَا أَبْدًا مَا دَامُوا فِيهَا، فَادْهُبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَإِنَا هُنَّا قَاعِدُونَ﴾^(٢).

هم جبناء، ولذلك لما خرج ملكهم طالوت لمواجهة عدوهم جالوت جبنوا عن المعركة: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا يَوْمَ بِجَالُوتَ وَجَنْوَهِ﴾^(٣).

وهم جبناء في حروبهم مع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوْلَى الْحَشْرِ، مَا ظَنَّتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا، وَظَنَّوا أَنَّهُمْ مَانِعُهُمْ حَصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حِيثِ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَدْفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّرُعبُ، يُخْرِبُونَ بِيَرْتَهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

(١) المائدة: ٢٢.

(٢) المائدة: ٢٤.

(٣) البقرة: ٢٤٩.

(٤) الحشر: ٢.

وقال الله عنهم : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُ رَهْبَةً فِي صِدْرِهِمْ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ، لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قَرْبِ مَحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدْرٍ. بِأَسْهَمِ بَيْنِهِمْ شَدِيدٌ، تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتِيٌّ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١).

ومن شدة جبنهم عندما يواجهون الرجال المسلمين أنهم يحتمون خلف الحصون والقلاع والجدران والقرى المحصنة وأشجار الغرقد وحجارة الطريق، كما بين رسول الله ﷺ «حتى يقاتل المسلمين اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر أو الشجر، حتى يقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله: هذا يهودي ورأيي تعالى فاقتله».

وإذا كان اليهود قد استأسدوا في هذا الزمان وتنمروا، وظهروا بمظاهر البطولة والجرأة، فلأنهم لم يواجهوا الرجال المسلمين، وإنما واجهوا أناساً مشتتين جبناء، ويوم يجاهد المسلمين الصادقون اليهود - وهو آت قريب بإذن الله - فسيعود اليهود إلى قزامتهم وضآلتهم، وتزول عنهم حالات البطولة والشجاعة، ويظهرون على جبنهم وخوفهم وهلعهم.

(١) الحشر: ١٣ - ١٤.

من صفات عملاء اليهود

عرض القرآن كثيراً من صفات اليهود وأخلاقهم، كما عرض لنا كثيراً من أخلاق وصفات عملاء اليهود.

ولقد كان المنافقون في المدينة زمن رسول الله ﷺ يعتبرون عملاء لليهود وأعواناً لهم، وبين القرآن أساليب هؤلاء العملاء في متابعة أسيادهم اليهود، ورسم لنا خفايا نفوسهم، وصور لنا شخصياتهم، وأبان لنا عن نماذجهم المهزوزة الضعيفة الجبانة.

ولا يمالئ اليهود في أي زمان أو مكان إلا منافق معاد لله ولرسوله ولدينه ولأمته ولوطنه، ولهذا كانت أهم صفة جامدة من صفات عملاء اليهود هي صفة النفاق، وهذه الصفة تبدو واضحة في كل عميل تابع ذليل لهم.

وكل من أراد أن يتعرف على عملاء اليهود في هذا الزمان - الذي كثر فيه هؤلاء العملاء - فليقرأ آيات القرآن التي تصور نفسيات المنافقين السابقين في المدينة، وتحلل صفاتهم، وترسم شخصياتهم، وتتحدث عن أعمالهم التي تبدو منها العمالة واضحة.

ونقدم فيما يلي طائفة من الآيات التي تتحدث عنهم، وندعو إلى ملاحظة أبعادها الواقعية في هذا الزمان، وإلى تأمل انتطبقها على العملاء المعاصرین.

من صفاتهم في سورة البقرة:

قال تعالى عن المنافقين: ﴿إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَا، وَإِذَا خَلَوْا

إلى شياطينهم قالوا: إنما معكم، إنما نحن مستهزئون. الله يستهزء بهم
ويمدهم في طغيانهم يعمهون ^(١).

والمقصود بشياطينهم: أسيادهم اليهود، الذين يعلمونهم النفاق
والشيشنة والسكر والإفساد، يزعمون الإيمان إذا جلسوا مع المؤمنين،
ويظهرون بمظهر الصالحين العابدين، وسرعان ما يخلون بشياطينهم وأسيادهم
ليطمئنون أنهم ما زالوا معهم على نفاقهم، وأن مغاراتهم للمؤمنين إنما هي
نوع من التكتيك والمكر والدهاء.

لاحظ كلمة «إذا خلوا» وما توحّي به من الصلة الخفية بين العملاء
وشياطينهم اليهود، وحرصهم على أن يخلوا بهم في غفلة من عيون الناس،
بسريّة وحذر ونفاق.

إذا خلوا إليهم قالوا: إنما معكم، إنما نحن مستهزئون بال المسلمين، إنهم
حريصون على استمرار صلتهم بأسيادهم، وعلى إعلان ارتباطهم بهم بصورة
مستمرة دائمة منتظمة، وما أصدق ما تنطبق هذه الآيات على عملاء اليهود
المنافقين في هذا الزمان.

لوحتان لصفاتهم:

وقال تعالى: «بَشِّرُّ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا». الذين يتخدون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين، أيتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميـعاً.
وقد نـزل عليـكم في الكتاب أـنْ إـذَا سـمعـتم آـيـاتـ اللـهـ يـكـفـرـ بـهـ وـيـسـهـزـ بـهـ فـلاـ
تـقـدـعـوـاـ مـعـهـمـ حـتـىـ يـخـوضـواـ فـيـ حـدـيـثـ غـيـرـهـ، إـنـكـمـ إـذـاـ مـثـلـهـمـ، إـنـ اللـهـ جـامـعـ
الـمـنـافـقـينـ وـالـكـافـرـينـ فـيـ جـهـنـمـ جـمـيـعاًـ. الـذـينـ يـتـرـبـصـونـ بـكـمـ، فـإـنـ كـانـ لـكـمـ
فـتـحـ مـنـ اللـهـ قـالـواـ: أـلـمـ نـكـنـ مـعـكـمـ؟ وـإـنـ كـانـ لـلـكـافـرـينـ نـصـيـبـ قـالـواـ: أـلـمـ
نـسـتـحـوـذـ عـلـيـكـمـ وـنـمـنـعـكـمـ مـنـ الـمـؤـمـنـينـ؟ فـالـلـهـ يـحـكـمـ بـيـنـكـمـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ، وـلـنـ

(١) البقرة: ١٤ - ١٥.

يجعلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا . إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ يُخَادِعُهُمْ ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى ، يَرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا . مُذَبَّدُونَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هُؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هُؤُلَاءِ ، وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا)١(.

وقال تعالى : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوَّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَاتِلِينَ لِإِخْرَانِهِمْ هُلْمَ إِلَيْنَا ، وَلَا يَأْتُونَ بِالْأَسْسِ إِلَّا قَلِيلًا ، أَشَحَّهُ عَلَيْكُمْ ، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكُمْ تَدْوُرُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشِي عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ، فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْنَةِ حَدَادٍ ، أَشَحَّهُ عَلَى الْخَيْرِ ، أَوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ، وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ ، يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ ، وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا)٢(.

وأكفي بعرض هاتين اللوحتين اللتين تعرضان مجموعة من صفات المنافقين بدون تعليق ، وأدع استخراج هذه الصفات وملاحظة أبعادها الواقعية على منافقي هذا العصر لفطنة القارئ ، وعيته اللماحة ، وبصيرته النافذة .

من صفاتهم في سورة المائدة :

وَأَنْتَلُ إِلَى لَوْحَاتِ قُرْآنِيَّةِ أُخْرَى . قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِكَ ، بَعْضُهُمْ أُولَئِكَ بَعْضٌ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ، يَقُولُونَ نَخَشِيُّ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ ، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عَنْدِهِ ، فَيَصِبُّحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ . وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا : أَهُؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا ، حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ)٣(.

(١) النساء : ١٢٨ خ ١٤٣ .

(٢) الأحزاب : ١٨ - ٢٠ .

(٣) المائدة : ٥١ - ٥٣ .

اليهود والنصارى بعضُهم أولياء بعض، ومن يتولُّهم من المسلمين فإنه منهم.. هذه حقيقة قرآنية صادقة.

والآيات الكريمة تصور عملاء اليهود، وتعرض لنا صفاتهم، وترسم لنا نماذجهم، إنهم في قلوبهم مرض، وهذا المرض هو الشك والشبهة، هو موالة اليهود والنصارى ونصرتهم ومودتهم والعملة لهم.

فترى الذين في قلوبهم مرض «يسارعون في موالة اليهود وكسب ودهم ورضاهم، ويحرضون على ذلك ويدلّون له كل ما يملكون، المهم أن يرضي عنهم أسيادهم، ولو نالوا غضب رب العالمين».

لماذا هؤلاء يسارعون في موالة اليهود؟ إنهم يقولون: (نخشى أن تصيبنا دائرة) لو لم نوال اليهود ونماليهم فإننا سنخسر، وتصيبنا دائرة السوء والضر والأذى، إن اليهود قادرون على أن يوقعوا بنا الشر، وإننا ندفع هذا الشر بموالاتهم، إن موالاتهم واجبة وضرورة، وإنها حلٌّ لكل المشكلات، وصمام الأمان للمجتمعات، وهذا ما يزيّنه لهم شياطينهم، ويرونهم الباطل حقاً، والضلال هدى، والفساد صلاحاً.

ماذا سيكون موقف هؤلاء العملاء عندما يظهر الحق وينتصر المسلمون ويهزم اليهود؟ ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرًا مِّنْ عَنْدِهِ، فَيَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِيْنَ﴾.

ويستغرب المؤمنون من موقف العملاء ومن عمالتهم وارتباطهم باليهود، فيقولون: أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهداً أيمانهم إنهم لمعكم؟ أهؤلاء الذين كانوا يظهرون بمظاهر الوطنية، ويلبسون ثياب البطولة والحرية، ويتشددون بمعاداة اليهود والصهيونية..؟!

لقد كان ذلك كله إخفاء لعمالتهم، وذرأً للرماد في عيون السامعين، وتمريراً للعمالة الخبيثة لليهود، ولعبة من الاعيب العماله المعهودة فيهم.. كان العملاء يقسمون بالله جهداً أيمانهم إنهم لمعكم، وهم في حقيقة الأمر

مع أسيادهم اليهود. ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمِنَا، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا: إِنَا مَعْكُمْ، إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾.

من صفاتهم في سورة الحشر:

ونختتم هذه الصفات بهذه الآيات: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمْ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطْعِنُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبْدًا، وَإِنْ قُوْتَلْتُمْ لَنَصْرَنَّكُمْ، وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ، وَلَئِنْ قُوْتَلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ، وَلَئِنْ نَصْرُوهُمْ لَيُؤْلَمُ الْأَدْبَارُ، ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ، لَأَنَّمَا أَشْدُ رَهْبَةً فِي صِدْرِهِمْ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(۱).

وقد نزلت هذه الآيات في مناسبة إجلاء بني النضير من المدينة، وتتحدث عن موقف المنافقين عملاً اليهود ووعدهم لأسيادهم بأن يكونوا معهم.

فقد حاصر رسول الله ﷺ اليهود ببني النضير داخل حصونهم وشدد عليهم الحصار، واستمر الحصار أيامًا، وأراد اليهود أن يستسلموا، فاتصل بهم عمالاؤهم المنافقون بزعامة عبد الله بن أبي و قالوا لهم: لا تستسلموا فنحن معكم، ننصركم وننجذبكم ونقاتل المسلمين معكم، وانتظروا منا المدد والتأييد.. فقال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمْ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أي يقول المنافقون لليهود: لئن أخرجتم لخراجن معكم، ولا نطع فيكم أحدًا أبدًا، ولو كان هذا الأحد هو أقاربنا أو حتى لو كان هو رسول الله ﷺ.. وإن قوتلتكم لننصرنكم.

وانتظر اليهود المدد والنصر من المنافقين، ولكنه لم يأتي، وجبن المنافقون عن تحقيق وعدهم لليهود، وطال الحصار، واضطر اليهود أخيراً للإسلام.

(۱) الحشر: ۱۱ - ۱۳.

وقد أكذب اللّه المنافقين في وعودهم لأسيادهم اليهود فقال: ﴿وَاللّهُ يَشَهِدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وفَنَدَ وعدهم تفصيلاً: لئن أخرج اليهود فإن المنافقين لن يخرجو معهم، لأنهم أعجز من أن يضخروا ولو من أجل أسيادهم، ولئن قوتل اليهود فإن المنافقين لا ينصرونهم، وإذا ما تشجع المنافقون وقدموا لهم النصرة والمدد فإنهم سيجبنون عن الثبات والقتال: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّنَ الْأَدْبَارُ، ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾.

هذه أهم صفات عملاء اليهود كما يعرضها القرآن، وهي تنطبق أساساً على منافقي هذا الزمان الذين يوالونهم ويماثلونهم ويكونون معهم: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرِينَاكُمْ فَلَعْنَافَتَهُمْ بِسِيمَاهِمْ، وَلَتَعْرَفَنَّهُمْ فِي لَهْنَ القَوْلِ﴾^(١).

(١) محمد: ٣٠.

من صفات الذين يهزمون اليهود

على المسلمين المعاصرین أن يمعنوا النظر في القرآن، وأن يستخرجو
منه صفات المؤمنين الصالحين ليلتزموا بها، وأن يتعرفوا منه على ملامح
وسمات الرجال المؤمنين الذين يوقفون اليهود عند حدهم، ويقضون على
إفسادهم، ويعيدون فلسطين والأرض المقدسة للإسلام والمسلمين.

ونشير إلى بعض صفات المؤمنين المؤهلين لهزيمة اليهود من خلال
القرآن الكريم والحديث الصحيح.

قال تعالى عن المؤمنين الذين يقضون على إفساد اليهود الأول، وعن
أحفادهم الذين يقضون على إفسادهم الثاني: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعْثَانًا
عَلَيْكُمْ عَبَادًا لَنَا أُولَئِي بَأْسٍ شَدِيدٍ، فَجَاسُوا خَلَالَ الْدِيَارِ﴾^(۱)، ثُمَّ قَالَ:
﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسُوءُوكُمْ وَجْهَكُمْ، وَلِيُدْخِلُوكُمُ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوكُمُ اُولَى
مَرَّةً، وَلِيُتَبَرَّوْكُمْ مَا عَلَوْتُمْ تَبَرِّيًّا﴾^(۲).

من هذه الآيات نستخرج هذه الصفات: إنهم عباد مؤمنون صالحون،
ورجال مجاهدون صادقون، وهم مخلصون لله، متجردون له، وهم أقوباء
وشجعان ألو بأس شديد، بأس في هممهم وعزائمهم، وبأس في أجسامهم
وابدانهم، وبأس في أسلحتهم ومعداتهم، وبأس في معاركهم و مواقعهم،

(۱) الإسراء: ۵.

(۲) الإسراء: ۷.

ويأس في حربهم وجهادهم.. ونتيجة لهذه الصفات الرجلية الإيمانية ينبحون في إيقاع السوء بوجوه اليهود، وهزيمتهم واسترداد البلاد منهم ودخول الأقصى فاتحين ظافرين.

وفي سورة المائدة إشارة إلى صفات هؤلاء الرجال المؤمنين: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدُ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسُوفَ يَأْتِ اللَّهُ بِقَوْمٍ يَحْبُّهُمْ وَيَحْبُّونَهُ، أَذْلَلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، أَعْزَلُهُ عَلَى الْكَافِرِينَ، يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حَزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾^(١).

ونشير إلى الحديث الذي رواه مسلم عن رسول الله ﷺ - والذي أوردهنا من قبل - حيث يخاطب الحجر والشجر المسلم بهذا النداء: «يَا مُسْلِمٍ، يَا عَبْدَ اللَّهِ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَأَيَ تَعَالَى فَاقْتَلَهُ»، هذه صفة المجاهدين: مسلمون، عباد الله.

(١) المائدة: ٥٦ - ٥٤.

طريق النصر على اليهود وحل القضية الفلسطينية

يخطئ بعض المسلمين في بحثه عن طريق النصر على اليهود، ويخطئ في إيجاد حل للقضية الفلسطينية، ويتساءل كثيرون عن طريق النصر وكيفية الوصول إليه؟ ويتراءى طريق من بعيد لبعض الباحثين فيظنونه هو الطريق، ويذهبون إليه، ويجربونه وإذا به طريق الهزيمة والذلة والضياع.

لا للحلول الجاهلية :

عندنا يقين جازم أحذناه من تقريرات القرآن وحقائقه ومعالمه بشأن صراعنا مع اليهود، هذا اليقين يقوم على رفض ونبذ كل الحلول الجاهلية لهذا الصراع، والمقترنات الجاهلية لطريق النصر والخلاص، وأن هذه الحلول والمقترنات لن نجني منها إلا مزيداً من الذل والهزيمة والضياع، وسوف تؤخر النصر وتتطيل المعاناة والعذاب ..

من الحلول الجاهلية المطروحة: الحل الإقليمي الذي يجعلها قضية الفلسطينيين أنفسهم ولا شأن للعرب أو المسلمين بهم، والحل القومي الذي يجعلها قضية قومية عربية، والحل التوزي الذي يجعلها امتداداً للإمبريالية والاستعمار والرأسمالية.

ومن هذه الحلول المرفوضة عند المسلمين الصادقين، الحل الأمريكي، الذي يجعل أصحابه الكراكي في الملعب الأمريكي والخيوط كلها في يد أمريكا، ومنها الحل الاشتراكي الذي يطالب بدخول روسيا اللعبة لتوازن القوى.

ومن هذه الحلول «الحل السلمي» الذي يقوم على تحطيم الحاجز النفسي بين العرب واليهود، وفتح باب المفاوضات المباشرة معهم، ومفاوضتهم على أن ينسحبوا من جزء من فلسطين لتقام عليه دولة عربية فلسطينية «علمانية»، ثم إنهاء حالة الحرب، والاعتراف لليهود بالسيادة على فلسطين، وإقامة علاقات دبلوماسية وسلام دائم معهم، «أفحكم العاجلة يَبْغُون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون»^(١).

كفانا تجارب:

يحرص المسؤولون على إبقاء الناس تعيش آمالاً على تحقيق وعود مَنْوِهم بها، وكلما فشلوا في وعد قدّموا لهم وعداً آخر، ولا ترى الأمة من هذه الوعود سوى أوهاماً وأحلاماً وخیالات وسراباً يُعدهم وينهیهم، وما يعدُهم الشیطان إلا غروراً^(١).

ويجعل هؤلاء المسؤولون الأمة حقلًا وميداناً للتجارب، يجريون عليها الحل الفلاني ويطلبون بمدة للتجربة، فإن فشل فالتجربة للحل الفلاني، وهكذا تبقى الأمة تتضرر نتائج التجارب، وبيني بعض السذج المخدوعين آمالاً وأحلاماً على هذه الحلول، ويراهنون على نجاح التجارب، ولا يحصلون إلا على ما يحصل عليه من توجه إلى سراب الصحراء ليروي ظماء.

اعتماد الحل الإسلامي:

الحل الإسلامي للقضية الفلسطينية ولحالة الصراع مع اليهود هو الحل الوحيد الصحيح النافع الناجح، ولذلك فاتباعه واجب إسلامي، واعتماده ضرورة حياتية، والتزامه بدھية يقینية.

كم بحثت أمتنا عن حلول، وكم أقامت من تجارب، ماذا استفادت من ذلك؟ ها هوذا بارز في حياتها، من ذل وهزيمة وضياع وعذاب.

(١) المائدة: ٥٠

ويصر كثيرون على استبعاد الحل الإسلامي وطرحه جانباً، وهؤلاء هم أعداء الأمة، الحريصون على معاناتها وضياعها، الممكرون لوجود أعدائها.

إن اعتماد الحل الإسلامي ليس تطوعاً ولا نافلة، بل هو واجب ديني وإسلامي وإيماني، ولا يُؤخذ هذا الحل لتجرى عليه التجارب ويختبر للاستفتاءات والمساومات، فإن الله أعز وأسمى من كل هذا، وإنما يعتمد الحل الإسلامي بصدق وثقة ويقين، ويؤخذ ليطبق ويترسخ وينفذ في حياة الناس، وإن نجاحه في حيز التطبيق العملي بد晦ية يقينية لا تحتاج إلى تفكير أو شك أو انتظار ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١).

إقامة المجتمع الإسلامي:

وإقامة المجتمع الإسلامي الرباني واجب ديني وإسلامي وإيماني كذلك، ويجب أن تضافر الجهود من أجل إقامته وإيجاده في الواقع، وذلك حتى يكون لإسلامنا وجوده الحي الحقيقي الواقعي، وحتى نمارس إسلامنا ونعيشه في حياتنا.

إن اليهود يحاربوننا حرباً دينية، يحاربوننا باعتبارهم يهوداً، ولهذا أقاموا كيانهم ومجتمعهم اليهودي الديني. وهم يحاربوننا لأننا مسلمون، وطريق انتصارنا عليهم أن نكون مسلمين فعلاً وحقيقة وواقعًا، ولن يكون هذا إلا بإقامة المجتمع الإسلامي المنشود، وبهذا نتال رضوان الله ونصره وتأييده، وصدق الله القائل: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التُّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فُوقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾^(٢).

تحقيق العبودية لله:

عندما يقيم المسلمون مجتمعهم الإسلامي المنشود، ويوجدون نظام

.(١) الأحزاب: ٣٦.

.(٢) المائدة: ٦٦.

الحكم الإسلامي العادل، وال الخليفة المسلم الراشد - كمقدمة لا بد منها تسبق الانتصار على اليهود -، فإنهم جميعاً يؤدون فيه واجب العبودية لله وحده، العبودية التي خلقنا الله من أجلها، وطالينا بأدائها، وجعلها وظيفة لنا في هذه الحياة ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةِ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١).

في المجتمعات الجاهلية يكون الناس بعضهم عبيداً لبعض، وعيبداً للأهواء والشهوات والدنيا والمتعة، وفي المجتمع الإسلامي يكون الجميع عبيداً لله وحده.

العبودية للناس والأهواء تعني الذل والمسكنة، وتسبّب الضياع والماسي والمصائب، والعبودية لله تعني الحرية والعزة والكرامة، وكلما حقق المسلم عبوديته لربه كلما ذاق طعم إنسانيته وعزّته وحرفيته وكرامته. «نفسك عزّها الكامل في ذلّها الكامل لله». فالمسلم الوحيد من بين البشر هو «العبد الحر» عبد لله وحده، حر في حياته، يستعلي على الدنيا وأهلها وزخارفها.

وعندما يحقق أفراد الأمة عبوديتهم لله، يكونون أحراراً أعزّة كراماً، رجالاً أبطالاً شجعانًا. وهذه الصفات أساسية لا بد منها للذين يحاربون اليهود، ولن توجد إلا من خلال العبودية لله وحده.

إعداد الأمة جهادياً :

يجب أن يعاد النظر في كل أهداف وبرامج وغايات المنهاج والنظم في المجتمع، بحيث تُوظف جميعها لهدف واحد، ويراد منها تحقيق غاية واحدة وهي : تربية أفراد الأمة على الإيمان والإسلام والصلاح والعبادة والتقوى، تربيتهم على معاني العزة والحرية والكرامة والألفة، تربيتهم على معاني الرجولة والثبات، وإعدادهم إعداداً جهادياً، وتربيتهم تربية جهادية، وتحبيب الجهاد إليهم وترغيبهم في الموت في سبيل الله وتحقيق الشهادة فيه، وسيرهم الحيث الثابت نحو الجنة، وطلبهم مرضاه الله.

(١) المداريات : ٥٦

فكل المؤسسات والوزارات والمعاهد والجامعات ووسائل الإعلام والتوجيه والتأثير ووسائل اللهو والتسلية والفن، والمحظوظون والمسؤولون والمنفذون يجب أن يتقوّى جميعاً على تحقيق هذا الهدف، وتخریج هذه الأفواج من الرجال المجاهدين.

كل شيء للجهاد:

وعلى الأمة أن تعد العدة للمعركة الفاصلة مع اليهود، وأن تجهز كل ما تستطيعه من قوة وأسلحة وطاقات، وأن تستخدم أحدث الأسلحة الفتاكه وأدوات الحرب والجهاد، ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، تُرْهِبُون به عدوَ الله وعدوكم﴾^(١).

على الأمة أن توظف كل إمكاناتها العادلة للمعركة، وأن تحشد كل طاقاتها لها، وأن يكون كل شيء فيها موجهاً للجهاد: مالها، اقتصادها، صناعتها، مؤسساتها، علومها، أفرادها، خططها، برامجها..

لا يجري في الأمة شيء إلا لخدمة هذه الغاية، لا ينفق فيها مال إلا لهذا الهدف، لا تنفذ فيها خطة ولا يعرض فيها قانون إلا للجهاد، كل شيء للجهاد، كل شيء للتزوّد والإعداد، كل شيء وقود للمعركة، المال والطاقات والرجال.

إدخال القرآن المعركة:

لا بد من إدخال القرآن المعركة مع اليهود، وهو قادر - بإذن الله - على أن يخوضها وأن يقود الأمة فيها، وقد أمرنا الله أن نجاهد الأعداء به ومن خلاله ﴿فَلَا تُطِعُ الْكَافِرِينَ، وَجَاهِدُهُم بِهِ جَهَادًا كَبِيرًا﴾^(٢).

القرآن يعرّفنا على طبيعة المعركة مع اليهود، وعلى سبب حربهم لنا، إنها معركة العقيدة، وهم يحاربوننا لأننا مسلمون. ويعرّفنا على غايتهم من

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) الفرقان: ٥٢.

هذه المعركة وهي أن يفتونا عن ديننا، كما يكشف لنا عن سماتهم ونماذجهم فيها، ويدلنا على وسائلهم وأساليبهم وأسلحتهم فيها، ويضع بين أيدينا أسباب النصر وعدة الجهاد ووسائل الشبات.

وكم نخسر عندما نستبعد القرآن عن المعركة، ونستعين بغيره من مناهج وخطط وأراء وخبرات الآخرين الذين قد يكونون أعداء لنا وأعواناً لأعدائنا.

يجب النظر إلى اليهود بمنظار القرآن، ووزنهم بميزان القرآن، ووضعهم تحت مجهر القرآن، وتحليلهم على أساس القرآن، واستخراج الأحكام والدلائل التي حررتها آيات القرآن، ومجاحدتهم بهذا القرآن، والإيمان بمقررات وحقائق القرآن، والتعامل معهم بتوجيهات القرآن، ورؤيه مستقبل كيانهم بمنظار القرآن، والقرآن كفيل بأن يمنحك كل هذا، إنه كلام الله الذي يهدي للتي هي أقوم.

إيقاف مسلسل المهازل وقطع رحلة الضياع:

قام مسؤولون من هذه الأمة برحلة طويلة للقضية الفلسطينية كانت رحلة ضياع، وعانت فيها الأمة ما عانت، وتعبت فيها ما تعبت، ولم تَجُنْ منها إلا مزيداً من الضياع والضلال والذلة والهزائم والنكبات.

استنجد هؤلاء المسؤولون بالآخرين في حل القضية الفلسطينية، ونسوا رب العالمين، وتعاملوا عن توجيهات القرآن وحل الإسلام. طلبوا العون والنجدة والتأييد من القوى العظمى، ولم يجدوا عندها إلا الضلال والشقاء لأنها تخدم اليهود ولا تساعد المسلمين، استورد هؤلاء المسؤولون الحلول الغربية والاقتراحات الغربية والأفكار الغربية، واستعنوا بالعقل والنظارات الغربية المعادية، ولم يجدوا عندها شيئاً.

وعرضوا على الأمة حلقات كثيرة من مسلسل المهازل في حل القضية، وشاهدت الأمة مسرحيات العبث، وتعرفت على ممثلي هواة ومحترفين على خشبة مسرح القضية الفلسطينية، ورأى السادة الكبار من اليهود الأعداء وهم

يحرّكون الأحجار بمهارة على رقعة شطرنج القضية الفلسطينية، وتفرجت الأمة وملّت التفّرج على هذه المسرحيات والمهازل، وانتظرت الخلاص وملّت الانتظار، لأنّه لن يأتي على أيدي هؤلاء ولا بهذه الرحلة الشاقة.

ولهذا يجب قطع رحلة الضياع، والعودة بالأمة كلها إلى مصادر قوتها وسرّ وجودها وحياتها، وهو إسلامها وقرآنها. ويجب إيقاف مسلسل المهازل، ولغاء مسرح العبث، والتخلّي عن الممثلين المحترفين والهواة، ولإلغاء الاعتماد على حلول وأراء ومقترنات السادة الكبار في العالم، وسحب ملف القضية من مجلس الأمن وأرورة الأمم المتحدة وجلسات البيت الأبيض والكرملين.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُبَشِّكُمْ بِالْأَخْسِرِينَ أَعْمَالًا؟ الَّذِينَ ضَلَّ سَعَيْهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صَنْعًا. أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ، فَحَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴾^(١).

أسلمت القضية الفلسطينية:
مضى على القضية الفلسطينية عشرات السنين ولم يدخلوها في الإسلام حتى الآن.

أدخلوها في كثير من النظارات والتصورات إلا التصور الإسلامي، وعرضوا لها كثيراً من الأبعاد إلا بعد الإسلام، وقدّموا لها كثيراً من الحلول إلا الحل الإسلامي.

عرضوها عرضاً وطنياً وقومياً وإقليمياً وثوريّاً ويساريّاً، وقدّموا لها أبعاداً وطنية وقومية وإقليمية وثورية ويسارية، ولم تتقدم القضية خطوة إلى الأمام، ولم تقترب من الحل، بل زادت تعقيداً وتأنّراً وانحساراً وتقهراً.

والغريب أن أعداء القضية في الداخل والخارج يصرّون على استبعاد

(١) الكهف: ١٠٣ - ١٠٥.

الصوت الإسلامي بشأنها، وعلى رفض الحل الإسلامي لها. إنهم يبذلون كل جهودهم في إيقائها بعيدة عن الإسلام، ولذلك يحاربون كل من يعرضها عرضاً إسلامياً، ويقتُم لها حلاً إسلامياً، ويحدّد لها بعدها إسلامياً، ويجهّر لها بصوت إسلامي.

مع أننا نعلم علم اليقين - الذي حصلناه من قرآننا وإسلامنا - أن هذه القضية لن تحل إلا بالحل الإسلامي، ولن تنتهي إلا من خلال النظرة الإسلامية، ولن يهزم اليهود إلا من خلال التوجّه الإسلامي والبعد الإسلامي. إن أسلمة القضية الفلسطينية واجب ديني وإسلامي وإيماني وشريعي، وضرورة وطنية وحياتية قضية مصيرية.

ولأننا على يقين من أن الأمة ستتصير إلى هذا الحل، وأن كل المؤشرات القائمة، والمبشرات القادمة، والتأكيدات القرآنية الجازمة، تقرّر هذا، وتتوحّي بهذا، وتتجزّم بهذا.

ستُعاد القضية الفلسطينية إلى تصوّرها الإسلامي، وستدخل في النظرة الإسلامية، وسيكون لها بعدها الإسلامي الشافي، ووجهها الإسلامي المنير بإذن الله.

وستتلاشى كل الحلول الأخرى، وتزول كل التصورات الأخرى بإذن الله. المهم أن نكون نحن - قبل أجيالنا القادمة - الذين نعمل على هذا، ونسارع على إيجاده، وإسعاد الأمة والقضية به: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(۱)، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًاً . وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾^(۲).

(۱) هود: ۱۲۱-۱۲۲.

(۲) المعارج: ۶-۷.

الخاتمة

رُؤيَّةٌ مُسْتَقْبَلَيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ لِلأَمَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَلِلْكَيَّانِ الْيَهُودِيِّ

والآن... وبعد أن قمنا بجولة في ظلال تقريرات القرآن عن الشخصية اليهودية، واستخرجنا من آياته ملامح اليهود وتاريخهم وأخلاقهم، وحقيقة كيانهم القائم في فلسطين، وأشارنا إلى معالم قرآنية هادبة في صراعنا معهم.

والآن - وقبل أن نضع القلم - نحاول على هُدُيِّ هذه الدراسة، وعلى أساس تقريرات القرآن وحقائقه بشأن اليهود أن نقدم رؤية مستقبلية للكيان اليهودي. نحاول أن نستشرف هذا المستقبل، وأن نحدُّ له معالمه، وأن نرسم له حدوده، وأن ننظر فيه بفراسة إيمانية نافذة، وبصيرة قرآنية هادبة بعون الله.

وهدفنا من هذا أن نتجاوز الواقع المر الشائئ الذي تعيشه أمتنا في مواجهة اليهود، المليء بالماسي والمصابين والنكبات والهزائم والذلة والتنازلات. هذا الواقع الذي أوقع الكثيرين في اليأس والقنوط. وأصابهم بالفشل والإحباط، وأيقنوا باستحالة انتصار المسلمين وهزيمة اليهود وعودتهم فلسطين إلى الإسلام والمسلمين الصادقين، وصار بعضهم ينظر في مستقبل هذا الصراع على ضوء الواقع المريض اليائس، فيرى بأنه مستقبل دائم للكيان اليهودي، حافل بالوعود والأمال لليهود.

وهذه نظرة خاطئة تفرد إلى نتائج خاطئة، وتوقع الأمة في يأس من

الحاضر والمستقبل، وتُؤدي بهم إلى مهاري اليأس والذل والاستسلام والانهزام.

إن هذا الواقع المر الشائي بمثابة غاشية غشيت الأمة وستزول هذه الغاشية بإذن الله، وتسترد الأمة عافيتها وإيمانها وإسلامها ودماءها وشبابها، ويومها ويل للأعداء منها، وويل لليهود من بأسها وسلطتها وقوتها.

ونحن نملك بين أيدينا الكثير من المبشرات والوعود القرآنية والحديثية الصادقة القاطعة التي تحدد أن الإسلام هو مستقبل البشرية ودينها القادم، كما نستشرف هذه المبشرات والوعود من الواقع الجاهلي القائم الذي بدأت شمسه الكالحة بالغروب والأفول، حيث تصدر تصريحات من عقلاه هناك يقررون فيها هذه الحقيقة، ويقدمون فيها هذه الوعود.

وكم كان صادقاً وذكيّاً المعيناً ذلك المسلم المهتمي «رجاء جارودي» الذي ألف كتابه القيم «وعود الإسلام» والذي قرر فيه أن أوروبا الآن أشبه ما تكون بأمرأة تحمل في أحشائها جنينها، وأوروبا الآن تحمل الإسلام، ولا بد أن يأتي المخاض، وأن يظهر هناك هذا المولود الذي يمنحها الحياة والنور والإشراق والسعادة.

لكن بعض الناس المتسرعين من ذوي النظرة القصيرة العجلى ي يريدون أن يتم هذا في سنوات، ونسوا أن أعمال الأمم لا تُقاس بالسنوات مثل الأفراد، وإنما تُقاس بالأجيال والقرون: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كمْ أهْلَكَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنَيْنِ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمْكُنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَيْنِ﴾^(١)، ﴿وَلَكُلُّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾^(٢).

(١) الأنعام: ٦.

(٢) الأعراف: ٣٤.

إن هذا الدين هو دين الوجود الذي كتب له الله الاستمرار والحياة، وإن المستقبل لهذا الدين، وإنه هو دين البشرية القادر، الذي يحدد ملامح مستقبلها المشرق، وهي ستعود إليه قريباً بإذن الله.

هذا عن مستقبل أمتنا الذي استشرفناه على هُدُي مقررات إسلامنا، والذي نعلم علم اليقين أنها صائرة إليه بإذن الله.

أما عن مستقبل أعدائنا فإننا نستشرفه كذلك على هُدُي إسلامنا وقرآننا، ونتوقع لكيانهم القائم نهايته الأكيدة ومصيره المحتمم، كما يوحى بذلك قرآننا، وكما بيّنا هذا مفصلاً فيما سبق من هذه الدراسة.

قال اليهود عبارتهم «إسرائيل : دولة وُجدت لتبقى» وهي أكلذوية يهودية تكذبها فراسات المؤمنين وتقريرات القرآن الكريم، وحقائق الحياة المعاصرة والسنن الربانية الدائمة الثابتة التي تحكم الشعوب والأمم، فلن تجد لها تبديلاً ولا تغييراً.

إن الكيان اليهودي في فلسطين مخالف لكل الأسس والمقاييس والتصورات والنظريات، ولا يملك أي عامل من عوامل الدوام والحياة والاستمرار.

إن هذا الكيان في فلسطين أشبه ما يكون بالداء الطارئ على الجسم، والجسم الغريب الذي يتداعى له سائر الجسد بالمقاومة والرفض حتى يُذيبه ويقضي عليه، إن هذا الكيان غرس في جسم الأمة المسلمة المحيطة به، وهذه الفترة التي يعيشها الكيان هي فترة مؤقتة، وهذا الاستقبال الذي استقبلته به الأمة يمثل لحظة الذهول والدهشة والمفاجأة التي ستعقبها مقاومة الأمة لهذا الداخل الغريب والطاريء المرفوض.

ثم إن هذا الكيان اليهودي لا يملك عاملًا من عوامل الاستمرار، ولا عنصراً من عناصر البقاء، ولا مؤهلاً من مؤهلات الحياة. إنه مخالف للبدويات السياسية والاقتصادية والمالية والعسكرية والبشرية والحضارية والحياتية.

إن هذا الكيان أشبه ما يكون بمريض في غرفة إنعاش، ويتداعى عليه الأطباء ويواصلون حفنه بالمضادات والمقويات، ووصله بأسباب الحياة، لكن إلى متى؟ لو أن أمريكا قطعت عن هذا الكيان أسلحتها المتطرفة وصناعاتها الحربية المتقدمة فما هو مصيره عسكرياً؟ ولو أن أمريكا - وهذا هو المهم - قطعت عن هذا الكيان دعمها المالي القائم الآن بلا حدود والمتمثل في مليارات دولاراتها ومنتها الاقتصادية - وهي ستفعل ذلك في المستقبل يوم يصحو الشعب الأمريكي ويفتح عينيه على الحقيقة - فما هو مصير هذا المريض المختر في غرفة الإنعاش؟.

ثم إن هذا الكيان اليهودي يتآكل من الداخل، وتتخرّ فيه عوامل الهدم، ويعمل فيه سوس الفناء، وهو ييدو من الخارج لصاحب النّظرة العجلّى سليماً قوياً مثل الشجرة الخضراء، ولكنه يتهاوى عندما يأتي السوس عليه ويتم التآكل فيه، وسيسقط كما تسقط الشجرة التي نخرها السوس عند أول زوبعة قادمة.

وهناك مشكلات قاتلة لهذا الكيان، تمثل مظاهر التآكل فيه، وهي مشكلات مزمنة لا حلّ لها ولا علاج.

من هذه المشكلات خلافاتهم الحادة فيما بينهم، والعداوة والبغضاء التي ألقاها الله بينهم إلى يوم القيمة، بحيث أصبح بأسمهم بينهم شديداً، ويحسبهم الناظر من بعيد جميحاً وقلوبهم شتى كما بينا في هذه الدراسة. انقسامهم إلى طوائف مختلفة وجماعات متقاتلة، وطبقات متصارعة وأحزاب متباغضة، والمشكلات المزمنة بين «الأشkenaz» و«السافارديم» اليهود الشرقيين واليهود الغربيين، والمشكلات المزمنة بين المتدلين والعلمانيين، وبين الأحزاب اليسارية واليمينية، إنها سوس ينخر في جسم كيانهم من الداخل.

ومن هذه المشكلات كذلك الوجود العربي الإسلامي بينهم، المتمثل في العرب المسلمين في فلسطين المحتلة قديماً، وفي الصفة الغربية وقطاع غزة، والذي يملك كل عوامل النماء والدؤام والحياة، والذي يحتفظ بدینه بأصالة ومنهجية ثبات، والذي يتزايد أفراده ويتربّسخ كيانه ويتضاعف تأثيره

يوماً بعد يوم، فماذا سيكون بعد سنوات وأجيال؟ وعندما يكون وجوداً إسلامياً إيمانياً رياضياً، فتوقع مدى خطورته من الداخل على الكيان اليهودي المتهاوي في المستقبل.

ثم إن موارد هذا الكيان اليهودي الموجودة في فلسطين ستُصاب بالضوب في المستقبل لأنها موارد محدودة في رقعة من الأرض محدودة، وعندما تنضب هذه الموارد وتتوقف عن الكيان المساعدات من الخارج فابحث عنه في خبر «كان».

ومن عوامل زوال هذا الكيان، واستنفاد موارده وطاقاته استمرار حالة الحرب معه، بأن تستمر الأمة الإسلامية في حالة الحرب مع اليهود، أو على الأقل حالة اللام واللا حرب. إن اليهود سيقولون في هذه الحالة في حالة استنزاف، يوظفون كل طاقتهم ومواردهم وقدراً للحرب، وتبقى أيديهم مشدودة على السلاح، ونظاراتهم كلية زائفة من القتال، وأعصابهم متوردة متمزقة من المرابطة، وهم قوم لم يألفوا هذا لأنهم جبلوا على الذلة والخيانة.

أما المسلمين -عندما يسلمون حقاً وصدقأً- فإنه يسهل عليهم أن يستمروا في حالة الحرب مع اليهود، وتقديم إمكاناتهم المادية وهي كثيرة، ومواردهم المالية الاقتصادية وهي وفيرة، وحشد قواهم البشرية والمعنوية للمعركة وهي عديدة، ويلكون الاستمرار في تقديم وقود المعركة من المال والعتاد والرجال، ويحتسبون ما يقدمونه للمعركة وما يبذلونه فيها وما يلاقونه منها عند الله، ويتغرون الأجر منه، وينفذون في هذا تعاليم الإسلام وتوجيهات القرآن:

﴿وَلَا تَهْنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ، إِنْ تَكُونُوا تَائِمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْمُونَ كَمَا تَأْمُونُ، وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾^(١). ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابطُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢). ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ

(١) النساء: ١٠٤.

(٢) آل عمران: ٢٠٠.

حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَن يَخْلُفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا يَرْغِبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يَصِيئُونَ ظَلَماً وَلَا نَصْبَّ وَلَا مَخْمَصَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَا يَطْأُونَ مَوْطِئاً يَغْيِطُ الْكُفَّارَ، وَلَا يَنْالُونَ مِنْ عَدُوٍّ تَيْلًا إِلَّا كُتُبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ. وَلَا يُنْفِقُونَ نَفْقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً، وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًّا إِلَّا كُتُبَ لَهُمْ، لِيَجزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١).

لهذا نقول لأمتنا: إن استمرار حالة الحرب مع اليهود حتى يفتح الله بيتنا وبينهم وبين علينا بالاتصال عليهم، هو من أعوص المشكلات عندهم، وأفده الأخطار التي تهدد كيانهم، وأكثر الوسائل استفاداً لمواردهم وطاقاتهم وإمكاناتهم. وفي المقابل هو من أفضل الأمور عندنا، وأعظم الوسائل لاستنهاض هممها وعودتنا إلى إسلامنا، وتوظيف طاقاتنا ومواردننا، وحافظنا على شبابنا وجودنا ودمائنا.

أما إذا اختارت أمتنا طريق السلام والمصالحة مع اليهود، والاعتراف بكيانهم في فلسطين ومنحه المشروعية القانونية والدستورية - وهي لن تفعل هذا إن شاء الله، وإن أراد مسؤولون فيها ذلك - فإن هذا الطريق هو حل مشكلات اليهود، وقضاء على مصائبهم، وإزالة للأخطار التي تهدد كيانهم.

بالسلام معهم يحصلون على المشروعية القانونية، والاعتراف الدستوري، وفي هذا لا يجد الكيان اليهودي غريباً ولا دخيلاً ولا معتدياً، وإنما هو أصيل وصاحب حق ثابت.

بالسلام معهم سيذخرون مواردهم، ويوفرون قدراتهم وإمكاناتهم لبناء مستقبلهم وتقديم الخبرات لهم.

بالسلام معهم سينهبون موارد غيرائهم العرب والمسلمين وهي كثيرة، ويجعلونها مددًا لمواردهم وصناعتهم، واليهود متخصصون في نهب خيرات الأمم وأموالها ومواردها.

(١) التوبة: ١٢٠ - ١٢١.

بالسلام معهم سيغرون أسواق العرب والمسلمين بمصنوعاتهم ومنتجاتهم وسلعهم الاستهلاكية الكمالية، ويأخذون مقابلها أموال العرب والمسلمين دعماً لهم ولكيانهم.

بالسلام معهم يبذلون كل جدهم في إفساد الأمة الإسلامية والقضاء على حياتها وحيويتها، وإماتة الإيمان والحياة عند شبابها وبناتها، وامتصاص دمائها وخيراتها، ونشر الرذيلة والعهر والفواحش بينها، وتحويلها إلى مجموعات بهيمية شهوانية، ومستنقعات لأوحال الجنس والعربي والشهوات، وعندها تستسلم الأمة أمام اليهود، وتتنازل لهم عن البلاد والأوطان، ويتسعون فيها تدريجياً حتى يحققوا آمالهم ومخططاتهم.

هذا ما يجنيه اليهود من مصالحتنا لهم، وسلامنا معهم، وهو جني طائل وثمن جزيل. وهذا ما نخسره نحن عندما نقوم به، وهي خسارة فادحة، ونستغرب بعد ذلك لدعابة هذا الباطل وأنصاره الذين هم في الحقيقة أعداء الأمة وأنصار اليهود.

وهذا ما نجنيه عندما نُبقي حالة الحرب معهم، أو حتى حالة اللاسلم واللاحرب، وهو ثمن جزيل ومكسب عظيم لنا، وهذا ما يتهدد اليهود من أخطار وهي أخطر قاتلة.

ولهذا يجب على الأمة أن تميّز الخطأ من الصواب، وأن ترفض كل صوت دخيل يدعو إلى مصالحة اليهود ومسالمتهم، وإلى تبني كل صوت إسلامي صادق يدعو إلى استمرار معاداتهم ومواجهتهم ومحاربتهم.

ونحن على يقين أن الأصوات المنكرة التي ترتفع في الأمة وتدعوها إلى الاستسلام باسم السلام، والذل باسم الحل السلمي، والموت باسم إنهاء حالة الحرب مع اليهود، إن هذه الأصوات ستستكث وتجذبها الأمة.

وإن الأصوات المؤمنة التي تدعو إلى الجهاد والحسد والتحرير وال الحرب هي الأصوات الأصلية الحقة، المتفاقة مع إرادة الله، ومع سنن الحياة

ونواميس الكون وحقائق التاريخ، وهي الباقيَة بِإذن اللهِ والمتصرفة بتأييد منه.. .
وستبوء الأمة المسلمة إليها في قادم الأيام، وتنادي بها على مسمع الأقوام،
وتلتزم بها وتتحرك من خلالها. عندها تُزيل كيان اليهود وتحرجهم من
فلسطين، وتعود فلسطين كلها إلى الإسلام والمسلمين، وتسعد بحكمة
الإسلام، وتعيش في ظلال القرآن.

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء، وهو العزيز الحكيم.

فاصبر صبراً جميلاً إنهم يرونَه بعيداً، ونراه قريباً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثُبَّتِ المَرْاجِعُ

- البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعرف - بيروت - الطبعة الأولى . ١٩٦٦ .
- تفسير القرآن العظيم «تفسير المنار»، لمحمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت - الطبعة الثانية .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار البيان، وأخرون ١٣٨٩ - ١٩٦٩ .
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبرى، تحقيق محمود شاكر، دار المعارف بمصر .
- الدر المثور في التفسير بالتأثر، للسيوطى، دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣ .
- صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها - مصر .
- في ظلال القرآن، لسيد قطب، دار الشروق - الطبعة الخامسة ١٣٩٧ - ١٩٧٧ .
- الكشاف للزمخشري، دار الفكر - بيروت .
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر - بيروت .
- محمد رسول الله ﷺ، لمحمد الصادق عرجون، دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - بيروت ١٤٠١ - ١٩٨١ .
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني تحقيق محمد سيد كيلاني ، طبعة مصطفى الحلبى ١٣٨١ - ١٩٦١ .

الفَهْرِس

مقدمة	٥
الفصل الأول: بنو إسرائيل واليهود في السياق القرآني	٩
القرآن واليهود	١١
شهادة التاريخ والواقع	١٤
الحكمة من التفصيل القرآني لقصة بنى إسرائيل	١٦
بنو إسرائيل واليهود	١٩
إسرائيل في السياق القرآني	٢٠
اليهود في معاجم اللغة	٢٧
هادوا، هُدُنَا، هُوداً... في السياق القرآني	٢٩
بنو إسرائيل في السياق القرآني	٣٣
اليهود في السياق القرآني	٣٥
لطائف دلالات من هذا الاستعمال	٣٧
وجوب التفرقة بين اليهود وبني إسرائيل	٣٧
ما هو الفرق بين اليهود وبني إسرائيل؟	٣٨
الحكمة من تغيير اسمهم من بنى إسرائيل إلى اليهود	٣٨
القرآن يعتبر اليهود المسلمين من بنى إسرائيل	٣٩
الحكمة من تأخير اسمهم الجديد إلى ما بعد الهجرة	٤١
اليهود يستغلون اسم إسرائيل	٤٣
نحن وأنبياء بنى إسرائيل	٤٥

٤٦	نحن أولى بأنبيائهم منهم
٤٨	التفرق بين الحق والباطل في تاريخبني إسرائيل
٥١	الفصل الثاني: خلاصة تاريخ اليهود من خلال القرآن
٥٣	منهج البحث في تاريخهم
٥٥	الحلقات المفقودة من تاريخهم
٥٧	اليهود يحرفون التاريخ لصالحهم
٥٩	يعقوب وأولاده الاثنا عشر
٦٠	إقامة يعقوب وأولاده جنوب فلسطين
٦١	الهجرة الأولى لبني إسرائيل
٦١	حلقات مفقودة عن تاريخهم في مصر
٦٢	يعقوب يوصي أولاده بالإسلام
٦٣	موت يوسف والتعبير عنه بالهلاك
٦٤	الحكمة من التعبير عن موت يوسف بالهلاك
٦٦	الحلقات المفقودة ما بين يوسف وموسى عليهما السلام
٦٦	فرعون يضطهد بنى إسرائيل
٦٨	ولادة موسى عليه السلام ونجاته
٦٩	موسى يخرج إلى مدين
٦٩	موسى رسول الله لإنقاذ بنى إسرائيل
٧١	موسى في مواجهة فرعون
٧٢	موسى يخرج ببني إسرائيل من مصر
٧٤	فرعون وجندوه غرقى
٧٥	فرعون يؤمن بعد فوات الأوان
٧٧	موسى عليه السلام مع بنى إسرائيل في سيناء
٧٧	بنو إسرائيل يطلبون من موسى عبادة الأصنام
٧٨	بنو إسرائيل يطلبون من موسى أن يريهم الله جهرة
٧٨	بنو إسرائيل يطلبون من موسى الماء

الوظائف المختلفة لعاصى موسى	٧٩
ليونة الحجر وقساوة قلوب بنى إسرائیل	٨٠
بنو إسرائیل يطلبون من موسى تنوع الطعام	٨١
بنو إسرائیل يعبدون العجل	٨٢
بنو إسرائیل وعهد الله عند الطور	٨٥
بنو إسرائیل وأمر موسى لهم بذبح البقرة	٨٤
بنو إسرائیل يؤذون موسى ويعيرون عليه حياءه	٨٥
بنو إسرائیل يجبنون عن دخول الأرض المقدسة	٨٧
بنو إسرائیل يتיהون في سيناء	٨٨
وفاة موسى عليه السلام قبل دخولهم الأرض المقدسة	٩٠
دخول بنى إسرائیل الأرض المقدسة	٩٢
بنو إسرائیل يبدلون أوامر الله	٩٤
الحكمة من التمكين لهم في الأرض المقدسة	٩٤
بنو إسرائیل والملك طالوت	٩٦
بنو إسرائیل تحت حكم داود	٩٨
مواصفات الحاكم الراشد كما تبدو في داود عليه السلام	١٠٠
بنو إسرائیل تحت حكم سليمان عليه السلام	١٠١
سليمان حكم ما لم يحكم أحد	١٠٢
حكم داود وسليمان إسلامي وليس يهودياً	١٠٥
وفاة سليمان عليه السلام	١٠٥
اليهود المشردون في الأرض	١٠٦
بنو إسرائیل وعيسى ابن مريم عليه السلام	١٠٧
الفصل الثالث: سمات اليهود وأخلاقهم من خلال القرآن	١٠٩
نعم الله الغامرة على اليهود	١١١
فضيلتهم على العالمين وحكمته	١١٤
استغلال اليهود لأيات التفضيل	١١٤

١١٤	لعنة الله عليهم بعد تفضيلهم
١١٦	الحكمة من كثرة أنبيائهم
١١٨	موقف اليهود من أنبيائهم
١٢٠	النفسية اليهودية المعقدة مجمع نقائص
١٢٢	البداية الحاقدة الكاذبة: إخوه يوسف عليه السلام
١٢٣	إخوه يوسف ليسوا أنبياء
١٢٥	من هم الأسباط؟
١٢٧	أخلاق الأجداد المذمومة
١٣٣	مزاعم يهودية ونقض القرآن لها:
١٣٣	نظرة اليهود لِإِلَهِهِمْ
١٣٤	زعمهم أنهم أبناء الله وأحباوه
١٣٥	زعمهم أن العزيز ابن الله
١٣٦	زعمهم أنهم لا يعذبون في النار إلا أياماً
١٣٧	زعمهم قصر الجنة عليهم
١٣٨	زعمهم قصر الهدى عليهم
١٤٠	زعمهم قصر الالتزام الأخلاقي فيما بينهم
١٤١	زعمهم أن الله دائمًا معهم
١٤٢	زعمهم تفضيلهم على العالمين
١٤٤	زعمهم كون إبراهيم يهودياً
١٤٧	زعمهم وراثة دين إبراهيم عليه السلام
١٥١	زعمهم وراثة الأرض المباركة
١٥٥	عقيدة اليهود أنهم ليسوا على شيء
١٥٨	اليهود استحفظوا التوراة فضيئوها
١٦٠	اليهود حرفوا التوراة
١٦٢	اليهود قرطسوا التوراة: آمنوا ببعض وكفروا ببعض
١٦٥	اليهود كافرون

١٦٨	اليهود كتابيون كفار
١٧١	استثناءات الكتابيين في أحكام فقهية
١٧٣	حديث اليهود عن الله
١٧٤	طلبهم رؤية الله جهرة
١٧٥	قولهم إن الله فقير ونحن أغنياء
١٧٧	قولهم يد الله مغلولة
١٧٩	نظرتهم لجبريل وافتراوهم عليه
١٨١	افتراوهم على هاروت وماروت
١٨٣	نظرة اليهود للأتباء
١٨٥	حرب اليهود لعيسى عليه السلام
١٨٧	وحربهم لمحمد ﷺ
١٩١	موقفهم من الحق: هم أول كافر به
١٩٣	أخلاق يهودية: خطوط مستقرة في النفسية اليهودية
١٩٦	اليهود كاذبون
١٩٩	اليهود محرفون
٢٠٢	اليهود حاسدون
٢٠٥	اليهود متحايلون
٢٠٨	اليهود مراوغون
٢١١	اليهود مزاجيون
٢١٣	اليهود مستهزئون
٢١٥	اليهود خائنون
٢١٨	اليهود ضاللون ومضللون
٢٢٠	اليهود تجار فجار
٢٢٤	اليهود سفهاء
٢٢٦	اليهود أذلاء
٢٢٨	اليهود جبناء

٢٢٨	جبنهم عن دخول الأرض المقدسة
٢٣٠	جبنهم عن القتال مع طالوت
٢٣٢	جبن اليهود عن قتال الرسول وأصحابه
٢٣٧	اليهود بخلاء
٢٣٩	اليهود يحرصون على حياة
٢٤١	اليهود ينقضون العهد والموايثق
٢٤٥	اليهود يسارعون في الإثم والعدوان
٢٤٨	اليهود يكتمون الشهادة والحق
٢٥٠	اليهود يفسدون في الأرض
٢٥٣	اليهود يصدون عن سبيل الله
٢٥٥	اليهود مجتمع نقائص
٢٥٧	اليهود ملعونون
٢٦٠	رسالة اليهود في العالم: فساد ودمار
٢٦٣	عقوبات الله ضد اليهود
٢٦٥	قتلهم بعضهم بعضاً
٢٦٧	الحكم عليهم بالتّيه في سيناء
٢٦٩	تشديد الأحكام عليهم
٢٧١	الإصر الشّيل عليهم
٢٧٥	إلقاء العداوة والبغضاء بينهم
٢٧٧	مسخهم قردة وخنازير
٢٨٠	قسوة قلوبهم
٢٨٣	لعنة الله وغضبه عليهم
٢٨٥	ضرب الذلة والمسكنة عليهم
٢٨٨	تشريدهم في الأرض
٢٩١	الفصل الرابع : الكيان اليهودي المعاصر من خلال المنظار القرآني
٢٩٥	الحرب النفسية اليهودية ضد المسلمين

الكيان اليهودي المعاصر من خلال سورة آل عمران	٣٠٠
لن يضروكم إلا أذى	٣٠٢
وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار	٣٠٤
ضربت عليهم الذلة	٣٠٦
أينما ثقروا	٣٠٨
إلا بحبل من الله	٣١٠
وحبل من الناس	٣١٢
وبأؤوا بغضب من الله	٣١٥
كيف يوفق الملعون أو ينفع المغضوب عليه؟	٣١٧
الكيان اليهودي المعاصر من خلال سورة المائدة	٣١٩
الكيان اليهودي المعاصر من خلال سورة الأعراف	٣٢١
الكيان اليهودي المعاصر من خلال سورة الحشر	٣٢٤
سورة الإسراء وإفسادان لبني إسرائيل	٣٢٧
بيان المفسدين السابقين للإفسادين	٣٢٩
فهم جديد للآيات	٣٣١
إفسادهم الأول في المدينة المنورة	٣٣٣
الرسول عليه السلام وأصحابه يزيلون إفسادهم الأول	٣٣٧
نحن نعيش إفسادهم الثاني	٣٤١
من يزيلون إفسادهم الثاني؟	٣٤٦
كيف يزيلون إفسادهم الثاني؟	٣٤٨
الفصل الخامس: معالج قرآنية في صراعنا مع اليهود	٣٥١
اليهود أشد الناس عداوة لنا	٣٥٣
الصلة بيننا وبينهم كما يحددها القرآن	٣٥٦
صراع بين رسالتين	٣٥٨
متى بدأ الصراع؟	٣٦١
متى يقفل ملف الصراع؟	٣٦٥

٣٦٨	حقد اليهود الدائم على المسلمين.....
٣٧٠	جبن اليهود في الحرب مع المسلمين.....
٣٧٢	من صفات عملاء اليهود.....
٣٧٨	من صفات الذين يهزمون اليهود.....
٣٨٠	طريق النصر على اليهود وحل القضية الفلسطينية
٣٨٠	للامتحن العلاجية.....
٣٨١	اعتماد الحل الإسلامي
٣٨٢	إقامة المجتمع الإسلامي
٣٨٢	تحقيق العبودية لله
٣٨٣	إعداد الأمة جهادياً
٣٨٤	كل شيء للجهاد.....
٣٨٤	إدخال القرآن المعركة.....
٣٨٥	إيقاف مسلسل المهازل وقطع رحلة الضياع.....
٣٨٦	أسلمة القضية الفلسطينية
٣٨٩	الخاتمة: رؤية مستقبلية إسلامية للأمة المسلمة وللكيان اليهودي
٣٩٧	ثبات المراجع.....
٣٩٩	الفهرس

كتب للمؤلف

من سلسلة «دراسات حول سيد قطب وفكره»:

- ١ - سيد قطب الشهيد العبي - مكتبة الأقصى - عمان.
- ٢ - نظرية التصوير الفني عند سيد قطب - دار الفرقان - عمان.
- ٣ - أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب - دار المنارة - جدة.
- ٤ - مدخل إلى ظلال القرآن - دار المنارة - جدة.
- ٥ - المنهج الحركي في ظلال القرآن - دار المنارة - جدة.
- ٦ - في ظلال القرآن في الميزان - دار المنارة - جدة.
- ٧ - الفهارس الشاملة لظلال القرآن - دار المنارة - جدة.

من سلسلة «من كنوز القرآن»:

- ١ - مفاتيح للتعامل مع القرآن - مكتبة المنار - الزرقاء.
- ٢ - في ظلال الإيمان - مكتبة المنار - الزرقاء.
- ٣ - الشخصية اليهودية من خلال القرآن - دار القلم - دمشق.
- ٤ - تصويبات في فهم بعض الآيات - دار القلم - دمشق.

Bibliotheca Alexandrina



0414732

تطلب جميع كتبنا من :

دار القلم - دمشق : ص ٤٥٢ - ت ٤٤٩١٧٧

الدار الشامية - بيروت - ت ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ٦٥٠١ / ١١٣

تنزع جميع كتابنا في التمورية قبر طرب

دار البشيد - ج ٤٦١ : ص ٤٦١ - ت ١٨٩٥

ت ٦٦٥٧٦٢١ / ٦٦٠٨٩٠٤